دعوة المظلوم

أحاديث وأخبار وأشعار

إعداد
عبد الرحمن يوسف الفرحان



تَنامُ عيناكَ والمظلومُ مُنتبِهٌ ... يَدْعُو عليكَ وعينُ اللهِ لم تنمِ

لاشكَّ دعوةُ مظلومٍ يحلُّ بها ... دارَ الهوانِ ودارَ الذلِّ والنقمِ



دَعوةُ المظلومِ

أَحَادِيثَ وَأَخْبَار وَأَشْعَار

الطَّبْعَةُ الأولىٰ
١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م

دار البشائر الإسلامية
للطباعة والنشر والتوزيع هاتف: ٧٠٢٨٥٧ - فاكس: ٠٠٩٦١١/٧٠٤٩٦٣
بيروت - لبنان ص.ب: ١٤/٥٩٥٥
e-mail:
bashaer@cyberia.net.lb

دَعْوَةُ المَظْلُومِ

أَحَادِيث وَأَخْبَار وَأَشْعَار

إعداد
عبد الرحمن يوسف الفرحان

دار البشائر الإسلامية



بَين يَدَيِ الكِتَاب

عَنْ أَبِي ذَرٍّ الْغِفارِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، فِيمَا يَرْوِي عَنِ اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى أَنَّهُ قَالَ: «يَا عِبَادِي! إِنِّي حَرَّمْتُ الظُّلْمَ عَلَى نَفْسِي وَجَعَلْتُهُ بَيْنَكُمْ مُحَرَّمًا، فَلَا تَظَالَمُوا.

يَا عِبَادِي! كُلُّكُمْ ضَالٌّ إِلَّا مَنْ هَدَيْتُهُ، فَاسْتَهْدُونِي أَهْدِكُمْ.

يَا عِبَادِي كُلُّكُمْ جَائِعٌ إِلَّا مَنْ أَطْعَمْتُهُ، فَاسْتَطْعِمُونِي أُطْعِمْكُمْ.

يَا عِبَادِي كُلُّكُمْ عَارٍ إِلَّا مَنْ كَسَوْتُهُ، فَاسْتَكْسُونِي أَكْسُكُمْ.

يَا عِبَادِي إِنَّكُمْ تُخْطِئُونَ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَأَنَا أَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا، فَاسْتَغْفِرُونِي أَغْفِرْ لَكُمْ.

يَا عِبَادِي إِنَّكُمْ لَنْ تَبْلُغُوا ضَرِّي فَتَضُرُّونِي، وَلَنْ تَبْلُغُوا نَفْعِي فَتَنْفَعُونِي.

يَا عِبَادِي لَوْ أَنَّ أَوَّلَكُمْ وَآخِرَكُمْ، وَإِنْسَكُمْ وَجِنَّكُمْ، كَانُوا عَلَى أَتْقَى قَلْبِ رَجُلٍ وَاحِدٍ مِنْكُمْ، مَا زَادَ ذَلِكَ فِي مُلْكِي شَيْئًا.



يَا عِبَادِي لَوْ أَنَّ أَوَّلَكُمْ وَآخِرَكُمْ، وَإِنْسَكُمْ وَجِنَّكُمْ، كَانُوا عَلَى أَفْجَرِ قَلْبِ رَجُلٍ وَاحِدٍ، مَا نَقَصَ ذَلِكَ مِنْ مُلْكِي شَيْئًا.

يَا عِبَادِي لَوْ أَنْ أَوَّلَكُمْ وَآخِرَكُمْ، وَإِنْسَكُمْ وَجِنَّكُمْ، قَامُوا فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ فَسَأَلونِي، فَأَعْطَيْتُ كُلَّ وَاحِدٍ مَسْأَلَتَهُ مَا نَقَصَ ذَلِكَ مِمَّا عِنْدِي إِلاَّ كَمَا يَنْقُصُ الْمِخْيطُ إِذَا أُدْخِلَ الْبَحْرَ.

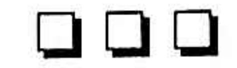
يَا عِبَادِي إِنَّما هِيَ أَعْمَالُكُمْ أُحْصِيهَا لَكُمْ ثُمَّ أُوَفِّيكُمْ إِيَّاهَا، فَمَنْ وَجَدَ خَيْرًا فَلْيَحْمَدِ اللَّه، وَمَنْ وَجَدَ غَيْرَ ذَلِكَ فَلاَ يَلُومَنَّ إِلاَّ نَفْسَهُ».

[رواه مسلم]

كان أبو إدريس إذا حدث بهذا الحديث جثا على ركبتيه.

❊ ❊ ❊

❊ أجمعوا على أن المظلوم موقوف على النُّصْرة لقوله تعالى: ﴿ ثُمَّ بُغِيَ عَلَيْهِ لَيَنصُرَنَّهُ ٱللَّهُ ﴾ [الحج: ٦٠]. [نهاية الأرب ٦/ ٤٠]



أَمَا وَٱللهِ إِنَّ ٱلظُّلْمَ لُؤْمٌ — وَمَا زَالَ ٱلْمُسِيءُ هُوَ ٱلظَّلُومُ

إِلَىٰ دَيَّانِ يَوْمِ ٱلدِّينِ نَمْضِي — وَعِنْدَ ٱللهِ تَجْتَمِعُ ٱلْخُصُومُ

سَتَعْلَمُ فِي ٱلْحِسَابِ إِذَا ٱلْتَقَيْنَا — غَدًا عِنْدَ ٱلْإِلَٰهِ مَنِ ٱلْمَلُومُ

المقـدّمـة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله والصلاة والسلام على رسوله محمد ﷺ، وبعد:

فالظلم لغةً: وَضع الشيء في غير محله. **ومعناه شرعًا**: التصرّف في مُلْك الغير بغير حق. واتفقت المللُ كلّها على وجوب حِفْظ الأنفس والأنساب والأعراض والعقول والأموال. والظُّلمُ يقعُ في هذه أو بعضها، وأعلاه الشرك.

[والظلم] أساس الفساد في المجتمع، وفي الأرض عامة، سواء من ظلم الإنسان نفسه أو غيرها.

فأما ظلمه نفسه فبالإشراك بالله تعالى حيث قال: ﴿إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴿١٣﴾﴾ [لقمان: ١٣]، أو بالتعدي وتجاوز حدود الله وأوامره، قال تعالى: ﴿وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ ٱللَّهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُۥ﴾ [الطلاق: ١]، وقال: ﴿وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ ٱللَّهِ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٢٢٩﴾﴾ [البقرة: ٢٢٩].

أو ظُلْمه لغيره من قريب أو بعيد، إنسان أو حيوان أو غيرها، فقد توعد الله الظالمين بقوله تعالى: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱللَّهَ غَٰفِلًا عَمَّا يَعْمَلُ ٱلظَّٰلِمُونَ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ ٱلْأَبْصَٰرُ ﴿٤٢﴾﴾ [إبراهيم: ٤٢]، وقال: ﴿يَوْمَ لَا يَنفَعُ ٱلظَّٰلِمِينَ مَعْذِرَتُهُمْ وَلَهُمُ ٱللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوٓءُ ٱلدَّارِ ﴿٥٢﴾﴾ [المؤمن «غافر»: ٥٢].

وكذلك انتقم الله من أهل القرى الظالمين بالهلاك والدمار فقال جل

وعلا: ﴿وَتِلْكَ ٱلْقُرَىٰٓ أَهْلَكْنَٰهُمْ لَمَّا ظَلَمُوا۟ وَجَعَلْنَا لِمَهْلِكِهِم مَّوْعِدًا ﴿٥٩﴾﴾ [الكهف: ٥٩]، بل لقد نهى عن الركون إلى الظلمة وعن محبتهم وطاعتهم، وجَعَل الركون إليهم سببًا لحصول العذاب فقال تعالى: ﴿وَلَا تَرْكَنُوٓا۟ إِلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ فَتَمَسَّكُمُ ٱلنَّارُ﴾ [هود: ١١٣]، بل إنه تعالى بيّن أن عقوبة ظلم الظلمة لا تقتصر عليهم فحسب بل يتعدى شؤمها إلى غيرهم من الناس، فقال جل جلاله: ﴿وَٱتَّقُوا۟ فِتْنَةً لَّا تُصِيبَنَّ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مِنكُمْ خَآصَّةً ۖ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٢٥﴾﴾ [الأنفال: ٢٥].

فالظلم من أخطر ما يسبب النكبات والويلات والأزمات على المجتمعات، فكل ما عُصي الله به بالإعراض عما أمَر به أو فِعْل ما نهى عنه فهو من الظلم الذي يجب على المسلم الابتعاد عنه ومنه.

كيف لا؟! والله تعالى قد حرم الظلم على نفسه وجعله بين خلقه محرمًا، فقال تعالى: ﴿وَمَآ أَنَا۠ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ ﴿٢٩﴾﴾ [ق: ٢٩]، وقال جل من قائل: ﴿وَمَا ٱللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِّلْعِبَادِ ﴿٣١﴾﴾ [غافر: ٣١]، وقال: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ﴾ [النساء: ٤٠]، وفي الحديث القدسي: «يا عبادي إني حرَّمت الظلم على نفسي وجعلته بينكم محرمًا فلا تظالموا...»، إلى غير ذلك من الأدلة الكثيرة من الكتاب والسنة الدالة على عظم هذا الداء العضال.

* * *

وقد فصَّل ابن قيم الجوزية الظلم إلى ثلاث فقال[1]:

الظلم عند الله عزَّ وجل يوم القيامة له دواوين ثلاثة:

ديوان لا يغفر الله منه شيئًا، وهو الشِّركُ به، فإن الله لا يغفر أن يشرَكَ به.

---

(١) صحيح الوابل الصيب ص ٤٢.

وديوان لا يترك الله تعالى منه شيئًا، وهو ظلم العباد بعضهم بعضًا، فإن الله تعالى يستوفيه كله.

وديوان لا يعبأ الله به شيئًا، وهو ظلم العبد نفسه بينه وبين ربه عز وجل، فإن هذا الديوان أخف الدواوين وأسرعها محوًا، فإنه يمحى بالتوبة والاستغفار، والحسنات الماحية، والمصائب المكفرة، ونحو ذلك؛ بخلاف ديوان الشرك، فإنه لا يمحى إلاَّ بالتوحيد، وديوان المظالم لا يمحى إلاَّ بالخروج منها إلى أربابها، واستحلالهم منها.

ولما كان الشرك أعظم الدواوين الثلاثة عند الله عزَّ وجل، حرَّم الجنة على أهله، فلا تدخل الجنة نفس مشركة، وإنما يدخلها أهل التوحيد، فإن التوحيد هو مفتاح بابها، فمن لم يكن معه مفتاح؛ لم يُفْتح له بابها، وكذلك إن أتى بمفتاح لا أسنان له؛ لم يمكن الفتح به، وأسنان هذا المفتاح هي: الصلاة، والصيام، والزكاة، والحج، والجهاد، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، وصدق الحديث، وأداء الأمانة، وصلة الرحم، وبر الوالدين.

فأيُّ عبد اتخذ في هذه الدار مفتاحًا صالحًا من التوحيد، وركَّب فيه أسنانًا من الأوامر، جاء يوم القيامة إلى باب الجنة ومعه مفتاحها الذي لا يفتح إلاَّ به، فلم يُعِقْه عن الفتح عائق، اللَّـهُمَّ إلاَّ أن تكون له ذنوب وخطايا وأوزار لم يذهب عنه أثرها في هذه الدار بالتوبة والاستغفار، فإنه يحبس عن الجنة حتى يتطهر منها، وإن لم يطهره الموقف وأهواله وشدائده، فلا بد من دخول النار؛ ليخرج خبثه فيها، ويتطهر من درنه ووسخه، ثم يخرج منها، فيدخل الجنة، فإنها دار الطيبين، لا يدخلها إلاَّ طيب.

قال سبحانه وتعالى: ﴿ٱلَّذِينَ تَتَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ طَيِّبِينَ ۙ يَقُولُونَ سَلَـٰمٌ عَلَيْكُمُ ٱدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ﴾ [النحل: ٣٢].

وقال تعالى: ﴿ وَسِيقَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْاْ رَبَّهُمْ إِلَى ٱلْجَنَّةِ زُمَرًا حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَٰبُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَٱدْخُلُوهَا خَٰلِدِينَ ﴿٧٣﴾ ﴾ [الزمر: ٧٣].

فعقب دخولها على الطيب بحرف الفاء الذي يؤذن بأنه سبب للدخول، أي: بسبب طيبتكم قيل لكم: ادخلوها.

وأما النار؛ فإنها دار الخبث في الأقوال والأعمال، والمآكل والمشارب، ودار الخبيثين، فالله تعالى يجمع الخبيث بعضه إلى بعض، فيركمه كما يركم الشيء؛ لتراكب بعضه على بعض، ثم يجعله في جهنم مع أهله، فليس فيها إلاَّ خبيث.

ولما كان الناس على ثلاث طبقات: طَيِّب لا يَشينه خبث، وخبيث لا طيب فيه، وآخرون فيهم خُبث وطيبٌ، كانت دورهم ثلاثة: دار الطيب المحض، ودار الخبيث المحض، وهاتان الداران لا تفنيان.

ودار لمن معه خبث وطيب، وهي الدار التي تفنى، وهي دار العصاة، فإنه لا يبقى في جهنم من عصاة الموحدين أحد، فإنهم إذا عذبوا بقدر جزائهم؛ أخرجوا من النار، فأدخلوا الجنة.

ولا يبقى إلاَّ دار الطيب المحض، ودار الخبث المحض، اهـ.

* * *

وحذَّر الوعاظ والعلماء من الظلم فقالوا:

ليس شيء في الذنوب أعظم من الظلم، لأن الذنب إذا كان بينك وبين الله تعالى فإن الله تعالى كريم يتجاوز عنك، فإذا كان الذنب بينك وبين العباد فلا حيلة لك سوى رضا الخصم.

وقال علي بن أبـي طالب: يومُ المظلوم على الظالم أشدُّ من يوم الظالم على المظلوم.

وقيل: انقسمت كلمة لا إلـه إلاَّ الله بين الظالم والمظلوم، فمع الظالم لا إلـه، وليس مع المظلوم إلاَّ الله.

قال ميمون بن مهران: الظالم والمعين على الظلم والمحب له سواء.

وقال عبد الله بن صالح: لا يكبرنَّ عليك ظلمُ من ظلمكَ، فإنَّما يسعى في مَضَرَّته ونفعك.

وقال فضيل بن عياض: «بكى أبـي فقلت: ما يبكيك؟ فقال: أبكي على ظالمي، ومن أخذ مالي، ارحمه غدًا إذا وقف بين يدي الله عزَّ وجل، وسأله فلا تكون له حجة».

وقال شُرَيْح القاضي، سَيعْلم الظالمون حَظَّ من نقصوا! إنَّ الظالم ينتظر العقابَ والمظلوم ينتظر النَّصْر!

وعن أبـي موسى قال: قال رسول الله ﷺ: «إنَّ الله يُملي للظالم، فإذا أخذَه لم يُفلته»، ثم قرأ: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَآ أَخَذَ ٱلْقُرَىٰ وَهِىَ ظَٰلِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُۥٓ أَلِيمٌ شَدِيدٌ ﴿١٠٢﴾﴾.

وروي أنه ذكر الظلم في مجلس فيه ابن عباس فقال كعب: إني لا أجد في كتاب الله المنزل أن الظلم يخرب الديار، فقال ابن عباس: أنا أُوجِدُكه في القرآن، قال تعالى: ﴿فَتِلْكَ بُيُوتُهُمْ خَاوِيَةًۢ بِمَا ظَلَمُوٓا۟﴾ [النمل: ٥٢].

قال ميمون بن مهران في قول الله تبارك وتعالى: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱللَّهَ غَٰفِلًا عَمَّا يَعْمَلُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ [إبراهيم: ٤٢]، قال: تعزية للمظلوم ووعيد للظالم.

وأنشدوا:

فخف الجزاءَ غدًا إذا وُفيتَ ما ... كسبتْ يداك اليومَ بالقِسطاسِ
في موقفٍ ما فيه إلاَّ مُقْنع ... أو شاخص أو مُهطِع للراسِ
أعضاؤهم فيه الشهودُ وسجنهمْ ... نارُ وحاكمهم شديدُ الباسِ
إن تُمطل اليوم الذُنوبَ مع الغِنى ... فغدًا يُوفيها مَعَ الإفلاسِ

وقال ابن الأثير: وإنما ذكرنا هذا ليعلم الظلمة أن أخبارهم الشنيعة تنقل وتبقى بعدهم على وجه الأرض وفي الكتب، ليُذكروا بها ويذموا ويعابوا، ذلك لهم خزي في الدنيا، وأمرهم إلى الله؛ لعلهم أن يتركوا الظلم لهذا إن لم يتركوه لله.

وإذ أقدِّم للقارىء الكريم هذا الكتاب، ليكون موعظة وعِبرة، يرتدع بها الظالم عن ظلمه، ويرعوي الفاجر عن فجوره، ويطمئن المظلوم إلى ربّه، وأنه لن يضيع حقه. وقد جمعت فيه من الأخبار والأمثلة والشواهد ما فيه كفاية، إذ لم أرد الإطالة، واعتمدت في مادته أولاً على كتاب الله تعالى، ثم حديث رسول الله ﷺ، ثم أخبار الملوك والوزراء وغيرهم، جمعت فيه أقوالاً وحكمًا وأشعارًا ونوادر في دعوة المظلوم وأثرها، وأنها لا ترد، وأنه سيجاب صاحبها ولو بعد حين...

فأسأل الله عزَّ وجلّ أن يتقبل مني هذا العمل، ويغفر ما وقع لي من زلل.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيد المرسلين محمد وآله وصحبه أجمعين.

وكتبه

عبد الرحمن يوسف الفرحان

مما ورد في القرآن الكريم
في الظلم والظالمين

﴿لَا يُحِبُّ اللَّهُ الْجَهْرَ بِالسُّوءِ مِنَ الْقَوْلِ إِلَّا مَن ظُلِمَ وَكَانَ اللَّهُ سَمِيعًا عَلِيمًا ﴿١٤٨﴾ إِن تُبْدُوا خَيْرًا أَوْ تُخْفُوهُ أَوْ تَعْفُوا عَن سُوءٍ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفُوًّا قَدِيرًا ﴿١٤٩﴾﴾ [النساء].

فيه أربعة تأويلات[1]:

أحدها: يعني إلَّا أن يكون مظلومًا فيدعو على من ظلمه.

عن ابن عباس: «لا يحب الله أن يدعو أحد على أحد إلَّا أن يكون مظلومًا، فإنه قد أرخص له أن يدعو على من ظلمه، وإن صبر فهو خير له».

وعن قتادة: عذر الله المظلوم كما تسمعون أن يدعو. وعن الحسن قال: هو الرجل يظلم الرجل، فلا يدْعُ عليه، ولكن ليقل: اللَّهمَّ أعني عليه، اللَّـٰهُمَّ استخرج لي حقي، اللَّـٰهُمَّ حُلْ بينه وبين ما يريد من ظلمي. وفي رواية عنه قال: قد أرخص له أن يدعو على من ظلمه من غير أن يعتدي عليه.

والثاني: إلَّا أن يكون مظلومًا فيجهر بظلم من ظلمه، وهذا قول مجاهد.

والثالث: إلَّا من ظلم فانتصر من ظالمه، وهذا قول الحسن، والسدي.

والرابع: إلَّا أن يكون ضيفًا، فينزل على رجل فلا يحسن ضيافته، فلا بأس أن يجهر بذمه، وهذه رواية ابن أبي نجيح عن مجاهد.

---

(١) تفسير الماوردي ١/ ٥٣٩.

قال الطبري[1]: فالصواب في تأويل ذلك: لا يحب الله أيها الناس أن يجهر أحد لأحد بالسوء من القول ﴿إِلَّا مَن ظُلِمَ﴾، بمعنى: إلاَّ من ظُلم فلا حرج عليه أن يخبر بما أسيء إليه. وإذا كان ذلك معناه؛ دخل فيه إخبار من لم يُقْرَ أو أسيء قراه، أو نيل بظلم في نفسه أو ماله عنوة من سائر الناس، وكذلك دعاؤه على من ناله بظلم أن ينصره الله عليه، لأن في دعائه عليه إعلامًا منه لمن سمع دعاءه عليه بالسوء له. وإذا كان ذلك كذلك، فَـ(مَنْ) في موضع نصب، لأنه منقطع عما قبله، وأنه لا أسماء قبله يستثنى منها، فهو نظير قوله: ﴿لَّسْتَ عَلَيْهِم بِمُصَيْطِرٍ ﴿٢٢﴾ إِلَّا مَن تَوَلَّىٰ وَكَفَرَ ﴿٢٣﴾﴾ [الغاشية].

وقال ابن هبيرة[2] في حديث معاذ: «واتق دعوة المظلوم، فإنه ليس بينها وبين الله حجاب»؛ لقدرته سبحانه على العدل الذي أمرَ به. قال: وعلى هذا أرى قوله تعالى: ﴿۞ لَّا يُحِبُّ اللَّهُ الْجَهْرَ بِالسُّوءِ مِنَ الْقَوْلِ إِلَّا مَن ظُلِمَ﴾ أن الاستثناء من الجنس ليس بمنقطع كما كان يقول الشيخ محمد بن يحيى الزبيدي؛ وذلك أنَّ المظلومَ إذا شكَا إلى الله تعالى اقتضى عدلُ الله عزَّ وجلّ الإيقاعَ بظالمه، فيحب الله سبحانه وتعالى أن يجهرَ المظلومُ بالشكوى ليكون المقدر، والإيقاع بالظالم مبسوط العذر عند الخلق، وزاجرًا لأمثاله عن أمثال فاعله، وإنما يمهل الظالم من جهة أنَّ الخلقَ إذا ملك أحدهم مملوكَيْنِ فجنى على أحدهم جنايةً فإنَّ أرْشَها لسيِّده، فالخلقُ ملك لله عزَّ وجلّ فلا اعتراض عليه، فلولا هذه الحالة لما كنتُ أطمعُ للظالم أن يؤخرَ الإيقاع به طرفةَ عين. انتهى كلامه.

وأما قوله: ﴿وَكَانَ اللَّهُ سَمِيعًا عَلِيمًا ﴿١٤٨﴾﴾، فإنه يعني: وكان الله سميعًا لما يجهرون به من سوء القول لمن يجهرون له به، وغير ذلك من أصواتكم وكلامكم، عليمًا بما تخفون من سوء قولكم وكلامكم لمن تخفون له به، فلا

---

(١) تفسير الطبري ٦/ ٤.

(٢) الآداب الشرعية ١/ ٢٦٣.

فلا تجهرون له به، محصٍ كل ذلك عليكم حتى يجازيكم على ذلك كله جزاءكم، المسيء بإساءته والمحسن بإحسانه.

وقوله: ﴿ إِن تُبْدُوا خَيْرًا أَوْ تُخْفُوهُ أَوْ تَعْفُوا عَن سُوٓءٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَفُوًّا قَدِيرًا ﴿١٤٩﴾ ﴾ [النساء: ١٤٩].

يعني بذلك جلَّ ثناؤه: ﴿ إِن تُبْدُوا ﴾ أيها الناس ﴿ خَيْرًا ﴾، يقول: إن تقولوا جميلاً من القول لمن أحسن إليكم، فتظهروا ذلك شكرًا منكم له على ما كان منه من حسن إليكم ﴿ أَوْ تُخْفُوهُ ﴾، يقول: أو تتركوا إظهار ذلك فلا تبدوه ﴿ أَوْ تَعْفُوا عَن سُوٓءٍ ﴾، يقول: أو تصفحوا لمن أساء إليكم عن إساءته، فلا تجهروا له بالسوء من القول الذي قد أذنت لكم أن تجهروا له به ﴿ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَفُوًّا ﴾، يقول: لم يزل ذا عفو عن خلقه، يصفح لهم عمن عصاه وخالف أمره ﴿ قَدِيرًا ﴿١٤٩﴾ ﴾، يقول: ذا قدرة على الانتقام منهم. وإنما يعني بذلك: أن الله لم يزل ذا عفو عن عباده مع قدرته على عقابهم على معصيتهم إياه. يقول: فاعفوا أنتم أيضًا أيها الناس عمن أتى إليكم ظلمًا، ولا تجهروا له بالسوء من القول، وإن قدرتم على الإساءة إليه، كما يعفو عنكم ربكم، مع قدرته على عقابكم، وأنتم تعصونه وتخالفون أمره.

وقال الألوسي(١): ﴿ أَوْ تَعْفُوا عَن سُوٓءٍ ﴾، أي: تصفحوا عمن أساء إليكم مع ما سوّغ لكم من مؤاخذته وأذن فيها، والتنصيص على هذا مع اندراجه في ابتداء الخير وإخفائه على أحد الأقوال للاعتداد به، والتنبيه على منزلته وكونه من الخير بمكان، وذكر إبداء الخير وإخفائه توطئة وتمهيدًا له كما ينبىء عن ذلك قوله تعالى: ﴿ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَفُوًّا قَدِيرًا ﴿١٤٩﴾ ﴾، فإن إيراد العفو في معرض جواب الشرط يدل على أن العمدة العفو مع القدرة، ولو كان إبداء الخير

---

(١) روح المعاني ٦/ ٣.

وإخفاؤه أيضًا مقصودًا بالشرط لم يحسن الاقتصار في الجزاء على كون الله تعالى عفوًا قديرًا، أي يكثر العفو عن العصاة مع كمال قدرته على المؤاخذة.

وقال الحسن: يعفو عن الجانين مع قدرته على الانتقام، فعليكم أن تقتدوا بسنَّة الله تعالى، وقال الكلبي: هو أقدر على عفو ذنوبكم منكم على عفو ذنوب من ظلمكم، وقيل: ﴿عَفُوًّا﴾ عمن عفا ﴿قَدِيرًا ﴿١٤٩﴾﴾ على إيصال الثواب إليه، نقله النيسابوري وغيره.

ووجه ربط هذه الآية بما قبلها ــ على ما قاله العلاَّمة الطيبي ــ أنه سبحانه لما فرغ من بيان إيراد رحمته وتقرير إظهار رأفته جاء بقوله جلّ وعلا: ﴿۞ لَّا يُحِبُّ ٱللَّهُ ٱلْجَهْرَ بِٱلسُّوٓءِ﴾ تتميمًا لذلك وتعليمًا للعباد التخلق بأخلاقه جلَّ جلاله. وفيه: أن هذا مما لا محصل له ولا تتم به المناسبة. وزعم أن الآية الأولى فيها أيضًا إشارة إلى تعليم التخلق بالأخلاق العلية ــ كما قرره عصام الملة ــ ورجا أن يكون من الملهمات، وحينئذٍ يشتركان في أنَّ كلاًّ منهما متضمنًا التعليم المذكور ليس بشيء كما لا يخفى. ومثل ذلك ما ذكره علي بن عيسى في وجه الاتصال وهو أنه تعالى شأنه لما ذكر أهل النفاق ــ وهو إظهار خلاف ما يبطن ــ بيَّن جلَّ وعلا أن ما في النفس منه ما يجوز إبطانه ومنه ما يجوز إظهاره. وقال شهاب الدين: الظاهر أنه لما ذكر الشكر على وجهٍ علم منه رضاه سبحانه به ومحبة إظهاره تمَّمه عزَّ وجلّ بذكر ضده، فكأنه قيل: إنه يحب الشكر وإعلانه ويكره السوء وإعلانه، وفيه احتباك بديع.

وقال الرازي[1]: اعلم أن معاقد الخيرات على كثرتها محصورة في أمرين: صدق مع الحق، وخُلُق مع الخلق، والذي يتعلق بالخلق محصور في قسمين: إيصال نفع إليهم، ودفع ضرر عنهم، فقوله: ﴿إِن تُبْدُوا۟ خَيْرًا أَوْ تُخْفُوهُ﴾

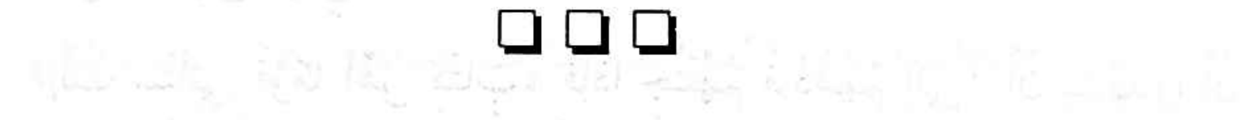
(١) تفسير الرازي ١١/ ٩١.

إشارة إلى إيصال النفع إليهم، وقوله: ﴿أَوْ تَعْفُوا۟﴾ إشارة إلى دفع الضرر عنهم، فدخل في هاتين الكلمتين جميع أنواع الخير وأعمال البر.

قال القطب في شرح الشهاب[1]: رُوي أن دعاء صنفين من الناس مستجاب لا محالة مؤمنًا كان أو كافرًا: دعاء المظلوم، ودعاء المضطر، لأن الله تعالى يقول: ﴿أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ﴾ [النمل: ٦٢]، وقال النبي ﷺ: «دعوة المظلوم مستجابة».

فإن قيل: أليس الله تعالى يقول ﴿وَمَا دُعَآءُ ٱلْكَـٰفِرِينَ إِلَّا فِى ضَلَـٰلٍ ﴿١٤﴾﴾ [الرعد: ١٤]، فكيف يستجاب دعاؤهم؟

قلت: الآية واردة في دعاء الكفار في النار، وهنالك لا تُرحم العَبرة، ولا تجاب الدعوة. وهذا الخبر الذي أوردناه يراد به في دار الدنيا، فلا تَدَافُع.



(١) الكشكول ص ٤١٢.

مما ورد من الأحاديث النبوية الصحيحة في دعوة المظلوم

الحديث الأول

عَنِ ابْنِ عَبَّاس رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّـهِ ﷺ لِمُعاذِ بنِ جَبَلٍ، حِينَ بَعَثَهُ إلَى ٱليَمَنِ:

«إنَّكَ سَتَأتِي قَوْمًا أَهْلَ كِتَابٍ، فَإِذَا جِئْتَهُمْ فَادْعُهُمْ إلَى: أَنْ يَشْهَدُوا أَنْ لاَ إِلَـٰهَ إلاَّ اللَّـهُ، وأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّـهِ، فَإِن هُمْ أطَاعُوا لَكَ بِذَلِكَ فَأَخْبِرْهُمْ أَنَ اللَّـهَ قَدْ فَرَضَ عَلَيْهِمْ خَمْسَ صَلَوَاتٍ في كُلِّ يَوْم وَلَيْلَةٍ، فَإِنْ هُمْ أَطَاعُوا لَكَ بِذلِكَ، فَأَخْبِرْهُمْ أَنَّ اللَّـهَ قَدْ فَرَضَ عَلَيْهِمْ صَدَقَةً تُؤْخَذُ مِنْ أغْنِيَائِهِمْ فَتُرَدُّ عَلَى فُقَرَائِهِمْ، فَإِنْ هُمْ أَطَاعُوا لَكَ بِذلِكَ، فَإِيَّاكَ وكَرَائِمَ أَمْوَالِهِمْ، وَٱتَّقِ دَعْوَةَ المَظْلُومِ، فَإِنَّهُ لَيْسَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ اللَّـهِ حِجَابٌ»[1].

(١) صحيح البخاري رقم ١٤٢٥، كتاب الزكاة، ورقم ٢٣١٦، كتاب المظالم، ورقم ٤٠٩٠، كتاب المغازي؛ صحيح مسلم رقم ٢٩، كتاب الإيمان؛ صحيح سنن أبي داود ١٤٠٢، كتاب الزكاة؛ صحيح ابن ماجه رقم ١٤٤٢، كتاب الزكاة؛ صحيح سنن الترمذي رقم ٥١١، باب الزكاة، ورقم ١٦٣٨، باب بر الوالدين؛ صحيح الجامع رقم ٢٢٩٤؛ أسنى المطالب رقم ٢٩؛ المقاصد الحسنة رقم ٢٠؛ كشف الخفاء رقم ١٣٠٣.

شرح الحديث:

(فإياك وكرائم أموالهم) جمع كريمة وهي خيار المال وأفضله، أي احترز من أخذ خيار أموالهم.

(واتق دعوة المظلوم)، أي: تجنب الظلم لئلا يدعو عليك المظلوم. وفيه تنبيه على المنع من جميع أنواع الظلم، والنكتة في ذكره عقب المنع من أخذ الكرائم: الإشارة إلى أن أخذها ظلم.

وقال بعضهم: عطف واتق على عامل إياك المحذوف وجوبًا، فالتقدير: اتق نفسك أن تتعرض للكرائم. وأشار بالعطف إلى أن أخذ الكرائم ظلم، ولكنه عمَّم، إشارة إلى التحرز عن الظلم مطلقًا.

(فإنه)، أي: الشأن، وفي رواية (فإنها)، أي: فإن دعوة المظلوم.

قوله (حجاب)، أي: ليس لها صارف يصرفها ولا مانع، والمراد أنها مقبولة وإن كان عاصيًا كما جاء في حديث آخر مفسرًا «دعوة المظلوم مستجابة، وإن كان فاجرًا ففجوره على نفسه»، وإسناده حسن، وليس المراد أن الله تعالى حجابًا يحجبه عن الناس. وقال الطيبي: قوله: «اتق دعوة المظلوم» تذييل لاشتماله على الظلم الخاص من أخذ الكرائم وعلى غيره، وقوله: «فإنه ليس بينها وبين الله حجاب» تعليل للاتقاء وتمثيل للدعاء، كمن يقصد دار السلطان متظلمًا فلا يحجب.

قال ابن العربي: إلَّا أنه وإن كان مطلقًا فهو مقيد بالحديث الآخر أن الداعي على ثلاث مراتب: إما أن يعجل له ما طلب، وإما أن يدخر له أفضل منه، وإما أن يدفع عنه من السوء مثله. وهذا كما قيد مطلق قوله تعالى: ﴿أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ﴾ [النمل: ٦٢]، بقوله تعالى: ﴿فَيَكْشِفُ مَا تَدْعُونَ إِلَيْهِ إِن شَآءَ﴾ [الأنعام: ٤١].

ذكر ما يستفاد منه:

فيه: عظة الإمام وتخويفه من الظلم، قال تعالى: ﴿أَلَا لَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ ۝١٨﴾ [هود: ١٨]، ولعنة الله إبعاده من رحمته. والظلم محرم في كل شريعة، وقد جاء: «إن دعوة المظلوم لا ترد وإن كانت من كافر».

وروى أحمد في مسنده من حديث أبي هريرة رضي الله تعالى عنه مرفوعًا: «دعوة المظلوم مستجابة وإن كان فاجرًا ففجوره على نفسه»، ومعنى ذلك: أن الرب سبحانه وتعالى لا يرضى ظلم الكافر كما لا يرضى ظلم المؤمن. وأخبر سبحانه وتعالى أنه لا يظلم الناس شيئًا، فدخل في عموم هذا اللفظ جميع الناس من مؤمن وكافر.

وحذر معاذًا رضي الله تعالى عنه من الظلم مع علمه وفضله وورعه وأنه من أهل بدر وقد شهد له بالجنة غير أنه لا يأمن أحدًا بل يشعر نفسه بالخوف.

وفيه: أن دعوة المظلوم لا تُرد، ولو كان فيه ما يقتضي أن لا يستجاب لمثله من كون مطعمه حرامًا أو نحو ذلك، حتى ورد في بعض طرقه: «وإن كان كافرًا ليس دونه حجاب»[1].

* * *

الحديث الثاني

عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «ثلاثُ دَعَوَاتٍ مُستَجابَاتٌ، لا شكَّ فيهنَّ: دَعْوَةُ الوالدِ على ولدِه، ودعوةُ المُسافرِ، ودعوةُ المظلومِ».

حسن، رواه البخاري في الأدب المفرد، والترمذي[2].

---

(١) فتح الباري ٣/ ٤٢١؛ عمدة القاري ٤/ ٢٣٨، و ٥/ ٩٤، و ١٢/ ٢٩٣، و ١٨/ ٥؛ شرح النووي ١/ ١٩٧، و ٩/ ١١٢؛ إرشاد الساري ٣/ ٧٩، و ٤/ ٢٥٨، ٦/ ٤٢٠؛ تحفة الأحوذي ٦/ ١٣١؛ عون المعبود ٤/ ٤٦٨.

(٢) صحيح الجامع ٣/ ٦٣، حديث ٣٠٢٨؛ السلسلة الصحيحة ٢/ ١٤٥، حديث ٥٩٦؛ =

شرح الحديث:

(ثلاث دعوات) مبتدأ خبره **(مستجابات لا شك فيهن)**، أي: في استجابتهن.

وهو آكد من حديث: «ثلاثة لا ترد دعوتهم»، وإنما آكد، لالتجاء هؤلاء الثلاثة إلى الله تعالى بصدق الطلب ورقة القلب وانكسار الخاطر، وقيَّدها بـ«لا شك فيهن» تفننًا في التقرير؛ لأن «لا ترد» كناية عن الاستجابة، والكناية أبلغ من الصريح، فجبر الصريح هنا بقوله «لا شك فيهن». وهناك لم يحتج للجبر مع وجود الأبلغية.

وأخذ من هذا الخبر وما أشبهه أن الأب أولى بالصلاة على جنازة ولده.

أما المظلوم فلظلامته وقهره، وأما المسافر فلغربته ووحدته، وأما الوالد فلرفعة منزلته.

(دعوة الوالد) مثلهم الشيخ والمعلم، ولم يذكر الوالدة لأن حقها أكثر فدعاؤها أولى بالإجابة.

ثم الظاهر أن ما ذكر في الوالد مخصوص بما إذا كان الولد كافرًا أو عاقًا غاليًا في العقوق لا يرجى برّه.

(ودعوة المسافر) يحتمل أن تكون دعوته [بالخير] لمن أحسن إليه، وبالشر لمن أذاه وأساء إليه؛ لأن دعاءه لا يخلو عن الرقة.

(ودعوة المظلوم)، أي: لمن يعينه وينصره، أو يسليه ويهون عليه، أو على من ظلمه بأي نوع من أنواع الظلم.

وقد ورد في التحذير من دعاء المظلوم أحاديث لا تكاد تحصى، ومصرع

= تاريخ دمشق ٢٩/ ١٧٧؛ صحيح سنن الترمذي حديث ١٥٥٥ أبواب بر الوالدين، وحديث ٢٧٤١ أبواب الدعوات؛ صحيح الأدب المفرد حديث ٣٧٢ باب دعوة المظلوم.

الظالم قريب، والرب تعالى في الدعاء عليه يجيب، سيما بحالة الاحتراق والانكسار والذلة والصَّغار بين يدي الملك الجبار في ساعة الأسحار، وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون[1].

* * *

الحديث الثالث

عن أبـي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «ثلاثُ دعَواتٍ يُستَجابُ لهنَّ لا شكَّ فيهنَّ: دعوة المظلومِ، ودعوةُ المُسافرِ، ودعوةُ الوالِدِ لوَلدِه».

حسن، رواه ابن ماجه[2].

شرح الحديث:

(ثلاث دعوات يستجاب لهن لا شك فيهن)، أي: في إجابتهن: **(دعوة المظلوم)** على من ظلمه وإن كان فاجرًا ففجوره على نفسه، **(ودعوة المسافر)** في سفر جائز، **(ودعوة الوالد لولده)** لأنه صحيح الشفقة عليه كثير الإيثار له على نفسه فلما صحت شفقته استجيبت دعوته، ولم يذكر الوالدة مع أن آكدية حقها تؤذن بأقربية دعائها إلى الإجابة من الوالد لأنه معلوم بالأولى.

فائدة: قال المقريزي في تذكرته: يستجاب الدعاء في أوقات منها: عند القيام إلى الصلاة، وعند لقاء العدو في الحرب، وإذا قال مثل ما يقول المؤذن ثم دعا، وبين الأذان والإقامة، وعند نزول المطر، ودعوة الوالد لولده، والمظلوم حتى ينتصر، ودعوة المسافر حتى يرجع، والمريض حتى يبرأ، وفي

---

(١) عون المعبود ٤/ ٣٩٤؛ فيض القدير ٣/ ٣٠١؛ تحفة الأحوذي ٩/ ٢٨٦.

(٢) صحيح الجامع ٣/ ٦٤ حديث ٣٠٣٠؛ صحيح سنن ابن ماجه، حديث ٣١١٥ كتاب الدعاء؛ جامع العلوم والحكم ٢٦٩؛ مساوىء الأخلاق ٢٨١؛ البرّ والصلة ١١٨؛ المقاصد الحسنة رقم ٢٠.

ساعة من الليل، وفي ساعة من يوم الجمعة، وفي الموقف بعرفة، ودعوة الحاج حتى يصدر والغازي حتى يرجع، وعند رؤية الكعبة، ودعاءٌ تقدمه الثناء على الله تعالى والصلاة على نبيه ﷺ، ودعاء الصائم مطلقًا، ودعاؤه عند فطوره، ودعاء الإمام العادل، ودعاء عبد رفع يديه إلى الله تعالى، والدعاء عند خشوع القلب واقشعرار الجلد، ودعاء الغائب للغائب(١).

* * *

الحديث الرابع

عن أبـي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «ثلاثُ دعَواتٍ مُستَجاباتٌ: دعوةُ الصَّائمِ، ودعوةُ المظلومِ، ودعوةُ المُسافرِ».

صحيح، رواه البيهقي(٢).

شرح الحديث:

(**ثلاث دعوات**) بفتح العين (**مستجابات**) عند الله تعالى إذا توفرت شروطها: (**دعوة الصائم**) حتى يفطر، ومراده كامل الصوم الذي صان جميع جوارحه من المخالفات فيجاب دعاؤه لطهارة جسده بمخالفة هواه، (**ودعوة المسافر**) حتى يصدر إلى أهله، (**ودعوة المظلوم**) على من ظلمه حتى ينتقم منه بيد أو لسان.

نكتة: قال الماوردي: من الأجوبة المسكتة، أنه قيل لعلي كرم الله وجهه: كم بين السماء والأرض؟ قال: دعوة مستجابة، قيل: كم بين المشرق والمغرب؟ قال: مسيرة يوم للشمس.

---

(١) فيض القدير ٣/ ٣٠١.

(٢) صحيح الجامع ٣/ ٦٣، حديث ٣٠٢٧؛ السلسلة الصحيحة ٤/ ٤٠٦، حديث ١٧٩٧.

فسؤال السائل إما اختبار وإما استبصار فصدر عنه من الجواب ما أسكته[1].

* * *

الحديث الخامس

عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «ثلاثةٌ لا يردُّ اللَّهُ دعاءَهم: الذاكرُ اللَّهَ كثيرًا، والمظلومُ، والإمامُ المُقسِطُ».

حسن، رواه البيهقي في «شعب الإيمان»[2].

شرح الحديث:

(ثلاثة لا يرد الله دعاءهم)، إذا توفرت شروطه وأركانه: (الذاكر الله كثيرًا)، يحتمل على الدوام ويحتمل الذاكر كثيرًا عند إرادة الدعاء، (والمظلوم) وإن كان كافرًا، (والإمام المقسط)[3].

* * *

الحديث السادس

عن عقبة بن عامر قال: قال رسول الله ﷺ: «ثلاثةٌ تُستَجابُ دعوتُهم: الوالِدُ، والمُسَافِرُ، والمظلومُ».

حسن، رواه أبو داود[4].

---

(1) فيض القدير ٣/ ٣٠٠.

(2) صحيح الجامع ٣/ ٧٢ حديث ٣٠٥٩؛ السلسلة الصحيحة ٣/ ٢١١، حديث ١٢١١؛ فضيلة العادلين من الولاة ١٣٣؛ كشف الخفاء رقم ١٠٤٥.

(3) فيض القدير ٣/ ٣٢٧.

(4) صحيح الجامع ٣/ ٦٨، حديث ٣٠٤٤؛ السلسلة الصحيحة ٢/ ١٤٦؛ صحيح سنن أبي داود، حديث ١٣٥٩، كتاب الصلاة؛ تاريخ بغداد ١٢/ ٣٨١، البر والصلة ١١٦.

شرح الحديث :

(ثلاثة تستجاب دعوتهم: الوالد) لولده، **(والمسافر، والمظلوم)** على ظالمه؛ لأن السفر مظنة حصول انكسار القلب بطول الغربة عن الأوطان وتحمل المشاق. والانكسار من أعظم أسباب الإجابة، والمظلوم مضطر[1].

* * *

الحديث السابع

عن عبد اللّـٰهِ بن سَرْجِسَ، أن رسول الله ﷺ كان إذا سافر قال:

«اللّـٰهُمَّ إنِّي أعُوذُ بِكَ مِنْ وَعْثَاء السَّفَر، وَكَآبَةِ المُنْقَلَبِ، وَالحَوْرِ بَعْدَ الكَوْرِ، وَدَعْوَةِ المَظْلُوم، وَسُوء المَنْظرِ في الأهلِ وَالمَالِ وَالوَلَدِ»[2].

شرح الحديث :

(ومن الحور بعد الكور)، أي: من النقصان بعد الزيادة. وقيل، من فساد الأمور بعد صلاحها. وأصل الحور نقض العمامة بعد لفها، وأصل الكور من تكوير العمامة وهو لفها وجمعها.

(ومن دعوة المظلوم)، أي: أعوذ بك من الظلم فإنه يترتب عليه دعاء المظلوم، ودعوة المظلوم ليس بينها وبين الله حجاب، ففيه التحذير من الظلم ومن التعرض لأسبابه.

قال الطيبي: فإن قلتَ: دعوة المظلوم يحترز عنها سواء كانت في الحضر أو السفر، قلت: كذلك الحور بعد الكور لكن السفر مظنة البلايا والمصائب والمشقة فيه أكثر فخصت به، انتهى.

---

(١) فيض القدير ٣/ ٣١٧.

(٢) صحيح مسلم رقم ٤٢٦ و ٤٢٧، كتاب الحج؛ صحيح ابن ماجه رقم ٣١٣٦، كتاب الدعاء؛ صحيح النسائي رقم ٥٠٧٢ و ٥٠٧٣ و٥٠٧٤، كتاب الاستعاذة؛ صحيح الترمذي رقم ٢٧٣٥، باب الدعوات؛ تاريخ دمشق ٦/ ٢٥، تنبيه الغافلين ٥٤٨.

ويريد به أنه يكون حينئذ مظنة للنقصان في الدين والدنيا وباعث على التعدي في حق الرفقة وغيرهم لا سيما في مضيق الماء كما هو مشاهد في سفر الحج فضلاً عن غيره[1].

* * *

الحديث الثامن

عن زيد بن أرقم قال: قال رسول الله ﷺ: «ٱعبُدِ ٱللَّـهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ، فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ، وَٱحْسُبْ نَفْسَكَ مَعَ ٱلمَوْتَى، وَٱتَّقِ دَعْوَةَ ٱلمَظْلُومِ فإنَّها مُسْتَجَابَةٌ».

أخرجه في الحلية[2].

شرح الحديث:

(أعبد الله كأنك تراه) ومحال أن تراه وتشهد معه سواه، وهذا يسمى مقام المشاهدة والمراقبة وهو أن لا يلتفت العابد في عبادته بظاهره إلى ما يلهيه عن مقصوده، ولا يشغل باطنه بما يشغله عن مشاهدة معبوده، فإن لم يحصل له هذا المقام هبط إلى مقام المراقبة المشار إليه بقوله (فإن لم تكن تراه فإنه يراك)، أي: أنك بمرأى من ربك لا يخفاه شيء من أمرك. ومن علم أن معبوده مشاهد لعبادته تعين عليه تزيين ظاهره بالخشوع وباطنه بالإخلاص والحضور فإنه ﴿يَعْلَمُ خَآئِنَةَ ٱلْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِى ٱلصُّدُورُ ﴿١٩﴾﴾ وفيه حث على كمال الإخلاص ولزوم المراقبة.

قيل: راود رجل امرأة فقالت: ألا تستحي؟ فقال: لا يرانا إلاَّ الكواكب، قالت: فأين أنت من مكوكبها؟

وقال العارف ابن عربي: لو لم يبصرك ولم يسمعك لجهل كثيرًا منك ونسبة الجهل إليه محال، فلا سبيل إلى نفي هاتين الصفتين عنه بحال.

---

(١) تحفة الأحوذي ٩/ ٢٨٠.

(٢) صحيح الجامع ١/ ٣٤٤؛ السلسلة الصحيحة ٣/ ٤٦٠؛ كشف الخفاء رقم ٤٢٩.

(واحسب نفسك مع الموتى)، أي: عدَّ نفسك من أهل القبور، وكن في الدنيا كأنك غريب أو عابر سبيل، (واتق دعوة المظلوم)، أي: دعواته إذ هو مفرد مضاف (فإنها مستجابة)، ولو بعد حين[1].

* * *

الحديث التاسع

عن أبي الدرداء قال: قال رسول الله ﷺ: «اعبدِ اللّـهَ كأنكَ تراهُ، وعدَّ نفسكَ في الموتى، وإيَّاكَ ودعواتِ المظلومِ، فإنَّهنَّ مجاباتٌ، وعليكَ بصلاةِ الغداةِ وصلاةِ العِشَاءِ فاشهَدهما، فَلَوْ تَعْلَمُونَ ما فيهمَا لأتيتمُوهما ولوْ حبوًا».

أخرجه وكيع وابن عساكر[2].

شرح الحديث:

(اعبد الله) وحده حال كونك (كأنك تراه) فإن العبد إذا علم أن الله مطلع على عبادته وسره وعلنه فيها اجتهد في إخلاصه وإتقانها على أكمل ما أمكنه، وليس في هذا ونحوه ما يدل على جواز رؤيته تعالى في الدنيا كما وهم، (وعد نفسك في الموتى)، أي: اقطع أطماعك في الدنيا وأهلها واخمل ذكرك واخف شأنك كما أن الموتى قد انقطعت أطماعهم من الدنيا وأهلها واشهد مشاهد القيامة، وعد نفسك ضيفًا في بيتك وروحك عارية في بدنك خاشع القلب متواضع النفس بَريء من الكبر، تنظر إلى الليل والنهار فتعلم أنها في هدم عمرك، ومن عقد قلبه على ذلك استراح من الهموم وانزاحت عنه الغموم.

(وإياك ودعوات المظلوم)، أي: احذرها واجتنب ما يؤدي إليها. وفي

---

(١) فيض القدير ١/ ٥٥١.

(٢) صحيح الجامع ١/ ٣٤٤، حديث ١٠٤٩؛ السلسلة الصحيحة ٣/ ٤٦٠، حديث ١٤٧٤؛ تاريخ دمشق ٦٨/ ١١٣؛ زهد وكيع ١/ ٢٣٦.

رواية: «دعوة المظلوم» بالإفراد (**فإنهنَّ مجابات**)، بلا شك لما مر أنها ليس بينها وبين الله حجاب وأنها تصعد إلى السماء كأنها شرارة.

(**وعليك بصلاة الغداة**)، أي: الصبح (**وصلاة العشاء فاشهدهما**)، أي: احضر جماعتهما وداوم عليهما، (**فلو تعلمون**) ـ جمع بعد الإفراد إشارة إلى أن الخطاب وإن وقع لمفرد معيَّن فالقصد التعميم ـ (**ما فيهما**) من مزيد الفضل ومضاعفة الأجر وكثرة الثواب وقمع النفس والشيطان وقهر أهل النفاق والطغيان (**لأتيتموهما**)، أي: أتيتم محل جماعتهما (**ولو**) كان إتيانكم له إنما هو (**حبوًا**)، أي: زحفًا على الاست أو على الأيدي والأرجل، يعني: لجئتم إلى محل الجماعة لفعلهما معهم ولو بغاية المشقة والجهد والكلفة، فكنى بالزحف عن ذلك. ووجه تخصيصهما بذلك ما فيهما من المشقة كما مر[1].

* * *

الحديث العاشر

عن ابن عمر قال: قال رسول الله ﷺ: «اتقوا دعوة المَظلُومِ، فإنها تصعدُ إلى السماءِ كأنَّها شرارة».

صحيح، رواه الحاكم[2].

شرح الحديث:

(**اتقوا دعوة المظلوم فإنها تصعد إلى السماء كأنها شرارة**)، كناية عن سرعة الوصول لأنه مضطر في دعائه، وقد قال الله سبحانه وتعالى: ﴿ أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ ﴾ [النمل: ٦٢]، وكلما قوي الظلم قوي تأثيره في النفس

---

(١) فيض القدير ١/ ٥٥١.

(٢) صحيح الجامع ١/ ٩١، حديث ١١٧؛ السلسلة الصحيحة ٢/ ٥٢٨، حديث ٨٧١؛ مختصر العلو ٨٦، سير أعلام النبلاء ٢/ ٣٥٠؛ تاريخ بغداد ٤/ ١٨٤؛ كشف الخفاء رقم ٧٥؛ المقاصد الحسنة رقم ٢٠.

فاشتدّت ضراعة المظلوم فقويت استجابته. والشرر ما تطاير من النار في الهواء، شبّه سرعة صعودها بسرعة طيران الشرر من النار[1].

* * *

الحديث الحادي عشر

عن أنس قال: قال رسول الله ﷺ: «اتقوا دعوةَ المظلومِ، وإن كانَ كافرًا، فإنهُ ليسَ دونها حجابٌ».

حسن، رواه أحمد[2].

شرح الحديث:

(اتقوا دعوة المظلوم)، أي: تجنبوا الظلم لئلا يدعو عليكم المظلوم (وإن كان كافرًا)؛ فإن دعوته إن كان مظلومًا مستجابة وفجوره على نفسه وفي حديث أحمد عن أبي هريرة مرفوعًا: «دعوة المظلوم مستجابة ولو كان فاجرًا ففجوره على نفسه»، وإسناده كما في الفتح حسن.

وروى ابن حبان[3] والحاكم عن أبي ذر من حديث طويل أن في صحف إبراهيم: (أيها الملك المسلط المبتلى المغرور إني لم أبعثك لتجمع الدنيا بعضها إلى بعض، ولكني بعثتك لترد عني دعوة المظلوم فإني لا أردّها ولو من كافر). ولا ينافيه ﴿وَمَا دُعَآءُ ٱلْكَٰفِرِينَ إِلَّا فِى ضَلَٰلٍ ۝١٤﴾ [الرعد: ١٤]، لأن ذلك في دعائهم للنجاة من نار الآخرة فلا يدل على عدم اعتباره في الدنيا.

---

(١) فيض القدير ١/ ١٤٢.

(٢) صحيح الجامع ١/ ٩١، حديث ١١٨، و ٢/ ٣٨٥، حديث ٢٦٧٩؛ السلسلة الصحيحة ٢/ ٣٩٥، حديث ٧٦٧؛ مكارم الأخلاق ٣٥٩، أسنى المطالب ٢٩، المقاصد الحسنة رقم ٢٠، كشف الخفاء رقم ٧٥.

(٣) حديث ضعيف، انظر: فصل الأحاديث الضعيفة.

ثم علل الاتقاء بقوله (فإنه)، أي: الشأن، قال القرطبي: الرواية الصحيحة فإنه بضمير المذكر على أن يكون ضمير الأمر والشأن ويحتمل عوده على مذكر الدعوة فإن مذكر الدعوة دعاء، وفي رواية فإنها بالتأنيث وهو عائد على لفظ الدعوة، (ليس دونه)، وفي رواية دونها (حجاب)، أي: ليس بينها وبين القبول حجاب مانع. والحجاب هنا ليس حسيًا لاقتضائه نوعًا من البعد واستقرار في مكان، والله سبحانه وتعالى منزه عن ذلك وأقرب لكل شيء من نفسه، فهو تمثيل لمن يقصد باب سلطان عادل جالس لرفع المظالم فإنه لا يحجب[١].

* * *

الحديث الثاني عشر

عن أنس قال: قال رسول الله ﷺ: «إياكم ودعوةَ المظلومِ، وإن كانتْ مِن كافرٍ، فإنهُ ليسَ لَهَا حِجابٌ دونَ اللَّـهِ عزَّ وجلّ».

حسن، رواه الخرائطي[٢].

شرح الحديث:

(إياكم ودعوة المظلوم)، أي: احذروا جميع أنواع الظلم لئلا يدعو عليكم المظلوم (وإن كانت من كافر فإنه)، أي: الشأن، وفي رواية للبخاري فإنها أي: الدعوة (ليس لها حجاب دون الله عز وجل)، يعني: أنها مستجابة قطعًا وليس لله حجاب يحجبه عن خلقه.

---

(١) فيض القدير ١/ ١٤٢.

(٢) السلسلة الصحيحة ٢/ ٣٩٥، حديث ٧٦٧؛ صحيح الجامع ١/ ٩١، حديث ١١٨، و ٢/ ٣٨٥، حديث ٢٦٧٩؛ مكارم الأخلاق ٣٥٩؛ المقاصد الحسنة رقم ٢٠؛ كشف الخفاء رقم ٧٥؛ أسنى المطالب ٢٩.

قال ابن الجوزي: الظلم يشتمل على معصيتين أخذ حق الغير بغير حق ومبارزة الرب بالمخالفة. والمعصية فيه أشد من غيرها لأنه لا يقع غالبًا إلا لضعيف لا يمكنه الانتصار وإنما نشأ الظلم من ظلمة القلب لأنه لو استنار بنور الهدى لاعتبر، فإذا سعى المتقون بنورهم الحاصل بسبب التقوى اكتنفت الظالم ظلمات الظلم حتى لا يغني عنه ظلمه شيئًا[1].

* * *

الحديث الثالث عشر

عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «دعوةُ المظلومِ مُستَجَابةٌ، وإنْ كانَ فاجرًا، فَفُجورُهُ على نَفْسِهِ».

حسن، رواه الطيالسي[2].

شرح الحديث:

(دعوة المظلوم مستجابة)، أي: يستجيبها الله تعالى، يعني: فاجتنبوا جميع أنواع الظلم لئلا يدعو عليكم المظلوم فيجاب (**وإن كان فاجرًا؛ ففجوره** على نفسه)، ولا يقدح ذلك في استجابة دعائه لأنه مضطر ونشأ من اضطراره صحة التجاؤه إلى ربه وقطعه قلبه عما سواه، وللإخلاص عند الله موقع، وقد ضمن إجابة المضطر بقوله: ﴿ أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ ﴾ [النمل: ٢٧]. ويحتمل أن يريد بالفاجر الكافر ويحتمل أن يريد الفاسق.

تنبيه: ينبغي أن يعتقد أن دعوة المظلوم مستجابة ولا ينافيه عدم ظهور أثرها حالاً لأنه تعالى ضمن الإجابة لدعائه في الوقت الذي يريد لا في الوقت الذي تريد كما في الحكم العطائية. وله في ذلك حكم: فتخلفها عن الحصول

---

(١) فيض القدير ٣/ ١٢٧.

(٢) صحيح الجامع ٣/ ١٤٥، حديث ٣٣٧٧.

عقب الدعاء إنما هو بسبب فاحذر أن تقول قد دعا فلان على فلان الظالم فلم يستجب له ولو كان فلان صالحًا كان دعاؤه على من ظلمه مفيدًا. ونحو ذلك من كلمات الجهالات الدائرة على ألسنة العامة، ولله در القائل:

أتهزأ بالدعاء وتزدريه   وما يدريك ما صنع الدعاء

سهام الليل لا تخطي ولكن   لها أمد وللأمد انقضاء[(١)]

* * *

الحديث الرابع عشر

عن خزيمة بن ثابت قال: قال رسول الله ﷺ: «اتقوا دعوةَ المظلوم، فإنها تُحْمَلُ على الغَمَامِ، يقولُ اللَّـهُ: وعزَّتي وجلالي لأنصرنَّكِ ولو بعدَ حينٍ».

حسن، رواه الطبراني[(٢)].

شرح الحديث:

(اتقوا دعوة المظلوم)، أي: اجتنبوا دعوة من تظلمونه، وذلك مستلزم لتجنب جميع أنواع الظلم على أبلغ وجه وأوجز إشارة وأفصح عبارة، لأنه إذا اتقى دعاء المظلوم لم يظلم فهو أبلغ من قوله لا تظلم، وهذا نوع شريف من أنواع البديع يسمى تعليقًا، ثم بيّن وجه النهي بقوله: **(فإنها تحمل على الغمام)**، أي: يأمر الله برفعها حتى تجاوز الغمام، أي: السحاب الأبيض حتى تصل إلى

---

(١) فيض القدير ٣/ ٥٢٦.

(٢) صحيح الجامع ١/ ٩٠، حديث ١١٦؛ السلسلة الصحيحة ٢/ ٥٢٦، حديث ٨٧٠؛ المجالسة ٧/ ٢٨٠؛ مكارم الأخلاق ٣٥٩؛ تاريخ الطبري ١١/ ٥٧٢؛ مساوىء الأخلاق ٢٨٠؛ المقاصد الحسنة رقم ٢٠؛ كشف الخفاء رقم ٧٥؛ أسنى المطالب ٢٩.

حضرته تقدَّس. وقيل: الغمام شيء أبيض فوق السماء السابعة فإذا سقط لا تقوم به السموات السبع بل يتشققن، قال الله تعالى: ﴿وَيَوْمَ تَشَقَّقُ ٱلسَّمَآءُ بِٱلْغَمَٰمِ﴾ [الفرقان: ٢٥]، وعلى هذا فالرفع والغمام حقيقة ولا مانع من تجسيم المعاني كما مر، لكن الذي صار إليه القاضي: الحمل على المجاز، حيث قال: استأنف لهذه الجملة لفخامة شأن دعاء المظلوم واختصاصه بمزيد قبوله، ورفعه على الغمام وفتح أبواب السماء له مجاز عن إثارة الآثار العلوية وجمع الأسباب السماوية على انتصاره بالانتقام من الظالم وإنزال البأس عليه.

وقوله: (يقول الله وعزتي وجلالي لأنصرنك)، بلام القسم ونون التوكيد الثقيلة وفتح الكاف، أي: لأستخلصن لك الحق ممن ظلمك. وفتح الكاف هو ما اقتصر عليه جمع، فإن كان الرواية فهو متعين وإلاَّ فلا مانع من الكسر، أي: لأستخلصن لصاحبك، وتجسد المعاني وجعلها بحيث تعقل لا مانع منه.

(ولو بعد حين)، أي: أمد طويل، بل دل به سبحانه على أنه يمهل الظالم ولا يهمله ﴿وَرَبُّكَ ٱلْغَفُورُ ذُو ٱلرَّحْمَةِ لَوْ يُؤَاخِذُهُم بِمَا كَسَبُوا۟ لَعَجَّلَ لَهُمُ ٱلْعَذَابَ بَل لَّهُم مَّوْعِدٌ﴾، وقد جاء في بعض الآثار أنه كان بين قوله: ﴿قَدْ أُجِيبَت دَّعْوَتُكُمَا﴾ وغرق فرعون أربعون عامًا، ووقوع العفو عن بعض أفراد الظلمة يكون مع تعويض المظلوم فهو نصر أيضًا.

وفيه: تحذير شديد من الظلم وأن مراتعه وخيمة ومصائبه عظيمة قال:

نامت جفونك والمظلوم منتبه ... يدعو عليك وعين الله لم تنم

والحين الزمان قلَّ أو كثر، والمراد هنا الزمان المطلق نحو: ﴿وَلَتَعْلَمُنَّ نَبَأَهُۥ بَعْدَ حِينٍۭ ﴿٨٨﴾﴾[1].

* * *

(١) فيض القدير ١/ ١٤٢.

الحديث الخامس عشر

عن أبـي هريرة قال: قال النبـي ﷺ: «ثلاث دعوات مستجابات لهن، لا شك فيهن: دعوةُ المظلوم، ودعوةُ المسافر، ودعوةُ الوالدين على ولدهما».

حسن، رواه البخاري في الأدب المفرد[1].

* * *

الحديث السادس عشر

عن أبـي هريرة يقول: قال رسول الله ﷺ: «يا ابن آدم! اعمل كأنك ترى، وعُدَّ نفسك مع الموتى، وإياك ودعوة المظلوم».

حسن، رواه أحمد[2].

* * *

الحديث السابع عشر

عن جابر قال: لما رَجَعَت إلى رسول الله ﷺ مهاجرة البحر، قال: «ألا تُحَدِّثُونِي بِأَعَاجِيبِ مَا رَأَيْتُمْ بِأَرْضِ الحَبَشَةِ؟». قال فتية منهم: بلى يا رسول الله! بينا نحن جلوس، مرت بنا عجوز من عجائز رهابينهم تحمل على رأسها قُلَّةً من ماء، فمرت بفتى منهم، فجعل إحدى يديه بين كتفيها ثم دفعها، فخرت على ركبتيها، فانكسرت قُلَّتها، فلما ارتفعت، التفتت إليه فقالت: سوف تعلم، يا غُدَرُ! إذا وضع الله الكرسي، وجمع الأولين والآخرين، وتكلمت الأيدي والأرجل بما كانوا يكسبون، فسوف تعلم كيف أمري وأمرك، عنده غدًا.

---

(١) صحيح الأدب المفرد رقم ٢٤؛ باب دعوة الوالدين.

(٢) السلسلة الصحيحة ٣/ ١٤٨.

قال، يقول رسول الله ﷺ: «صَدَقَتْ، صَدَقَتْ، كَيْفَ يُقَدِّسُ اللهُ أُمَّةً لا يُؤخَذُ لِضَعِيفِهِمْ مِنْ شَدِيدِهِمْ؟».

صحيح: رواه ابن ماجه[1].

* * *

الحديث الثامن عشر

عَنْ زَيْدِ بنِ أَسْلَمَ، عَنْ أَبِيهِ: أَنَّ عُمَرَ بنَ الخَطَّاب رَضِي اللَّهُ عَنْهُ استَعْمَلَ مَوْلَىً لَهُ يُدْعى هُنَيًا عَلَى الحِمَى، فَقَالَ: يَا هُنَيُّ اُضمُمْ جَناحَكَ عَنِ المُسْلِمِينَ، وَاتَّقِ دَعْوَةَ المَظْلُوم، فإنَّ دَعْوَةَ المظلوم مُستَجابَةٌ. وَأَدخِل رَبَّ الصُّرَيْمَةِ وَرَبَّ الغُنَيْمَةِ، وَإِيَّايَ وَنَعَمَ ابنِ عَوْفٍ وَنَعَمَ ابنَ عَفَّانَ، فإنَّهُمَا إن تَهْلِكْ ماشِيَتُهُمَا يَرْجِعَا إِلَى نَخْلٍ وَزَرْعٍ. وَإِنَّ رَبَّ الصُّرَيْمَة، وَرَبَّ الغُنَيْمَةِ: إِنْ تَهْلِكْ ماشِيَتُهُمَا، يَأْتِنِي بِبَنِيهِ فَيَقُولُ: يَا أَمِيرَ المُؤمِنِينَ؟ أَفَتارِكُهُمْ أَنَا، لَا أَبَا لَكَ ـ فَالمَاءُ وَالكَلأُ أَيْسَرُ عَلَيَّ مِنَ الذَّهَبِ وَالوَرِقِ، وَايْمُ اللَّهِ إنَّهُمْ لَيَرَونَ أَنِّي قَدْ ظَلَمْتُهُم، إنَّها لَبِلَادُهُمْ، قَاتَلُوا عَلَيْهَا في الجَاهِلِيَّةِ، وَأَسْلَمُوا عَلَيْهَا في الإِسْلَامِ ـ وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَوْلَا المَالُ أَحْمِلُ عَلَيْهِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، ما حَمَيْتُ عَلَيْهِمْ مِنْ بِلَادِهِمْ شِبْرًا[2].

❑❑❑

---

(1) صحيح سنن ابن ماجه ٢/٣٦٨، حديث ٣٢٣٨؛ مختصر العلو ١٠٦؛ كتاب السنة ٢٥٧؛ مساوىء الأخلاق ٢٧٨؛ المقاصد الحسنة رقم ٤٢٤؛ كشف الخفاء رقم ١١٨٤.

(2) صحيح البخاري رقم ٢٨٩٤ كتاب الجهاد والسير؛ تاريخ دمشق ٤٤/٣٤١.

مما ورد من الأحاديث الضعيفة
في دعوة المظلوم

الحديث الأول

عن علي بن أبـي طالب مرفوعًا: «اتَّق يا عليُّ دعوة المظلومِ، فإنَّما يسأل الله حقَّه، وإن الله لن يمنع ذا حقٍّ حقَّهُ».

«ضعيف»[1].

شرح الحديث:

(اتق يا علي) هكذا هو ثابت في رواية مخرِّجه الخطيب (دعوة) بفتح الدال: المرة من دعاء، أي: تجنب دعاء (المظلوم)، أي: من ظلمته بأي وجه كان من نحو استيلاء على ما يستحقه أو إيذاء له، بأن تردّ إليه حقه أو تمكنه من استيفائه؛ فإنك إن ظلمته ودعا عليك استجيب له وإن كان عاصيًا مجاهرًا؛ فإنه إذا دعا عليك؛ (فإنما يسأل الله حقه)، أي: الشيء الواجب له على خصمه (وإن الله تعالى لن يمنع ذا حق)، أي: صاحب حق (حقه) لأنه الحاكم العادل.

نعم، ورد أن الله سبحانه وتعالى يرضي خصوم بعض عباده بما شاء، وفي خبر رواه ابن لال والديلي وغيرهما أن في صحف إبراهيم: (أيها الملك

---

(1) ضعيف الجامع ١/ ٨٢، حديث ١١٠؛ السلسلة الضعيفة ٤/ ١٩١، حديث ١٦٩٩؛ أسرار الحكماء ص ١٦٨ «من قول علي موقوفًا»؛ تاريخ بغداد ٩/ ٢٠٢؛ مكارم الأخلاق ص ٢٨٥؛ حلية الأولياء ٣/ ٢٠٢؛ كشف الخفاء رقم ٧٥.

المسلط المبتلى المغرور إني لم أبعثك لتجمع الدنيا بعضها لبعض لكن بعثتك لترد عني دعوة المظلوم فإني لا أردها ولو كانت من كافر).

وقال ابن عبد العزيز: إن الله يأخذ للمظلوم حقه من الظالم، فإياك أن تظلم من لا ينتصر عليك إلَّا بالله تعالى؛ فإنه تعالى إذا علم التجاء عبده إليه بصدق واضطرار انتصر له ولا بد؛ ﴿أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ﴾.

وقال عبد الله بن سلام: لما خلق الله الملائكة رفعت رؤوسها إلى السماء، فقالت: يا ربنا مع من أنت؟؛ قال: مع المظلوم حتى يؤدى إليه حقه.

قال الراغب: والحق يقال على أوجه، ويستعمل استعمال الواجب واللازم والجائز، نحو: ﴿وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٧﴾﴾ [الروم: ٤٧][(١)].

***

الحديث الثاني

عن أبي سعيد وأبي هريرة معًا مرفوعًا: «اجتنبوا دعوات المظلوم، ما بينها وبينَ اللَّهِ حجابٌ».

ضعيف[(٢)].

شرح الحديث:

(اجتنبوا) وجوبًا (دعوات) وفي رواية: دعوة، وهو بمعناه لأنه مفرد مضاف فيعم، (المظلوم) فإنها (ما) أي: ليس (بينها وبين الله) تعالى (حجاب) مجاز عن سرعة القبول كما مر.

---

(١) فيض القدير ١/ ١٢٥.

(٢) ضعيف الجامع ١/ ٩٢، حديث ١٤٤؛ السلسلة الضعيفة ٥/ ١٤٧، حديث ٢١٢٧؛ موسوعة الأحاديث والآثار الضعيفة والموضوعة ٥٧٢.

ومن عرف هذا وعلم أن وراء الظالمين طالبًا لا يرد بأسه ولم يقلع ويرجع فقد طبع على قلبه وحجب عن ربه، ثم هذا وإن كان مطلقًا فهو مقيد بالحديث الآخر: أن الدعاء على ثلاث مراتب: إما أن يعجل له ما طلب، أو يدخر له أفضل منه، أو يدفع عنه من السوء مثله. كما قيد ﴿ أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ ﴾ بقوله تعالى: ﴿ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ ﴾ [النمل: ٦٢]، وبقوله: ﴿ فَيَكْشِفُ مَا تَدْعُونَ إِلَيْهِ إِن شَآءَ ﴾ [الأنعام: ٤١][١].

❊ ❊ ❊

الحديث الثالث

عن ابن عباس مرفوعًا: «حتمٌ على الله أن لا يستجيبَ دعوةَ مظلومٍ؛ ولأحدٍ قِبَلَهُ مِثلُ مظلمتِهِ».

ضعيف[٢].

شرح الحديث:

(حتم على الله أن لا يستجيب دعوة مظلوم) دعى بها على من ظلمه (ولأحد) من الخلق (قِبَله) بكسر ففتح، أي: جهته (مثل مظلمته)، أي: في النوع والجنس. والحتم: الواجب، يقال: حتم عليه الأمر حتمًا أوجبه جزمًا، وانحتم الأمر وتحتم وجب وجوبًا لا يمكن إسقاطه[٣].

❊ ❊ ❊

(١) فيض القدير ١/ ١٥٧.

(٢) ضعيف الجامع ٣/ ٩٢، حديث ٢٦٨٨؛ موسوعة الأحاديث والآثار الضعيفة والموضوعة ٩٢٥٠؛ ذخيرة الحفاظ ٢٦٥٤.

(٣) فيض القدير ٣/ ٣٧٣.

الحديث الرابع

عن عائشة مرفوعًا: «مَنْ دعا على مَنْ ظَلمهُ فقد انتصر».

ضعيف[1].

شرح الحديث:

(من دعا على من ظلمه فقد انتصر)، أي: أخذ من عرض الظالم فنقص من إثمه فنقص ثواب المظلوم بحسبه وهذا إخبار بأن من انتصر ولو بلسانه فقد استوفى حقه فلا إثم عليه ولا أجر له. فالحديث تعريض بكراهة الانتصار وندب العفو بجعل أجره على الله ﴿وَلَمَن صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ ﴿٤٣﴾﴾ [الشورى: ٤٣].

وفيه شفقته على جميع أمته مظلومهم وظالمهم، فأما مظلومهم فأحب له العفو لئلا يحرم الأجر، وظالمهم خوف أن يدعو عليه المظلوم فيجاب، وقد مدح الله المنتصرين من البغي كما مدح العافين، فحمل الثاني على من ندر منه البغي فيقال عثرته، والأول على ما إذا كان الداعي تجاوز جرأة وفجورًا[2].

* * *

الحديث الخامس

عن أبي هريرة مرفوعًا: «الله الله فيمنْ ليسَ لهُ ناصرٌ إلاَّ الله».

ضعيف[3].

---

(١) ضعيف الجامع ٥/١٩٦، حديث ٥٥٨٨؛ ضعيف الترمذي ٣٥٥٢؛ ذخيرة الحفاظ ٥٢٩٢؛ المقاصد الحسنة رقم ١١٢٠؛ كشف الخفا ٢٤٧٣؛ موسوعة الأحاديث والآثار ٢٤٤٩٠؛ تذكرة الحفاظ ٢/٦١٣؛ أسنى المطالب ص ٢٩٢.

(٢) فيض القدير ٦/١٢٦.

(٣) ضعيف الجامع ١/٣٥٣، حديث ١٢٦١؛ السلسلة الضعيفة ٣/٦٥٦؛ حديث ١٤٦٠؛ كشف الخفاء رقم ٥٨١.

شرح الحديث:

(الله الله) اتقوا الله وخافوه كثيرًا (فيمن ليس له) ناصر أو ملجأ (إلاَّ الله) كيتيم وغريب ومسكين وأرملة، فتجنبوا أذاه وأكرموا مثواه وتحمَّلوا جفوته وتكلفوا مؤنته، فإن المرء كلما قلَّت أنصاره وأعوانه كانت رحمة الله له أكثر وعنايته به أشد وأظهر ﴿فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦٣﴾﴾ [النور: ٦٣][١].

* * *

الحديث السادس

عن علي مرفوعًا: «يقول الله عزَّ وجلّ: اشتد غضب الله على من ظَلَم من لا يجدُ ناصرًا غيري».

ضعيف جدًا[٢].

شرح الحديث:

(اشتد غضب الله على من ظلم من لا يجد ناصرًا غير الله)، فإن ظلمه أقبح من ظلم من له حمية أو شوكة أو ملجأ من الخلائق يعتمد عليه ويفزع في مهماته إليه[٣].

* * *

---

(١) فيض القدير ٢/ ٩٩.

(٢) السلسلة الضعيفة ٥/ ٤١٣، حديث ٢٣٩٢؛ ضعيف الجامع ١/ ٢٧٨، حديث ٩٦٢؛ المقاصد الحسن رقم ١١٥؛ الدرر المنتثرة ص ٦٧؛ تمييز الطيب ص ٢٨؛ كشف الخفاء رقم ٣٦٩؛ الفوائد المجموعة ص ٢١٢؛ أسنى المطالب ص ٥٧.

(٣) فيض القدير ١/ ٥١٦.

الحديث السابع

عن ابن عباس مرفوعًا: «دَعْوتانِ ليْس بيْنَهُما وبينَ اللّـهِ حِجابٌ: دَعْوةُ المظْلومِ، ودَعْوَةُ المرْءِ لأخيهِ بِظَهْرِ الغَيْبِ».

ضعيف وصح مفرقًا في أحاديث بنحوه[1].

شرح الحديث:

(**دعوتان ليس بينهما وبين الله تعالى حجاب**) بالمعنى المار (**دعوة المظلوم**) حتى ينتصر بقول أو فعل (**ودعوة المرء لأخيه بظهر الغيب**). قال النووي: معناه كالذي قبله، إن دعوة المسلم في غيبة المدعو له وفي السر مستجابة لأنها أبلغ في الإخلاص كما تقرر.

تنبيه: قال العلائي: والمراد بالحجاب نفي المانع الردّ، فاستعار الحجاب للردّ، فكان نفيه دليلاً على ثبوت الإجابة. والتعبير بنفي الحجاب أبلغ من التعبير بالقبول؛ لأن الحجاب من شأنه المنع من الوصول إلى المقصود فاستعير نفيه لعدم المنع. ويخرج كثير من أحاديث الصفات على الاستعارة التخييلية، وهي أن يشترك شيئان في وصف ثم يعتمد لوازم أحدهما حيث يكون جهة الاشتراك وصفًا فيثبت ذلك للمستعار مبالغة في إثبات المشترك.

وقد ذكر الحجاب في عدة أحاديث صحيحة، والله سبحانه منزه عما يحجبه؛ إذ الحجاب إنما يحيط بمقدار محسوس، لكن المراد بحجابه منع أبصار خلقه أو بصائرهم بما شاء وكيف شاء، وإذا شاء كشف ذلك عنهم[2].

* * *

(١) ضعيف الجامع ٣/ ١٥٤، حديث ٢٩٨٦؛ السلسلة الضعيفة ٣/ ٥٤٣.

(٢) فيض القدير ٣/ ٥٢٧.

الحديث الثامن

عن أبي هريرة مرفوعًا: «ثلاثٌ حَقٌّ على الله أنْ لا يَرُدَّ لهمْ دعوَة: الصائم حتى يُفْطِرَ، والمظلومُ حتى ينتَصرَ، والمسافرُ حتى يرجِعَ».

ضعيف[1].

شرح الحديث:

(ثلاث حق على الله تعالى أن لا يرد لهم) أي: لكل منهم (دعوة) دعا بها مع توفر الأركان والشروط وصدق النية: (دعوة الصائم) بدل مما قبله على حذف مضاف، أي دعوة الإنسان في حال تلبسه بالصوم (حتى يفطر) أي إلى أن يتعاطى مفطرًا. ويحتمل إلى أن يدخل أوان إفطاره وإن لم يفطر بالفعل، قال في الأذكار: هكذا الرواية «حتى» بمثناة فوقية.

(والمظلوم) فإن دعوته على ظالمه مستجابة (حتى)، أي: إلى أن (ينتصر)، أي: ينتقم ممن ظلمه باليد أو باللسان لأنه مضطر ملهوف، قال الله تعالى: ﴿أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ﴾ [النمل: ٦٢]، أي: لا يجيبه ولا يكشف ما به إلاَّ الله.

(والمسافر)، أي: سفرًا في غير معصية كما هو القياس الظاهر (حتى)، أي: إلى أن (يرجع) إلى وطنه لأنه مستوفز مضطرب قلما يسكن إلاَّ إلى الرحل والترحال وهو على وجل من الحوادث فهو كثير الإنابة إلى الله تعالى فسره منفصل عن الأغيار ومتعلق بالجبار، فلما صفا سره أسرعت له الإجابة و «حتى» في القرائن كلها بمعنى (إلى) كما قدرته[2].

* * *

---

(١) ضعيف الجامع ٣/ ٤٩، حديث ٢٥٢١.

(٢) فيض القدير ٣/ ٣٠٠.

الحديث التاسع

عن أبـي هريرة مرفوعًا: «ثَلاثَةٌ لا تُرَدُّ دَعْوَتُهُمْ: الإِمَامُ العَادِلُ، والصَّائِمُ حَتى يُفْطِرَ، وَدَعْوَةُ المَظْلُوم يَرْفَعُها الله دُونَ الغَمَامِ يَوْمَ القِيَامَةِ، وتُفْتَحُ لها أبْوابُ السَّمَاء، ويقولُ: بعِزَّتِي لأنْصُرَنَّكِ وَلَوْ بَعْدَ حِينٍ».

ضعيف، وصح منه شطره الأول لكن بلفظ «المسافر»، وفي رواية: «الوالد» مكان «الإمام»[1].

شرح الحديث:

(ثلاث)، أي: ثلاث نفوس؛ في المشكاة والجامع الصغير ثلاثة بتاء التأنيث، أي: ثلاثة أشخاص أو ثلاثة رجال: **(الإمام العادل)**، أي: منهم أو أحدهم الإمام العادل، **(والصائم حين يفطر)** لأنه بعد عبادة، حال تضرع ومسكنة، **(ودعوة المظلوم)** كان مقتضى الظاهر أن يقول والمظلوم، ولعله لما كانت المظلومية ليست بذاتها مطلوبة؛ عدل عنه، قاله القاري.

وقال الطيبـي: أي دعوة الإمام ودعوة الصائم بدليل قوله ودعوة المظلوم ويكون بدلاً من دعوتهم، وقوله «يرفعها» حال، كذا قيل، والأولى أن يكون ـ أي يرفعها ـ خبرًا لقوله و «دعوة المظلوم»، وقطع هذا القسيم عن أخويه لشدة الاعتناء بشأن دعوة المظلوم ولو فاجرًا أو كافرًا، وينصر هذا الوجه عطف قوله و «يقول الرب» على قوله «ويفتح»، فإنه لا يلائم الوجه الأول لأن ضمير «يرفعها» للدعوة حينئذٍ لا لدعوة المظلوم كما في الوجه الأول.

---

(1) ضعيف الجامع ٣/ ٦٨، حديث ٢٥٩١؛ السلسلة الضعيفة ٣/ ٥٣٤، حديث ٢٥٩١؛ ضعيف سنن الترمذي حديث ٣٥٩٨؛ ضعيف سنن ابن ماجه حديث ٣٨٦؛ صحيح سنن الترمذي حديث ٢٠٥٠؛ صحيح سنن ابن ماجه حديث ١٤٢٠؛ الزهد والرقائق ص ٣٨٠؛ كشف الخفاء رقم ١٠٣٩؛ مساوىء الأخلاق ص ٢٧٦؛ تمييز الطيب ص ١٣.

قال القاري: والظاهر أن الضمير على الوجهين لدعوة المظلوم، وإنما بولغ في حقها لأنه لما ألحقته نار الظلم واحترقت أحشاؤه خرج منه الدعاء بالتضرع والانكسار وحصل له حالة الاضطرار فيقل دعاؤه كما قال تعالى: ﴿أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ﴾ [النمل: ٦٢].

(يرفعها)، أي: الله، (فوق الغمام)، أي: تُجاوز الغمام، أي: السحاب، (ويفتح)، أي: الله (لها)، أي لدعوته... (لأنصرنك) بفتح الكاف، أي: أيها المظلوم، وبكسرها، أي: أيتها الدعوة، (ولو بعد حين) الحين يستعمل لمطلق الوقت ولستة أشهر ولأربعين سنة.

والمعنى: لا أضيع حقك ولا أرد دعاءك ولو مضى زمان طويل لأني حليم لا أعجل عقوبة العباد؛ لعلهم يرجعون عن الظلم والذنوب إلى إرضاء الخصوم والتوبة، وفيه إيماء إلى أنه تعالى يمهل الظالم ولا يهمله[1].

❊ ❊ ❊

الحديث العاشر

عن واثلة مرفوعًا: «أربعٌ دعوتهم مُستجابةٌ: الإمامُ العادلُ، والرَّجلُ يدعو لأخيهِ بظهرِ الغيبِ، ودعوةُ المظلوم، ورجلٌ يدعو لوالديهِ».

ضعيف جدًّا[2].

شرح الحديث:

(أربع دعوتهم مستجابة)، أي: مرجوة القبول: (الإمام العادل)، أي: الحاكم الذي لا يجوز في أحكامه. والعدل القصد في الأمور، وهو ضد

(١) تحفة الأحوذي ٧/ ١٩٤؛ فيض القدير ٣/ ٣٢٤.

(٢) ضعيف الجامع ١/ ٢٥٠، حديث ٨٥٢.

الجور. (والرجل)، يعني: الإنسان (يدعو لأخيه) في الإسلام (بظهر الغيب)، أي: في غيبته. (ودعوة المظلوم) على ظالمه. (ورجل) وصفٌ طردي، والمراد: إنسان ولو أنثى أو خنثى أو طفلاً (يدعو لوالديه)، يعني: لأصليه وإنْ عَلِيَا أو لأحدهما بالمغفرة والهداية ونحوهما، وكلامه شامل للحَيَّيْن وللمَيِّتَين. وورد من يستجاب دعاؤه أيضًا جماعة، وذِكْرُ العدد لا ينفي الزائد[1].

* * *

الحديث الحادي عشر

عن ابن عباس مرفوعًا: «خمسُ دَعواتٍ يُستجابُ لهنَّ: دعوةُ المظلومِ حتى ينتصِرَ، ودعوةُ الحاجِّ حتى يصدُرَ، ودعوةُ الغازي حتى يقفُلَ، ودعوة المريض حتى يبرأ، ودعوة الأخِ لأخيهِ بظهْرِ الغيبِ، وأسرعُ هذه الدَّعواتِ إجابةُ دعوةُ الأخِ لأخيه بظهْرِ الغيبِ».

ضعيف جدًا[2].

شرح الحديث:

(خمس دعوات يستجاب لهنّ: دعوة المظلوم حتى)، أي: إلى أن (ينتصر)، أي: ينتقم ممن ظلمه بالقول أو الفعل، (ودعوة الحاج) حجًا مبرورًا (حتى يصدر)، أي: يرجع إلى أهله، (ودعوة الغازي) لإعلاء كلمة الله ابتغاء رضاه لا طلبًا للغنيمة (حتى يقفل)، أي: يعود من غزوه إلى وطنه، (ودعوة المريض)، أي مرضًا لم يعص به فيما يظهر (حتى يبرأ) من علته، (ودعوة الأخ

---

(١) فيض القدير ١/ ٤٧٠.

(٢) ضعيف الجامع ٣/ ١٢٥، حديث ٢٨٤٩؛ السلسلة الضعيفة ١/ ٥٤١، حديث ١٣٦٤؛ موسوعة الأحاديث والآثار ١٠١٢٤.

لأخيه) في الإسلام وإن لم يكن أخاه من النسب (بظهر الغيب).

قال الطيبي: «حتى» في القرائن الأربع بمعنى «إلى»، كقولك: سرت حتى تغيب الشمس؛ لأن ما بعد «حتى» غير داخل فيما قبلها، فدعوة المظلوم مستجابة إلى أن ينتصر وكذا الباقي. فإن قلت: هذا يوهم أن دعاء هؤلاء الأربع لا يستجاب بعد ذلك وكذا دعاء الغائب إلى أن يحضر؛ قلت: نعم لكن الأسباب مختلفة فيكون سبب الإجابة حينئذٍ أمر آخر غير المذكورة.

(وأسرع هذه الدعوات)، أي: أقربها إجابةً (دعوة الأخ لأخيه بظهر الغيب) لما فيها من الإخلاص وعدم الشوب بالرياء ونحوه[1].

❋ ❋ ❋

الحديث الثاني عشر

عن ابن عمر مرفوعًا: «تفتحُ أبوابُ السَّماءِ لخمسٍ: لِقراءة القرآنِ، وللقاءِ الزحفينِ، ولنزولِ القطرِ، ولدعوةِ المظلوم، وللأذانِ».

ضعيف[2].

شرح الحديث:

(تفتحُ أبوابُ السَّماء لخمسٍ: لِقراءة القرآنِ، وللقاءِ يوم الزحف) في قتال الكفار، (ولنزول القطر، ولدعوة المظلوم، وللأذان)، أي: أذان الصلاة.

والمراد أن الدعاء في هذه الأوقات مستجاب كما أفصح به فيما قبله.

وقال العامري: كأنها تفتح لنزول النصر عند القتال ونزول البر للمصلين

---

(١) فيض القدير ٣/ ٤٦٠.

(٢) ضعيف الجامع ٣/ ٣٧ حديث ٢٤٦٣؛ موسوعة الأحاديث والآثار الضعيفة والموضوعة ٨٢٣٨.

فإذا صادف الدعاء فتحها لم يرد، كما إذا صادف السائل باب السلطان الكريم مفتوحًا لا يكاد يخيب أمله.

وفيه حث على حضور المسجد في ذلك الوقت لانتظار الفريضة وإجابة الدعاء[1].

* * *

الحديث الثالث عشر

«سُرقت ملحفة لها [أي: عائشة]، فجعلت تدعو على من سرقها، فجعل النبي ﷺ يقول: لا تُسبِّخي عنه»[2].

❑ ❑ ❑

(1) فيض القدير ٣/ ٢٥٨.

(2) ضعيف أبو داود ٣٢١، ١٠٥٠؛ موسوعة الأحاديث والآثار الضعيفة والموضوعة ١٢٢١٨.

مما ورد من الأقوال والحكم في دعوة المظلوم[1]

الظَّلَمة في الظُّلمة يمشون في جمع الحطام، يصبحون ويمسون على فراش الآثام ﴿ فَمَا رَبِحَت تِّجَٰرَتُهُمْ ﴾ [البقرة: ١٦].

من نبت جسمه على الحرام، فمكاسبه كبريت به يوقد. الحجر المغصوب في البناء أساس الخراب.

واعجبًا من الظَّلَمة، كيف ينسون طي الأيام سالف الجبابرة، وما بلغوا معشار ما آتيناهم، أما شاهدوا مآلهم؟ ﴿ فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذَنۢبِهِۦ ﴾ [العنكبوت: ٤٠].

أما دخلوا على أكوار الندم؟ ﴿ فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ ٱلسَّمَآءُ وَٱلْأَرْضُ ﴾ [الدخان: ٢٩].

فما هذا الاغترار ﴿ وَقَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِمُ ٱلْمَثُلَٰتُ ﴾ [الرعد: ٦]، فهم ينتظرون من لهم إذا طلبوا العود ﴿ وَحِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ ﴾ [سبأ: ٥٤].

كم بكت في تنعم الظالم عين أرملة؟ وأحرقت كبد يتيم؟ ﴿ وَلَتَعْلَمُنَّ نَبَأَهُۥ بَعْدَ حِينٍۭ ﴿٨٨﴾ ﴾ [ص: ٨٨]. ما ابيضَّ لون الرغيف حتى اسودَّ وجه الضعيف. ما تروقت المشارب حتى ترنقت المكاسب. ما عبل جسم الظالم حتى ذوت ذواب ذات قوة[2].

---

(١) انظر: اليواقيت الجوزية ٦٩؛ اللطف في الوعظ ١٩؛ المدهش ٣٨٧؛ الكنز المدفون ٢٤٥.

(٢) تروقت: صفت. ترنقت: تكدرت وتعكرت. عبل: سمن. ذوت ذوابٍ: ذبلت وزالت دهون.

كم من دار دارت بنعم النعم، دارت عليها دوائر النقم ﴿ فَجَعَلْنَٰهَا حَصِيدًا﴾ [يونس: ٢٤]؟ كم جار[١] في حلبة المنى قد استولى طرفه على الآمد، صدمه قهر عقوبة، فألقاه أسرع من طرف؟ بينا القوم ينبسطون على البسيطة، كفت أكفهم بمقامع القمع، لسعتهم عقارب ظلمهم، نفخ عليهم ثعبان جورهم، عقرتهم أسود بطشهم، نسفتهم عواصف كبرهم، وفي الغير عبر.

ويحك! إذا كانت راحة اللذة تعقب تعب العقوبة، فدع الدعة تمضي في غير الدعة، والله ما تساوي لذة سنة غم ساعة، فكيف والأمر بالعكس؟ كم في يم الغرور من تمساح؟ فاحذر يا غائص، يا من قد أمكنه الزمان من حركات التصرف في العدل فما يؤمن من الزمن الزمن.

ومتى بلغت إلى الرئاسة فاستلب كرة العلى بصوالج المعروف

❊ كان عمر يخاف مع العدل، يا من يأمن مع العدول[٢]، رؤي بعد موته باثنتي عشرة سنة، فقال: الآن تخلصت من حسابي.

واعجبًا، أقيم أكثر من سني الولاية، أفينتبه بهذا راقد الهوى؟

أحسن شعائر الشرائع: العدل. **الظلم** ظلمة في نهار الولاية، وجدب يرعى لحوم الرعية. **والعدل**، صوت في صور الحياة، يبعث به موتى الجور. **أيها الظالم**، تذكر عند جورك عدل الحاكم، تفكر حين تصرفك في سرفك. عجبًا لك، تدعي الظرف وتأخذ المظروف والظرف؟! كلا، أوَفي الظرافة رأفة؟ ستعلم أيها الغريم قدر غرامك «إذا يلتقي كل ذي دَيْنٍ وماطله»، من لم يتبع بمنقاش العدل شوك الظلم من أيدي التصرف، أثر ما لا يؤمن تعديه إلى القلب.

يا معاشر الظلمة! لا تعربدوا في سكر القدرة، فصاحب الشرطة بالمرصاد، سليمان الحُكْمِ قد حبس آصف العقوبة في حصن ﴿ فَلَا تَعْجَلْ عَلَيْهِمْ ﴾ [مريم: ٨٤]،

---

(١) سائر بسرعة.

(٢) العدول: الميل عن الحق.

وأجرى رخاء الرجاء ﴿ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةٌۢ ﴾ [النساء: ١٦٥]. فلو قد هبت سموم الجزاء من مهب ﴿ وَلَئِن مَّسَّتْهُمْ نَفْحَةٌ ﴾ [الأنبياء: ٤٦]، قلعت سكر ﴿ أَنَّمَا نُمْلِى لَهُمْ ﴾ [آل عمران: ١٧٨]، فإذا طوفان التلف ينادي فيه نوح ﴿ لَا عَاصِمَ ﴾ [هود: ٤٣]، فالحذر الحذر قبل ﴿ أَن تَقُولَ نَفْسٌ يَٰحَسْرَتَىٰ ﴾ [الزمر: ٥٦]، ﴿ وَّلَاتَ حِينَ مَنَاصٍ ﴾ [ص: ٣٨].

أبقي في قوس الزجر منزع، أفنضرب عنكم الذكر صفحًا؟! سفينة التقى تحتاج إلى حكَّامٍ تمام، واللمم منافذُ صغارٌ في الدُّسر[1]، فأحكم تلك البقاع بقار[2] الورع، هيهات قد خرقتها بالكبائر، وما تنتبه لما صنعت حتى يصيح نوح الأسى ﴿ لَا عَاصِمَ ﴾ [هود: ٤٣].

يا هؤلاء! منقاش العدل إذا لم ينتزع شوك الظلم أثر، ما لم يؤمن تعديه إلى القلب. لا تُعَربِدوا في سُكر القدرة، فصاحب الشُّرطة بالمرصاد.

ويحكم! لا تحتقروا دعاء المظلوم، فشرر نار قلبه محمول بريح دعائه إلى سقف بيت الظالم؛ نباله تصيب، نبله غريب، قوسُه حُرقَة، وتَره قَلقه، مرماته هدف: «لأنصرنك ولو بعد حين»، سهمُ سهمه الإصابة، وقد رأيت وفي الأيام تجريب.

وأنت أيها المظلوم فتذكر من أين أتيت؟

فإنك لا تلقى كدرًا، إلاَّ من طرق جناية ﴿ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ ﴾ [الرعد: ١١].

* * *

وقال ابن الجوزي[3]: استحلى أربابُ الولاية الولايات، فلما انقضى

---

(١) حبال تشد بها ألواح السفن، وقد يراد بها الألواح نفسها.

(٢) القار: الزفت، ويستعمل لطلاء السفن لمنع تسرب الماء.

(٣) الجليس الصالح ٨٤.

بالصَرفِ زمن التَّصرُّف جلسوا في عزاء الغمّ، فلو رأيتهم عند الموت، وقد ذهب خمار اللذة وجاءت سياط الحدود، ثم ردوا إلى حبس القبور، فنكل بهم الموكل، ثم ردوا إلى صحراء القيامة فهجرت عليهم شمس التوبيخ حتى سال وادي الآسي من عرق الأسف، ثم الطامة الكبرى ما يلقون من سجن جهنم، فلو رأيت نادمهم يقول: ﴿يَٰحَسْرَتَىٰ عَلَىٰ مَا فَرَّطتُ فِى جَنۢبِ ٱللَّهِ﴾ [الزمر: ٥٦]، ومدّ يده إلى أمل لا يناله ﴿لَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً﴾ [البقرة: ١٦٧]، ﴿يَٰلَيْتَنِى قَدَّمْتُ لِحَيَاتِى ۝٢٤﴾ [الفجر: ٢٤].

فيا أسفًا للظلمة الفجّار يخطئون على أنفسهم بالليل والنهار، والشهوات تفنى وتَبْقَى الأوْزَار. كم ظالم تعَدى وجار، فما راعَى الأهلَ والجار، بينا هو يعقد عقد الإصرار نزل به الموت فحل من حُلَّتِهِ الأزرار. ما صحبه سوى الكفن إلى بيت البلى والعفن. لو رأيته وقد حَلَّت به المحن وشين ذلك الوجه الحسن، فلا تسأل كيف صار؟ سال في القبر صديده، وبَلي والله جريده، وتفرق عنه حشمه وعبيده، وهجره نسيبه ووديده وأعوانه والأنصار.

أين مجالسه العالية؟ أين عيشته الصافية؟ أين لذاته الخالية؟ كم تُسقى على قبره ساقية؟ ذهبت العين وجفت الآبار. تقطعت به جميع الأسباب وهجره القُرَناء والأصحاب، وصار فراشه الجَندَلَ والتُّراب، وربما فتح له في اللحد باب إلى النار.

قارنهُ عمله من ساعة الحين، فهو يتمنى الفرارَ وهيهات، أين؟! ويقول: يا ليت بيني وبينك بُعد المشرقين. فهو على فراش الوحدة وحده، والعمل ثاني اثنين، ولكن لا في الغار.

كم استغاث مظلومهم على الباب، وقد أخذوا في الطعام والشراب، وربما منعه البواب؟! اللّهُ جارُ المظلومِ مِمَن جار. كم ضحك الظالمُ والمظلوم قد بكى؟ كم نام وهو يَقلق مما اشتكى؟ أتراه أما عَلِمَ إلى مَنْ شكا؟! لا بُدَّ للمولى مِنْ أخذِ الثأر.

كم قَصْر مَعمور مغمور بالنِّعم كان صاحبه مُقيمًا في الخلد وليس بمقيم، دعا عليه المظلوم بِدَرْس الحريم، فالزوجة أرملة، والوَلَد يَتيم لا تحتقروا دُعَاءَ الأسْحَار. كم حَدَّثوا بالعِبَر فلم يسمعوا؟! كم وعظوا بالغير فلم ينتفعوا؟! كم جمعوا من الحرام ولم يشبعوا؟! ﴿قُلْ تَمَتَّعُوا فَإِنَّ مَصِيرَكُمْ إِلَى النَّارِ ﴿٣٠﴾﴾ [إبراهيم: ٣٠]، ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ غَافِلًا عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الْأَبْصَارُ ﴿٤٢﴾﴾ [إبراهيم: ٤٢].

* * *

قال المقريزي في ترجمة أحمد المعروف بصارو سيِّدنا[١].

قال لي، وقد جاءني بدمشق زائرًا في سنة ثلاث عشرة وثماني مئة، والناسُ إذ ذاك من الظُّلم في أخذ الأموال والعُقوبة على أخْذِ أجرِ مساكِنِهم بحالٍ شديدة، وأخذنا نتذاكر ذلكَ فقال لي: ما السببُ في تأخُّر إجَابةِ دعاءِ النَّاسِ في هذا الزّمان، وهم قد ظُلِمُوا غَاية الظُّلم، بحيث إنَّ امرأةً شريفة عوقبَت لعجزها عن القيام بما أُلزمت به من أجرة سكنها الذي هو ملكها مع قوله عليه السلام: «اتَّقِ دَعْوَةَ المظلومِ، فإنَّهُ ليس بينَها وبينَ اللّـهِ حجاب»، وها نحن نراهُم منذُ سنين يَدْعون عَلى مَن ظَلَمَهم ولا يُستَجَابُ لهم؟!

فأفضنا في ذلك حتى قال: سَبَبُ ذلك أن كلَّ أحد في هذا الوقت صار موصوفًا بأنه ظالِم، لكثرة ما فَشا من ظُلْمِ الراعي والرعية، وكأنه لم يبق مظلومٌ في الحقيقة، لأنا نجدُ عند التأمل كلَّ أحد من الناس في زمننا، وإن قلَّ، يظلُمُ في المَعْنى الذي هو فيه مَنْ قَدَرَ على ظُلْمه، ولا نجد أحدًا يتركُ الظلْمَ إلاَّ لعَجزه عنه، فإذا قَدَرَ عليه ظلَم، فبان أنهم لا يتركون ظُلْمَ مَنْ دُونَهم إلاَّ عَجْزًا لا عِفَّة.

---

(١) درر العقود الفريدة ١/ ٣٤٢.

ولعمري لقد صَدَق رحمه الله، وقد قيل قديمًا [المتنبي]:

والظُّلم مِنْ شِيَمِ النُّفوسِ فإن تَجِدْ ذا عِفَّــــةٍ فَلِعِلَّــــةٍ لا يَظلِـــمُ

* * *

قال محمد بن علي الحريري الحرفوشي: المُحارِبُ إذا شُيِّع بالدعاء له فقد أُنجِد بمدد بل أمْداد، وحُفِظ ظهرُه بِجُنْدٍ بل أجْناد.

وإذا شُيِّع بالدعاء عليه، فقد خرج خلفَه كمِينٌ لا يقوَى له فيَلْقاه، ولا يراهُ فيَتَوَقَّاه.

ولن يغلِب عسكرٌ واحدٌ عسكرَيْن من الدعاء والأعداء، ولن يسلَمَ من أعوزَ ظهْرَه مِجَنُّ الضُّعفَاء، ولن يُنْصرَ في الأرض مَن حُورِب من السَّماء[1].

* * *

قال بعضُ البلغاء: أقربُ الأشياء صَرْعَةُ الظَّلُوم، وأنفذُ السِّهام دَعوةُ المظلوم[2].

* * *

قيل: احذروا دعوة المظلوم فإنها لينة الحجاب[3].

* * *

قيل: خافوا ظلم من لا ينتصر من ظلمه إلَّا بدمع عينيه[4].

* * *

---

(١) نفح الريحانة ١/ ١٩٢.

(٢) أدب الدنيا والدين ٢٢٧، المصباح المضيء ١/ ٢٣١؛ محاضرة الأبرار ٢/ ٣٤٤؛ الجوهر النفيس ٦٦ «وفيه تخريج أكثر»؛ العقد النفيس ٥١؛ الشفاء مواعظ الملوك ٥١؛ جليس الصالح ٧٨؛ المنهج المسلوك ٣٦٥.

(٣) محاضرات الأدباء ١/ ٢١٦؛ التمثيل للمحاضرة ٢٤ (عدَّه حديث نبوي)؛ ثمار القلوب ٦٧٤.

(٤) التبر المسبوك ٢٢٣.

قال خالد بن صفوان: لا يُسْتَجَاب إلاَّ لمُخْلصٍ أو مظلوم[1].

* * *

قال أكثم بن صيفي: غلب عليك من دعا إليك[2].

* * *

قال السيد مهدي التويج: لا تظلم، ثم ادع على من يظلم[3].

* * *

قال بعض الحكماء: أعجل الأمور عقوبة وأسرعها لصاحبها: سرعة ظلم من لا ناصر له إلاَّ الله. ومجاورة النعم بالتقصير، واستطالة الغني على الفقير[4].

* * *

قيل لأعرابي: من أحَقُّ الناس بالرَّحمة؟ قال: الكريمُ يُسلّط عليه اللئيم، والعاقلُ يُسلط عليه الجاهل. وقيل له: أي الداعين أحق بالإجابة؟ قال: المَظلوم الذي لا ناصرَ له إلاَّ الله. قيل له: فأي الناس أغنَى عن الناس؟ قال: مَنْ أفرد الله بحاجته[5].

* * *

قال أفلاطون: أولُ مَغَبَّةِ ظلم الظالم عند زوالِ قوّته. وأولُ ما يفارقُ الإنسانُ مِمَّا يملك ما أثّلهُ ظلمهُ له، فَخَفِ المظلومَ، فإنه تحت راية الباري جلّ وعزّ، وَزُلْ معه حيثُ زال، فلولا أنهُ يظلِمُ لَعُوجِلَ ظالمُهُ[6].

* * *

---

(١) البيان والتبيين ٣/ ٢٧٤.

(٢) الحكمة الخالدة ١٧٤.

(٣) الكشكول ١٤.

(٤) بهجة المجالس ١/ ٣٦٣.

(٥) العقد الفريد ٣/ ٤٤١.

(٦) لباب الآداب ٤٦١.

قال مؤرق العجلي: «ما تكلَّمتُ في الغضب بكلمةٍ ندمت عليها في الرضا، وما دعوت على أحدٍ لي في موته راحة»[1].

* * *

قال أبو الدرداء: إياك ودمعة اليتيمِ، ودعوةَ المظلومِ، فإنَّها تَسري بالليل والناسُ نيام[2].

* * *

قال سحنون بن سعيد: كان يزيد بن حكيم يقول: ما هِبتُ شيئًا قط هيبتي رجلاً ظلمته، وأنا أعلم أنه لا ناصر له إلاَّ الله، فيقول لي: حسبك الله، الله بيني وبينك[3].

* * *

قال خالد بن صفوان: اتقوا مجانيق الضعفاء، يعني دعاءهم، وأنشد لعمرو بن الأهتم:

إذا كنت مرتاد الظلامة فاعتمد ذرا الناس واحذر عاجزًا ومغمزًا[4].

* * *

قال بعض السلف: احذَروا أصابع الأيتام.

يعني: رفعهم إياها في الدعاء على الظالم[5].

---

(١) المجالسة ٤/ ٤٧٨.

(٢) البصائر والذخائر ٥/ ١٥٨؛ التذكرة الحمدونية ٣/ ١٩٢؛ صفة الصفوة ١/ ٦٣٤؛ المستطرف ١٢٨؛ المخلاة ٦٢١؛ العيال ٢/ ٨١٤؛ حلية الأولياء ١/ ٢٢١؛ بحر الدموع ١٧٢؛ المصباح المضيء ١/ ٢٢٦؛ تحفة الأنام ٧٠؛ حدائق الإنعام ١٧٧.

(٣) المخلاة ١٧٢؛ سراج الملوك (فيه يزيد بن حاكم)؛ مرآة الجنان ١/ ٣٩٨؛ المستطرف ١٢٨ (فيه يزيد بن حاتم)؛ الكبائر ١٨١.

(٤) أنساب الأشراف ١٢/ ٢٩٠؛ ربيع الأبرار ٢/ ٢١٥؛ البيان والتبيين ١/ ٣٥٢ و ٣/ ٢٧٤؛ المحاسن والأضداد ٣١؛ ودون نسبة في ثمار القلوب ٣٣٨؛ والتمثيل والمحاضرة ١٧٠.

(٥) ثمار القلوب ٣٣٨؛ ربيع الأبرار ٢/ ٢٢١.

قال خالد بن صفوان: ما أحد يطالبني بظلامة هي أبغض إلي من ظلامة من لا مفزع له إلاَّ الله[1].

***

قال أبو الدرداء: اعبد الله كأنك تراه، وعد نفسك مع الموتى، وإياك ودعوة المظلوم، واعلم أن قليلاً يكفيك خير من كثير يلهيك، واعلم أن البرَّ لا يبلى، وأن الإثم لا ينسى[2].

***

دخل حبيب بن مسلمة على أبـي الدرداء وهو في الموت، فقال: ما أراهُ إلاَّ الفراق، فجزاك الله من مُعلِّمٍ خيرًا، عظني بشيء ينفعني الله به.

قال: يا حبيب بن مسلمة، عُدَّ نفسك من أصحاب الأجداث، يا حبيبَ بن مسلمة، اتَّقِ دعوةَ المظلوم[3].

***

عن أبـي الدرداء قال: إني لآمركم بالأمر وما أفعله ولكني أرجو فيه الأجر، وإن أبغض الناس إليَّ أن أظلِمه الذي لا يستعين عليَّ إلاَّ بالله[4].

---

(١) أنساب الأشراف ١٢/ ٢٩٠.

(٢) زهد ورقائق ٦٣ و٥٤٢؛ سير أعلام النبلاء ٢/ ٣٥٠؛ اقتضاء العلم العمل ٢٧؛ زهد أحمد ١٧٦؛ معجم شيوخ الذهبـي ٣٠٤؛ زهد وكيع ١/ ٢٣٣؛ الزهد لأبـي داود ٢١١، «وفيه تخريج أكثر وقال: رجاله ثقات»؛ تاريخ دمشق ٤٧/ ١٦٨.

(٣) المحتضرين ٢٠٠؛ زهد أحمد ١٧٦؛ الزهد لأبـي داود ٢١٠؛ تاريخ دمشق ٤٧/ ١٩٥؛ زهد وكيع ١/ ٢٣٥.

(٤) الزهد لأبـي داود ٢٠١، وقال المحقق: إسناده صحيح. وانظر: البيان والتبيين ١/ ٢٦٢، و٣/ ٢٧٤؛ تاريخ دمشق ٦/ ٤٧، و٤٧/ ١٤٩؛ صفة الصفوة ١/ ٦٢٨؛ المجالسة ٣/ ٣٧٧؛ حلية الأولياء ١/ ٢٢١؛ محاضرات الأدباء ١/ ٢١٦؛ رفع الحجب المستورة ٤/ ١٤٥٦؛ حلية الأولياء ١/ ٢٢١.

قال أبو الدرداء: أقربُ ما يكون العبدُ من غضب الله إذا غضب، واحذَرْ أن تظلم مَن لا ناصر له إلاَّ الله[١].

* * *

قال بلال بن مسعود: اتق الله فيمن لا ناصر له إلاَّ الله[٢].

* * *

كان عمر بن الخطاب إذا خطب الناس يقول في خطبته:

أفلح منكم من حُفظ من الهوى والطمع والغضب، ليس في ما دون الصدق من الحديث خير، من يكذب يفجر، ومن يفجر يهلك، إياكم والفجور، وما فجور عبد خلق من تراب وإلى التراب يعود، وهو اليوم حي، وغدًا ميت؟!

اعملوا يومًا بيوم، واجتنبوا دعوة المظلوم، وعدُّوا أنفسكم من الموتى[٣].

* * *

قال عامل من عمال عمر بن الخطاب له: عظني، قال: أوصيك بتقوى الله ودعوتين ترجو إحداهما وتخاف الأخرى، دعوة لهفان تعينه بالشيء فيدعو لك، ودعوة مظلوم وهي أوشك صعودًا إلى الله وأسرع كرة، إن الله أمر بالطاعة وأعان عليها ولم يجعل في تركها عذرًا، ونهى عن المعصية وأغنى عنها ولم يجعل في ركوبها حجة[٤].

* * *

---

(١) البيان والتبيين ٣/ ١٤١؛ ومن قول «بلال ابن مسعود» في المستطرف ١٢٨؛ وسراج الملوك ٤٤٤.

(٢) المستطرف ١٢٨؛ سراج الملوك ٤٤٤.

(٣) زهد أبي داود ٦٨ «وقال المحقق: إسناده معلول». وفي تاريخ دمشق ٣٠/ ٣٣٥؛ وتاريخ الخلفاء ١١٣: «هي من خطبة طويلة لأبي بكر الصديق».

(٤) نصيحة الملوك ٢٩٩.

عن عبد الله بن سلمة قال: قال رجل لمعاذ بن جبل: علمني. قال: وهل أنت مطيعي؟ قال: إني على طاعتك لحريص. قال: صُمْ وأفطر، وصلّ ونم، واكتسب ولا تأثم، ولا تموتن إلاّ وأنت مسلم، وإياك ودعوة المظلوم[1].

* * *

عن مجاهد قال: ثلاثٌ لا يُحْجَبْنَ عن الله عزّ وجل: دعوة الوالد لولده، والمظلوم، وشهادة أن لا إله إلاّ الله[2].

* * *

عن مجاهد قال: دعوة الوالد لا تحجب عن الله، ودعوة المظلوم لا تحجب دون الله، حتى ينتهي إليه، فيقضي فيها ما يشاء[3].

* * *

قال معاوية بن أبي سفيان: إني لأستحي أن أظْلِمَ من لا يجد عليّ ناصرًا إلاّ الله![4].

* * *

قال بعض الأمراء: دعوتان أرجو إحداهما بقدر ما أخاف الأخرى، دعوة مظلوم أعنته، ودعوة ضعيف ظلمتُه[5].

* * *

---

(١) صفة الصفوة ١/ ٤٩٦؛ زهد أحمد ٢٢٥؛ حلية الأولياء ١/ ٢٣٣.

(٢) البر والصلة ١١٧.

(٣) زهد هنّاد ٢/ ٤٧٩، وقال المحقق: رجاله ثقات من رجال الجماعة وإسناده صحيح.

(٤) محاضرات الأدباء ١/ ٢١٦؛ المستطرف ١٢٧؛ عيون الأخبار ١/ ٧٥؛ درر الحكم ١٧١ ديوان معاوية ١٢٠؛ الجليس الصالح ٨٠.

(٥) الكشكول ١٧٢٩؛ البيان والتبيين ٣/ ٢٨٢ (لبعضهم)؛ بصائر الذخائر ٤/ ١٢٣ (لبعض السلف)؛ ربيع الأبرار ٢/ ٨١٧ (لبعض السلف)؛ محاضرات الأدباء ١/ ٢١٦ (لبعضهم).

كتب عمر بن عبد العزيز، رضي الله عنه إلى بعض عماله: أما بعد، فقد أمكنتك القدرة من مظالم العباد، فإذا هممت بظلم أحد فاذكر قدرة الله عليك، واعلم أنك لا تأتي الناس شيئًا إلاَّ كان زائلاً عنهم باقيًا عليك. واعلم أن الله سبحانه آخذ للمظلومين من الظالمين، ومهما ظلمت من أحد فلا تظلمنَّ من لا ينتصر عليك إلاَّ بالله تعالى[١].

* * *

قال الخليفةُ العباسيُّ أبو جعفر المنصور لأمير المؤمنين المهديِّ: يا أبا عبد الله! إنَّ الخليفة لا يُصلحُه إلاَّ التَّقوى، والسُّلطانَ لا يُصلحهُ إلاَّ الطاعةُ، والرعيةَ لا يصلحُها إلاَّ العدلُ، وأولى الناس بالعدلِ أقدَرُهم على العقوبةِ، وأنقصُ الناس عقلاً مَنْ ظلم مَنْ هو دونه»[٢].

* * *

عن الحجاج بن فرافصة قال: بلغنا في بعض الكتب: «من عمل من غير مشورة فذاك باطل يتعنى، ومن لم ينتصر من ظالمه بيد ولا بلسان ولا حقد فذاك علمه يقين، ومن استغفر لظالمه فقد هزم الشيطان»[٣].

* * *

---

(١) الزاهر ١٧٤. مروج الذهب ٣/ ٢٠٩.

(٢) الآداب الشرعية ١/ ٢٠٤؛ البداية والنهاية ١٠/ ١٢٣؛ نثر الدرر ٣/ ٨٩؛ العقد الفريد ١/ ٤٠؛ مرآة الجنان ١/ ٣٣٨؛ تاريخ الطبري ٨/ ٧١؛ المروءة ٧؛ سير أعلام النبلاء ٧/ ٨٥؛ التمثيل والمحاضرة ٣١؛ تاريخ دمشق ٣٢/ ٣١٤ و ١٦/ ١١٤؛ أدب المجالسة ١١٧؛ تاريخ بغداد ١٠/ ٥٦؛ الفاضل ٨٨؛ الجليس الصالح ٣/ ٣٢؛ مجالس ثعلب ١/ ١٨٧؛ المجالسة ٥/ ٣٩١؛ وانظر مزيد من التخريج في المنهج المسلوك ٣١٧.

(٣) حلية الأولياء ٣/ ١٠٩؛ الزهد والرقائق ٢٣٤، وفي طبعة أحمد فريد ٣٦٩ قال: بلاغ عن الكتب السابقة وسنده صحيح إلى الحجاج. وفي الدرة الخريدة ٣/ ٣٧ فيه: قيل مكتوب في الإنجيل: من استغفر لظالمه فقد هزم الشيطان.

عن أبي عبد الله الدمشقي، قال: قال إبراهيم: من دعا لمن ظلمه فَرَقَ الشيطان من ظله، وَمَنْ أحسن إلى من أساء إليه، فبه تقوم الأرض، ومن كان ذا عز وتواضع فقد علم عظمة الله. وفي حديث ابن السمرقندي: عظم عظمة الله[١].

* * *

قال: يزيد بن ميسرة: إن ظللت تدعو على رجل ظلمك فإن الله تعالى يقول: إن آخر يدعو عليك، إن شئت استجبنا لك واستجبنا عليك، وإن شئت أخرتكما إلى يوم القيامة ووسعكما عفو الله[٢].

* * *

«سمع مسلم بن يسار رجلاً يدعو على رجل، فقال: كل الظالم إلى ظلمه فإنه أسرع إليه من دعائك عليه، إلاَّ أن يتداركه بعمل، وقَمن أن لا يفعل»[٣].

* * *

سمع مسلم بن يسار رجلاً يدعو على أخ له من أجل أنه ظلمه، فقال له مسلم: يا أخي لا تدعُ على أخيك، ولا تقطع رحمه، وكله إلى الله، فإن خطيئته هي أشد له طلبًا من أعدى عدو له[٤].

* * *

حدثني رباح بن عبيدة قال: كنت قاعدًا عند عمر بن عبد العزيز فذكر الحجاج فشتمته ووقعت فيه، فقال عمر: مهلاً يا رباح إنه بلغني أن الرجل

---

(١) تاريخ دمشق ٦٧/ ٤٣.

(٢) حلية الأولياء ٥/ ٢٣٩؛ الدرة الخريدة ٣/ ٣٧.

(٣) زهد أبي داود ٣٨٦، وقال المحقق: «إسناده حسن»؛ زهد أحمد ٤٦٥؛ تاريخ دمشق ٥٨/ ١٤٢؛ ربيع الأبرار ٢/ ٨٢٠؛ المستطرف ١٢٧؛ الدرة الخريدة ٣/ ٣٧.

(٤) ربيع الأبرار ٢/ ٢٣٢؛ تاريخ دمشق ٥٨/ ١٤٢.

ليظلم بالمظلمة فلا يزال المظلوم يشتم الظالم وينتقصه حتى يستوفي حقه فيكون للظالم عليه الفضل[1].

* * *

سمع ابن سيرين رجلاً يدعو على من ظلمه، فقال: أقصر يا هذا، لا يَرْبَح عليك ظالمك[2].

* * *

روى يحيى بن نعيم، قال: لما خرج أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل إلى المُعتَصم يوم ضُرِبَ قال له العون الموكَّلُ به: ادعُ على ظالمك. قال: ليس بصابر من دعا على ظالم. قال: تأوَّلَ في ذلك ما روتهُ عائشةُ رضي الله عنها عن النبي ﷺ: «مَنْ دَعَا على مَنْ ظَلَمَهُ فَقَد انتصَرَ»[3].

وعن سالم بن أبي الجَعْد أن سلطانًا ضَرَبَهُ، فجعلت امرأتُه تَدْعو عليه، فقال: لا تَدعي عَلَيْه، فإنَّ الدُّعَاءَ قِصاصٌ.

❑❑❑

---

(١) حلية الأولياء ٥/ ٢٧٧؛ أنساب الأشراف ٨/ ١٨٤.

(٢) عيون الأخبار ١/ ٧٩.

(٣) حديث ضعيف وقد تقدم إخراجه؛ المنهج الأحمد ٢/ ١٧٣؛ طبقات الحنابلة ٢/ ٢٨٩ و ١/ ٤٠٨؛ المقصد الأرشد ٣/ ١١١؛ سير أعلام النبلاء ١٢/ ٤٦١؛ الآداب الشرعية ٢/ ٢٢٦.

مما ورد عن الملوك والأمراء في دعوة المظلوم

قال الذهبي في ترجمة يَمُوت بن المُزَرِّع، وما أحسن ما نقل، قال: إنَّما قصُرت أعمار الملوك لكثرة شكاية الخلق إيّاهم إلى الله[1].

* * *

عن أبي عُبَيْدة بن عبد الله بن مسعود: «إنَّ الإمام العادلَ ليُسْكِتُ الأصواتَ عن الله عزَّ وجلَّ، وإنَّ الإمامَ الجائرَ لتكثُرُ منه الشِّكَايَةُ إلى الله عزَّ وجلَّ»[2].

* * *

قيل: إن المعتصم استكثر من المماليك فضاقت بهم بغداد وتأذى بهم الناس وزاحموهم في دورهم وتعرضوا بالنساء، فكان في كل يوم ربما قتل منهم جماعة. فركب المعتصم يومًا فلقيه رجل شيخ فقال للمعتصم: يا أبا إسحاق؛ فأراد الجند ضربه فمنعهم المعتصم وقال له: ما لك يا شيخ؟ فقال: لا جزاك الله خيرًا عن الجوار، جاورتنا مدة فرأيناك شر جار، جئتنا بهؤلاء

---

(١) تاريخ الإسلام ٢٣/ ١٥١.

(٢) الزاهر ٢٧١؛ المجالسة ٦/ ٢٢، وقال المحقق: إسناده ضعيف.
أخرجه أبو عبيد في «الأموال» (رقم ١٣، ط. دار الفكر) ومن طريقه المصنف، وابن زنجويه في «الأموال» (١٨).

العلوج من غلمانك الأتراك فأسكنتهم بيننا، فأيتمت بهم صبياننا وأرملت نساءنا، والله لنقاتلنك بسهام السَّحَر ـ يعني الدعاء ـ . والمعتصم يسمع ذلك، فدخل منزله ولم يُر راكبًا إلاَّ في يوم مثل ذلك اليوم، فركب وصلَّى بالناس العيد وسار إلى موضع سامرًّا فبناها. وكان ذلك في سنة إحدى وعشرين ومائتين[1].

* * *

سئِلَ رجلٌ من بَني أمية عن سببِ زوالِ دَوْلتِهم فقال: مثله ما قال بُزرجَمِهر: شغلتنا لذاتُنَا عن مَهماتِنا وقلَّ عطاؤنا لجُندِنَا فقلَّ نَاصِرُنَا، وجُرنا على أهلِ خَرَاجِنا، فَدَعوا علينا وطلبوا الراحة منا، وأشدُّ من ذلك أنَّا استعْمَلنا صِغَار العُمالِ على كبار الأعمالِ فآلَ مُلْكُنا إلى ما آل[2].

* * *

حدَّث الحسن بن خضر، عن أبيه، قال: أخبرني بعض الهاشميين، قال: كُنتُ جالسًا عند المنصور بإرمينية، وهو أميرها لأخيه أبـي العباس السفَّاح وقد جلس للمظالم، فدخل عليه رجلٌ فقالَ: إنَّ لي مظلمةً، وإني أسألك أن تسمع مني مثلاً أضربهُ قبل أن أذكر مظلمتي، قال: قل.

قال: إني وجدت الله تبارك وتعالى خلق الخلقَ على طبقات، فالصبيُّ إذا خرَج إلى الدنيا لا يعرفُ إلاَّ أمَّهُ ولا يطلبُ غيرها، فإن فزع من شيء لجأ إليها، ثم يرتفعُ عن ذلك طبقةً فيعرفُ أنَّ أباه أعزُّ من أمّهِ فإن أفزَعَهُ شيء لجأ إلى أبيه، ثم يبلغُ ويستحكمُ فيعرفُ أنَّ سلطانَهُ أعزُّ من أبيه، فإن أفزَعَهُ شيءٌ لجأ إلى سلطانِه، فإن ظلمه ظالمٌ انتصر به، فإذا ظلمهُ السلطانُ لجأ إلى ربِّهِ واستنصره، وقد كُنت في هذه الطبقات، وقد ظلمني ابن نُهيكٍ في ضيعةٍ لي في ولايته، فإن

---

(١) الفخري في الآداب السلطانية» لمحمد بن علي بن طباطبا المعروف بابن الطقطقي.

(٢) الشهب اللاَّمعة ٤١٦؛ المنهج المسلوك ١٨٨ «وفيه تخريج أكثر».

نصرتني عليه وأخذت بمظلمتي وإلّا استنصرت الله عزّ وجلّ ولجأت إليه، فانظر لنفسك أيُّها الأمير أوْ دَع. فَتَضَاءَلَ أبو جعفر، وقال: أعِدْ عليَّ الكلام، فأعادَهُ. فقال: أمّا أول شيءٍ، فقد عزلتُ ابن نهيكٍ عن ناحيته، وأمَرَ بِرَدِّ ضيعتِهِ[1].

***

وجد خمارويه أحمد بن طولون مرّة في جيبه رقعة لم يعرف من رفعها، ولا مَن قالها، فإذا فيها مكتوب: أمّا بعد، فإنّكم ملكتم فأسرتم، وقدرتم فأشرتم، ووُسِّع عَلَيْكم فضيّقتُم، وعلمتُم عاقبةَ الدعاء فما ارعويتُم ولا أشفقتم. اشتغلتم بلذّاتكم عن مهمّاتكم حتى هجرتكم خاصتكم وكرِهتكُم عامَّتُكم. أو مَا علمتم أن الدنيا لو دامت على العاقل لما وصل إليها الجاهل، ولو دامت على مَن مضى لما وصل إليها من بقي؟

فاحذروا سهام السحَر، فإنها أنفذ من وخز الإبر، لا سيما وقد جرَّحْتُم قلوبًا قد أوجعتمُوها، وأكبادًا أجعتموها، وأحشاء أنكيتموها، ومُقلاً أبكيتموها. ومن المحال أن يهلك المنتظِرون ويبقى المنتظَرون. فاعمَلوا إنّا عاملون، وجوروا فإنا بالله مستجيرون، واظلموا فإنا إلى الله متظلّمون ﴿وَسَيَعْلَمُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ أَىَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ ۝٢٢٧﴾ [الشعراء: ٢٢٧].

فبكى خمارويه لمّا قرأها بكاءً شديدًا، وجعل يتعهد قراءتها في غالب أوقاته، ويستعين بها على إجراء عَبَراته[2].

***

---

(١) نوادر الرسائل ٢٢؛ جمهرة الأمثال البغدادية ١/ ١٦؛ الذهب المسبوك ٢٠٨؛ المخلاة ١٠٣؛ تاريخ دمشق ٣٢/ ٣٢٩؛ المصباح المضيء ٢/ ٢٢٢؛ أمالي ابن دريد ١٢٧ «وقد انخرم منه ثلثاه».

(٢) المقفى ٣/ ٨٣٣؛ تاج المفرق ٢/ ٨٠ (وفيه كافور)؛ (وللسيدة نفيسة مع خمارويه في) الكشكول ٣٤٤؛ ونزهة الجليس ٢/ ٥٣٩؛ والجواهر اللؤلؤية ٢٣١.

حكي أن امرأة إسرائيلية كان لها دار بجوار قصر الملك وكانت تشين القصر، فكان مرام الملك منها أن تبيع الدار، فأبت أن تبيع منه، فخرجت المرأة في سَفَر، فأمر الملك بهدمها، فلما جاءت المرأة من السفر قالت: من هدم داري؟ قيل لها: الملك، فرفعت طرفها إلى السماء وقالت: إلهي وسيدي ومولاي غبت أنا وأنت حاضر، وأنت للضعيف معين، وللمظلوم ناصر. ثم جلست.

فخرج الملك في موكبه، فلما نظر إليها قال: ما تنتظرين؟ قالت: أنتظر خراب قصرك، فهزىء بقولها وضحك منها، فلما جنَّ عليه الليل خسف به وبقصره، ووُجد على بعض حيطان القصر مكتوب هذه الأبيات:

أتهزأ بالدعاء وتزدريه	ولا تدري بما صنع الدعاءُ
سهامُ الليل لا تخطي ولكن	لها أمد وللأمد انقضاءُ
وقد شاء الإله بما تراه	فما للمُلك عندكُم بقاءُ[1]

* * *

ذُكِرَ هشامٌ عند محمد بن كعب القرظي وثَمَّ محمد بن علي بن الحسين فوقع فيه، فقال القرظي: ليس بأسيافكم ترجون أن تنالوا ما تريدون. إنَّ ملكًا من ملوك بني إسرائيل عتا عليهم فانطلق نفرٌ منهم إلى حَبْرِهِم وقالوا: تخرج عليه. فقال: ليس بأسيافكم ترجون أن تنالوا ما تريدون، ولكن انطلقوا فصوموا عشرًا، وقوموا ولا تظلموا فيها أحدًا ولا تطؤوا فيها امرأة. فجاءوا بعد عشر فقال: زيدوا عشرًا أخر، فلم يزالوا حتى بلغوا أربعين، ثم قال لهم: اجتمعوا

---

(١) المخلاة ٤٠٧؛ التبصرة ١/ ٨٥؛ روض الرياحين ٢٣٦؛ الجليس الصالح ٧٧؛ الشفاء في مواعظ الملوك ٥١؛ المصباح المضيء ١/ ٢٣٦؛ العقد الفريد للملك السعيد ٦٦؛ الكبائر ١٨١.

وادعُوا الله أن يكفيكم ففعلوا. فدعا الملكُ ببرذونٍ له، وأمر سائِسَهُ بإسراجِهِ، فتشاغب وامتنع البرذونُ، فغضب الملك وقام وأسرجه وركبه، فجمح به حتى ألقاه فتقطع وهلك.

فقال الحبر: هكذا إذا أردتم أن تقتلوا من ظلمكم(١).

***

حكي أن امرأة من بني إسرائيل لم يكن لها إلاَّ دجاجة فسرقها سارق فصبرت وردت أمرها إلى الله تعالى ولم تدع عليه، فلما ذبحها السارق ونتف ريشها نبت جميعه في وجهه فسعى في إزالته فلم يقدر على ذلك إلى أن أتى حبرًا من أحبار بني إسرائيل فشكا له فقال: لا أجد لك دواء إلاَّ أن تدعو عليك هذه المرأة، فأرسل إليها من قال لها أين دجاجتك؟ فقالت: سرقت. فقال: لقد آذاك من سرقها. قالت: قد فعل، ولم تدع عليه. قال: وقد فجعك في بيضها. قالت هو كذلك. فما زال بها حتى أثار الغضب منها فدعت عليه فتساقط الريش من وجهه. فقيل لذلك الحبر: من أين علمت ذلك؟ قال لأنها لما صبرت ولم تدع عليه انتقم لها الله، فلما انتصرت لنفسها ودعت عليه سقط الريش من وجهه(٢).

***

عن عمرو بن دينار، قال: كان من بَني إسرائيل رَجل قائم على سَاحل البحر فرأى رَجُلاً وَهُوَ يُنَادي بأعلى صَوته: ألا من رآني فلا يظلم أحدًا. قال: فدنوت منه وقلت له: يا عبد الله ما قصتك وما الذي بك؟ فقال: ادنُ مني أخبرك.

---

(١) التذكرة الحمدونية ٣/ ٢٠٩.

(٢) المستطرف ٣١٠.

كنت رَجلاً شرطيًا فجئت إلى هَذا الساحل فرأيت رجُلاً صَيَّادًا قد اصطاد سَمكة، فسألته أن يهبَها لي فأبى، فسألته أن يبيعنيهَا فأبى، فضربت رَأسَه بسوطٍ كان مَعي وأخذت منه السمكة وحملتها إلى منزلي، وَقَد ضرَبت عليّ إصبعي التي علقت بها السمكة، وأصلحوها، وقُدِّمت إلي فضربت عليّ إصبعي حتى صحت وَبَكيت، وكان لي جَار مُعَالج فأتيته، وقلت: إصبعي، فقال: هو أكلة إن أنت رمَيت بها وإلاّ هلكت، فرميت بهَا فوقع الضربَان في عضدي، فخرجت من منزلي هَاربًا على وجهي أصيح وأبكي، فبينَا أنا أسيح في البلاد وقعت لي شجرة دَوحاء فأويت إليهَا ونعست، وأتاني آتٍ فقال لي: لم تُقطع أعضاؤُك وترميها؟ رد الحق إلى أهله وَانج.

قال: فانتبهت فعَلمت أن ذاك من قبل الله عز وجل، فأتيت الصياد، فوَجدته قبل أن يُخرج شَبكته، فانتظرته حَتى أخرجهَا وإذا فيها سمكة كبيرة فدنوت منه وقلت: يَا عبد الله إني مَملوكك فأعتقني. فقال: مَا أعرفك، قلت: أنا الشرطي الذي ضَربت رأسك بالسَوط، وأخَذت سَمكتك. وأرَيته يَدي، فلما رَآني عَلى تلك الحالة رَق لي وقال: أنت في حلّ، فأقبَل الدُود يتناثر من يَدي وَيَسقط عَلى الأرض. فهَاله ذلك، وَانصرَف. فاستوقفته وَأخذته إلى منزلي ودعوت بابني وقلت له: احفر في هذه الزاوية. فأخرج منها جرَّة فيها ثلاثون ألف درهَم. فقلت: اعدد مِنها عشرة آلاف خذها فاستعن بها، ثم قلت: خذ منهَا عشرة آلاف أخرى اجعَلها في فقراء جيرَانك وَقرابَاتك.

فقام ليَنصرف، فقلت: أخبرني، دعوتَ عَلي؟ فقال: أنا أخبرُك، لما أخذتَ السمكة مني وَضَربتَ رَأسي، رَفعتُ رَأسي إلى السَماء وبَكيتُ وقلت: يا رب خلقتني وخَلقته وجعَلته قويًا وَجعَلتني ضَعيفًا، ثم سلّطته عَلَيّ فلا أنت منعتني مِن ظلمه، وَلاَ أنت جَعلتني قويًا فأمتنع من ظلمه، فأسألك بالذي خلقته قويًا وَجعَلتني ضَعيفًا أن تجعَله عبرة لخلقك.

فبَكيتُ وَقلت: لقد سَمعَ الله عزّ وَجَلّ دعَاءك وجَعَلني عبرة[1].

* * *

حدَّث عبد الصمد بن معقل أنه سمع وهبًا يقول: ركب ابن ملك في جند من قومه وهو شاب، فصرع عن فرسه فدق عنقه فمات في أرض قريبة من القرى، فغضب أبوه وحلف أن يقتل أهل تلك القرية عن آخرهم، وأن يطأهم بالأفيال، فما أبقت الأفيال وطئته الخيل، فما أبقت الخيل وطئته الرجال. فتوجه إليهم بعد أن سقى الأفيال والخيل الخمر وقال: طأوهم بالأفيال، وإلاَّ فما أبقت الأفيال فلتطأه الخيل، فما أخطأته الخيل فلتطأه الرجال.

فلما سمع بذلك أهل تلك القرية وعرفوا أنه قد قصدهم لذلك، خرجوا بأجمعهم فجأروا إلى الله سبحانه وعجّوا إليه وابتهلوا يدعونه تعالى ليكشف عنهم شر هذا الملك الظالم، وما قصده من هلاكهم.

فبينما الملك وجيشه سائرون على ذلك، وأهل القرية في الابتهال والدعاء والتضرع إلى الله تعالى، إذ نزل فارس من السماء فوقع بينهم، فنفرت الأفيال فطغت على الخيل وطغت الخيل على الرجال، فقتل الملك ومن معه وطأ بالأفيال والخيل، ونجّى الله أهل تلك القرية من بأسهم وشرهم[2].

* * *

كتب سفيان الثوري إلى المهدي: مع جبْر طردتني وشردتني وخوَّفتني،

---

(١) تاريخ دمشق ٥/ ٦٣؛ سراج الملوك ٤٤٦؛ المجالسة ٦/ ٣٧٦؛ الجليس الصالح ٨١؛ التبر المسبوك ١٥٩؛ المستغيثون بالله ٧٥؛ المصباح المضيء ١/ ٢٣٧؛ نزهة المجالس ٢/ ٥٩؛ روض الرياحين ٢٣٧.

(٢) البداية والنهاية ٩/ ٢٩٩.

الله بيني وبينك، وأرجو أن يخير الله لي قبل مرجع الكتاب. قال: فرجع الكتاب وقد مات المهدي[1].

***

يحكى عن أمير المؤمنين هارون الرشيد، أمر يحيى بن خالد بحبس رجل جنى جناية فحبسه، ثم سأل عنه الرشيد فقيل: هو كثير الصلاة والدعاء، فقال للموكل به: عرِّض له بأن يكلمني، ويسألني إطلاقه، فقال له الموكل ذلك، فقال: قل لأمير المؤمنين إن كل يوم يمضي من نعمتك ينقص من محنتي، فالأمر قريب، والموعد الصراط، والحاكم الله. فخر الرشيد مغشيًا عليه، ثم أفاق وأمر بإطلاقه[2].

***

دخل أبو حازم الأعرج المديني الزاهد على سليمان بن عبد الملك بالشام في نفر من العلماء، فقال سليمان: يا أبا حازم ألك مال؟ قال: نعم، لي مالان، قال: ما هما بارك الله لك؟ قال: الرضا بما قسم الله تعالى، والإياس عما في أيدي الناس.

قال سليمان: يا أبا حازم، ارفع إليّ حاجتك، قال: هيهات، رفعتها إلى من لا تُختزل الحوائج إليه، فما أعطاني شكرت، وما منعني صبرت، مع أني رأيت الأشياء شيئين: فشيء لي وشيء لغيري، فما كان لي فلو جهد الخلقُ أن يردوه عليّ ما قدروا، وما كان لغيري فما نافست فيه أهله فيما مضى فكيف فيما بقي؟ كما مُنع غيري رزقي كذلك مُنعت رزق غيري.

قال سليمان بن عبد الملك: يا أبا حازم، ما المخرج مما نحن فيه؟ قال: بالصغير من الأمر. قال سليمان: وما هو؟ قال أبُو حازم: تنظر ما كان في يدك

---

(١) مناقب سفيان الثوري ٦٣؛ نسمة السحر ١/ ١١٤؛ المستغيثون بالله ٧٢ و ٧٤.

(٢) محاضرة الأبرار ٢/ ١٦٢؛ المحاسن والأضداد ٣١.

مما ليس بحق فترده إلى أهله، وما لم يكن لك لم تنازع فيه غيرك. قال سليمان: ومن يطيق هذا؟ قال أبو حازم: من خاف النار ورجا الجنة. قال: يا أبا حازم ادعُ الله لي، قال: ما ينفعك أن أدعو في وجهك ويدعو عليك مظلوم من وراء الباب، فأي الدعاء أحق أن يجاب؟ فبكى سليمان واشتد بكاؤه وقام أبو حازم[1].

* * *

حُكي أنَّ بعضَ الملوك أغار على قرية، أي هجم عليها، فنهبها، وأخذ أموالَ أهلها ومواشيهم ودوابهم، وفتك فيهم بالقتل وغيره، فخرجت عجوزٌ من بعض الدور فنظرت إليه، وقالت: يا ويلك من ديَّان يوم الدين، إذا انشقت السماء وبرز الربُّ لفصل القضاء، فقال لها: يا عجوز أما سمعت في القرآن: ﴿إِنَّ ٱلْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا۟ قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوٓا۟ أَعِزَّةَ أَهْلِهَآ أَذِلَّةً﴾ [النمل: ٣٤]. فقالت له: يا هذا أنسيت الآية الأخرى التي بعدها في السورة: ﴿فَتِلْكَ بُيُوتُهُمْ خَاوِيَةًۢ بِمَا ظَلَمُوٓا۟﴾ [النمل: ٥٢].

فقال الملكُ: ردوا عليهم جميعَ أموالهم، فردُّوه، ثم قال: يا عجوز كيف الخلاص؟ قالت: لا تقنط وهو الذي يقبل التوبة عن عباده[2].

* * *

قال رجل من النساك للمأمون: يا أعز الناس على الله، قال: وكيف ذلك؟ قال: لأن الناس كلهم يدعون عليك، فلا يستجيب لهم فيك، قال: ولم ذلك؟ قال: لظلم عمالك. فنظر في أمور عماله، فأصلحها[3].

* * *

(١) تاريخ دمشق ٢٢/ ٣٨؛ الجليس الصالح ٢٣٧.

(٢) الجواهر اللؤلؤية ٢٣١.

(٣) الشهب اللامعة ٣٣٩.

قال عبد الرحمن بن صالح الأزدي: حج هارون الرشيد فأتى قبر النبي ﷺ زائرًا له وحوله قريش وأفناء القبائل[1]، ومعه موسى بن جعفر، فلما انتهى إلى القبر قال: السلام عليك يا ابن عم ـ افتخارًا على من حوله ـ فدنا موسى بن جعفر من القبر فقال: السلام عليك يا أبتا، فتغير وجه هارون وقال: هذا الفخر يا أبا الحسن حقًا.

ثم اعتمر الرشيد في رمضان سنة تسع وسبعين وحمل موسى بن جعفر معه إلى بغداد فحبسه بها فتوفي في حبسه، فلما طال حبسه كتب إلى الرشيد: إنه لن ينقضي عني يوم من البلاء إلاَّ انقضى عنك معه يوم من الرخاء حتى نفضي جميعًا إلى يوم ليس له انقضاء يخسر فيه المبطلون[2].

❊ ❊ ❊

حدث الصّولي قال: لبس أبو العتاهية كساء صوف ودُرَّاعة صوف، وآلى على نفسه ألاَّ يقول شعرًا في الغزل، وأمر الرشيد بحبسه والتضييق عليه، ووكَّل به صاحب خبر يكتب إليه بكل ما يسمعه، فكتب إليه أنه سمعه ينشد:

أما واللّـهِ إنْ الظُلْـمَ لـؤمُ ... ومـا زالَ المُسـيءُ هـو الظلّـومُ

إلـى دَيَّـانِ يَـومِ الـدِّيـنِ نَمضـي ... وَعِنْـدَ اللّـهِ تَجْتَمِـعُ ٱلْخُصـومُ

لأمـرِ مـا تَصَـرَّفَـتِ اللَّيـالـي ... وَأمْـرِ مـا تُـوُلِّيَـتِ النُجـومُ

سَتَعْلَـمُ فـي ٱلحِسـابِ إذا ٱلتَقَيْنَـا ... غَـدًا عِنْـدَ الإلـهِ مَـنِ ٱلْمَلُـومُ

سَيَنْقَطِـعُ ٱلتَـرَوُّحُ عَـنْ أُنـاسٍ ... مِـنَ الـدُّنْيـا وَتَنْقَطِـعُ الْغمـومُ

تَلُـومُ عَلـى السَّفـاهِ وأنْـتَ فيـهِ ... أجَـلُّ سَفـاهَـةً مِمَّـنْ تَلـومُ

وَتَلْتَمِـسُ الصَّـلاحَ بِغَيْـرِ حِلْـمٍ ... وَإنَّ الصَّـالِحيـنَ لَهُـمْ حلُـومُ

تَنـامُ ولَـمْ تنَـمْ عَنْـكَ ٱلْمَنـايـا ... تَنَبَّـهْ لِلْمَنِيَّـةِ يـا نَـؤومُ

---

(١) أناس شتى لا يدرى من أي قبيلة هم.

(٢) الذهب المسبوك ١٣٥؛ البداية والنهاية ١٠/ ١٨٣.

تَمـوتُ غـدًا وأنـتَ قـريـرُ عَيْـنٍ ... مِـنَ الْغَفَـلاتِ فـي لُجَجٍ تعـومُ

لَهَـوْتَ عَـنِ الفَنـاء وأنـتَ تَفْنـى ... ومـا حَـيٌّ عَلـى الـدُّنْيـا يَـدومُ

تَـرومُ الخُلْـدَ فـي دارِ المَنـايـا ... وكَـمْ قَـدْ رامَ غَيْـرُكَ مـا تَـرُومُ

سَـلِ الأيَّـامَ عَـنْ أُمَـمٍ تَقَضَّـتْ ... سَتُخْبِـرُكَ المَعـالِـمُ والـرُّسـومُ

ومـا تَنْفَـكُّ مِـنْ زَمَـنٍ عَقـورٍ ... بِقَلْبِـكَ مِـنْ مخـالِبِـهِ كُلـومُ

إذا مـا قُلْـتَ قَـدْ زَجَّيْـتُ غَمًّـا ... فَمَـرَّ تَشَعَّبَـتْ مِنْـهُ غُمـومُ

وَلَيْـسَ يَـذِلُّ بـالإنصـافِ حَـيٌّ ... وَلَيْـسَ يَعِـزُّ بـالغشـمِ الغَشُـومُ

ولِلْمُعْتـادِ مـا يَجْـري عَلَيْـهِ ... وللْعـاداتِ يـا هـذا لُـزومُ

قال: فبكى الرشيد وأمر بإحضار أبي العتاهية وإطلاقه وأمر له بألفي دينار[1].

* * *

عن رجل من بني أمية قال: حضرت معاوية يومًا وقد أذن للناس إذنًا عامًا، فدخلوا عليه لمظالمهم وحوائجهم.

فدخلت امرأة كأنها قلعة ومعها جاريتان لها فحدرت اللثام عن لون كأنما أشرب ماء الدر في حمرة التفاح ثم قالت: الحمد لله يا معاوية الذي خلق اللسان فجعل فيه البيان، ودل به على النعم وأجرى به القلم فيما أبرم وحتم ودرأ وبرأ وحكم، وقضا صرف الكلام باللغات المختلفة على المعاني المتفرقة، ألفها بالتقديم والتأخير والأشباه والمناكير، والموافقة والتزايد، فأدَّتهُ الآذان إلى القلوب وأدته القلوب إلى الألسن بالبيان.

---

(1) المنهج المسلوك ٣٦٤؛ جنة الرضا ٢/ ٢١٦، الذهب المسبوك ٢١٦؛ المجالسة ٥/ ٣٧٢، بغية الطالب ٤/ ١٧٩٠؛ أمالي الشجري ١/ ٨١؛ الآداب الشرعية ١/ ٢٠٤؛ أدب الدنيا والدين ٢٢٤؛ تاريخ دمشق ٤٢/ ٤٥٩؛ المناقب والمثالب ٣٧٩؛ الكبائر ١٨٢؛ البداية والنهاية ١٠/ ٢١٨؛ ديوان أبي العتاهية ٣٥٥، وفيه مزيد من التخريج.

استدل به على العلم، وعبد به الرب وأبرم به الأمر، وعرفت به الأقدار وتمّت به النعم.

فكان من قضاء الله وقدره أن قرّبت زيادًا وجعلت له بين آل سفيان نسبًا ثم وليته أحكام العباد يسفك الدماء بغير حلها ولا حقها، ويهتك الحرم بلا مراقبة الله فيها، خؤون غشوم كافر ظلوم، يتخير من المعاصي أعظمها، لا يرى لله وقارًا ولا يظن أن له معادًا، وغدًا يعرض عمله في صحيفتك وتوقف على ما أجترم بين يدي ربك، ولك برسول ﷺ أسوة وبينك وبينه صهر، فلا الماضين من أئمة الهدى اتبعت ولا طريقتهم سلكت. جعلت عبد ثقيف على رقاب أمة محمد ﷺ يدبر أمورهم ويسفك دماءهم، فماذا تقول لربك يا معاوية وقد مضى من أجلك أكثره وذهب خيره وبقي وزره؟

إني امرأة من بني ذكوان، وثب زياد المدعي إلى أبـي سفيان على ضيعتي ورثتها عن أبـي وأمي، فغصبنيها وحال بيني وبينها وقتل من نازعه فيها من رجالي، فأتيتك مستصرخة، فإن أنصفت وعدلت وإلاَّ وكلتك وزياد إلى الله عزَّ وجلّ، فلن تبطل ظلامتي عندك ولا عنده والمنصف لي منكما حكم عدل.

فبهت معاوية ينظر إليها متعجبًا من كلامها ثم قال: ما لزياد؟! لعن الله زيادًا، فإنه لا يزال يبعث على مثالبه من ينشرها وعلى مساويه من يثيرها!! ثم أمر كاتبه بالكتاب إلى زياد يأمره بالخروج إليها من حقها وإلاَّ صرفه مذمومًا مدحورًا، ثم أمر لها بعشرين ألف درهم. وعجب معاوية وجميع من حضره من مقالتها وبلوغها حاجتها[1].

* * *

أمر المنصور أبو جعفر بإشخاص سَوَّار بن عبد الله القاضي إليه من

---

(1) بلاغات النساء ٩٠؛ تاريخ دمشق ٧٠/ ٢٨١.

البصرة بعد قتل إبراهيم بن عبد الله بن حسن، فلما قدم عليه قال له: يا سوار! ضربني أهلُ البَصرة بمائة ألف سيف من غير جناية، لأفعلنَّ بهم ولأفعلنَّ. فقال له سوار: يا أمير المؤمنين! إنَّ لأهل البصرة سلاحًا لا تطيقُه. قال: أبسلاحهم تُخوّفني؟! لا أمّ لك! قال: يا أميرَ المؤمنين: إنَّه دعاء بالأسْحَار[1].

* * *

عبّاد بن محمد المعتضد بالله أبو عَمْرو أمير إشبيلية:

كان شَهْمًا صارمًا، جَرَى على سنن والده مدة، ثم سَمَت همَّته وتلقب بالمعتضد بالله، وخُوطِب بأمير المؤمنين.

وكان شجاعًا داهية، قَتَل من أعوان أبيه جماعةً صبرًا، وصادرَ بعضهم، وتمكّن من الملك، ودانت له الملوك. وكان قد اتَّخذ خُشُبًا في قصره، وجلّلها برؤوس ملوك وأعيان ومقدَّمين.

وكان يُشبَّه بأبي جعفر المنصور، وكان ابنُه وليّ العهد إسماعيل قد همَّ بقتل أبيه، وأراد اغتياله، فلم يتمّ له الأمر، فقبض عليه المعتضد، وضرب عُنقه، وعهد إلى ابنه أبي القاسم محمد، ولقَّبه المعتمد على الله.

ويقال إنَّه أخذ مال أعمى، فنزح وجاورَ بمكّة يدعو عليه، فبلغ المعتضد، فندبَ رجلاً، وأعطاه حُقًّا فيه جملة دنانير، وطلاها بِسُمٍّ، فسافر إلى مكّة، وأعطى الأعمى الدّنانير، فأنكر ذلك وقال: يظلمني بإشبيلية، ويتصدقَّ عليّ هُنا، ثمَ أخذ دينارًا منها، فوضعه في فمه فمات بعد يوم.

وكذلك فرَّ منه رجل مؤذّن إلى طُلَيْطُلَة، فأخذ يدعو عليه في الأسْحار، فبعث إليه من جاءه برأسِهِ.

---

(١) بهجة المجالس ٣/ ٢٧٥؛ تاريخ الثقات ٢١١؛ أخبار القضاة ٢/ ٥٨ و ٦١ «مع بعض الاختلاف».

وطالت أيَّامه إلى أن تُوُفِّي في رجب، فقيل إن ملك الفرنج سمَّه في ثيابٍ بعث بها إليه.

وقيل: مات حتْف أنفه، وقام بعده ابنه المعتمد[1].

❊ ❊ ❊

عن الزهري، أن يهوديًا جاء إلى عبد الملك بن مروان، فقال له: ابن هرمز ظلمني. فلم يلتفت إليه، ثم الثانية، ثم الثالثة، فلم يلتفت إليه، فقال له اليهودي: إنَّا نجد في كتاب الله في التوراة أن الإمام لا يشركُ في ظلم ولا جور حتى يرفع إليه، فإذا رُفع إليه فلم يغير شَرَكَ في الجور والظلم، قال: ففزع لها عبد الملك، وأرسل إلى ابن هرمز، فنزعه[2].

❊ ❊ ❊

كان باديس بن المنصور ملكًا كبيرًا حازمًا شديد البأس، إذا هزَّ رمحًا كسره، وولد بأشير سنة أربعٍ وسبعين وثلاثمائة، فلما كان في ذي القعدة سنة ستٍّ وأربعمائة أمر جيوشَه بالعرض، فعُرضوا بين يديه إلى وقت الظُّهْر، وسرَّهُ حُسن عسكره، وانصرف إلى قصره ومدّ السِّماط، فأكل معه خواصُّه ثمَّ انصرفوا، فلمَّا كان الليل مات فجأة، فأخفوا أمره، ورتَّبوا أخاه كرامة بن المنصور حتى وصلوا إلى ولده المعزّ بن باديس فبايعوه، وتمَّ له الأمر.

وقيل: إنَّ سبب موته أنه قصدَ طرابُلُسَ ونزل بقُربها عازمًا على قتالها، وحلَفَ أن لا يرحل عنها حتَّى يُعيدها فُدُنًا للزراعة. فاجتمع أهل البلد إلى المؤدب محرز وقالوا: يا وليّ الله، قد بلغك ما قاله باديس. فهلك في ليلته

---

(1) تاريخ الإسلام ٣١/ ١٤٨؛ سير أعلام النبلاء ١٩/ ٥٩.

(2) تاريخ دمشق ٣٧/ ١٤٢.

بالذُّبْحة. وكان من دعائه عليه أن رفع يديه إلى السَّماء وقال: يا ربّ باديس، اكفِنا باديس[1].

* * *

في ولاية تميم بن المُعِزِّ بن باديس أخرج الفقيه الزاهد الواعظ أبي عبد الله بن عبد الصمد من القَيْروان في شهر رجب، ووَكَّلوا به رجالاً تَوَجّهوا معه إلى مدينة قابس، وكانت الرفقة خارجةً من القَيْرَوان إلى مِصْر؛ فأمر أن ينتظرها بمدينة قابِس إلى أن يصحبها، وكُوتب عامل قابِس بأن لا يترك من يدخل إليه، ولا من يُسلِّم عليه، ولا يخرج من موضع نزوله إلاَّ في يوم سفره؛ فخرج، وهو غير آمِنٍ على نفسه؛ ثمَّ قُتِلَ في طريقه ذلك؛ وكان رجلاً واعظًا، يَعِظُ الناس، فيجتمعون إليه، ويسمعون كلامه؛ وكان له لسانٌ وحِدَّةٌ فحذره المُعِزّ، واجتمع عليه بعضُ فقراء القَيْرَوان، واستبشعوا ألفاظًا ذكرها؛ فرفعوا رِقاعهم إلى المُعِزِّ بذلك؛ فكان سَبَبَ نَفْيِه وحَتْفِه.

وكان أبوه يَعِظُ مجامع مِصْر في ذلك الوقت، إلى أن نُعِيَ له ابنُه هذا؛ فحجَّ في تلك السنة؛ فقيل إنَّه كان يطوفُ بالكعبة، ويصيح، فيقول: «يا رَبّ! المُعِزّ عليك به! يا رَبِّ! عليك بابن باديس!» فكانت الهزيمة على المُعِزّ في اليوم الثاني من دُعائه؛ وكان ذلك سَبَبَ خراب ملكه ودمار القَيْرَوان حاضرته. فلم يشكّ أحدٌ في إجابة دَعْوَته[2].

* * *

في زهر الرياض للنسفي رحمه الله تعالى أن جماعة كانوا يقطعون الطريق زمن هارون الرشيد، فأرسل في طلبهم جماعة، فلما أوثقوهم هرب واحد منهم

---

(١) تاريخ الإسلام ٢٨/ ١٣٩؛ وفيات الأعيان ١/ ٢٦٦؛ البداية والنهاية ١٢/ ٤.

(٢) البيان المغرب ١/ ٢٧٩.

فأخذوا رجلاً وجعلوه مكانه فجعلهم في السجن، فجاء أصحابهم وشفعوا فيهم وبقي الغريب، فكتب قصته وأمر السجان أن يجعلها فوق السطح، فطارت في الهواء فرأى الرشيد في منامه قائلاً يقول: في السجن غريب قد كتب قصته فيها من العبد الذليل إلى الرب الجليل قد شفع كل واحد في صاحبه وإني قد تشفعت بك. فأرسل الرشيد إليه وأعطاه عشرة أثواب وعشرة من الخيل وعشرة آلاف درهم، وأمر مناديًا ينادي: هذا جزاء من تشفعَ بالخالق دون المخلوقين[1].

* * *

كان عبد الله بن إبراهيم بن الأغلب أراد أن يُحْدِث جَوْرًا عظيمًا على رعيّته؛ فأهلكه الله قبل ذلك. وكان من أجملِ الناس وجهًا، وأقبحهم فعلاً، وأعظمهم ظُلْمًا. أحدث بإفريقية وجوهًا من الظُّلم شنيعةً، منها أنَّه قَطَعَ العُشُرَ حَبًّا، وجعله ثمانية دنانير للقفيز أصاب أو لم يُصِبْ، وغير ذلك من الظلم والمغارم والمظالم، فاشتدَّ على الناس ذلك.

ولما قدم حَفْص بن حُمَيْد الصالح على إفريقية، ومعه قومٌ صالحون من الجزيرة، قصدوا إليه؛ فوعظوه في أمر الدين ومَصالِح المسلمين. فتهاوَنَ بهم؛ فخرجوا مغمورين، يريدون القَيْرَوان، ؛ وكان هو في القَصْر القديم، فلما وصلوا وادي القَصّارين، قال لهم حَفْص بن حُمَيْد: «قد يَئِسْنا من المخلوق؛ فلا نيأس من الخالق! فَسَلُوا المولى واضْرَعوا إليه في زوال ظلمه عن المسلمين! فإن فُتِحَ في الدعاء، فقد أُذِنَ في الإجابة!»

فتوضّأ جميعُهم، وساروا إلى كُدْيَة مُصَلَّى رَوْح، فصلَّى بهم حَفْص ركعتَيْن، ودعوا الله أن يكُفَّ عن المسلمين جور أبي العبَّاس، ويُريحهم من أيّامه. فيقال إنَّ قرحةً خرجت له تحت أُذُنه، فقتلته في السادس من دعاء القوم.

---

(١) نزهة المجالس ١/ ٢٥٢.

وقال من حضر غَسْلَه، أنَّه لما كُشف عنه ثيابُه، ظُنَّ أنَّه عبدٌ أسود بعد جماله، وذلك بسوء فعاله، وكانت وفاتُه ليلة الجمعة لست خلون من ذي الحجة من سنة ٢٠١هـ؛ فكانت دولته خمسة أعوام وأشهرًا[١].

* * *

حكى الوزير يحيى بن هبيرة قال: لما استطال السلطان مسعود بن محمود السلجوقي وأصحابه وأفسدوا، عزم هو والخليفة على قتاله. قال: ثم إني فكرت في ذلك، ورأيت أنه ليس بصواب مجاهرته؛ لقوة شوكته. فدخلت على المقتفي، فقلت: إني رأيت أن لا وجه في هذا الأمر إلَّا الالتجاء إلى الله تعالى وصدق الاعتماد عليه، فبادر إلى تصديقي في ذلك، وقال: ليس إلَّا هذا. ثم كتبت إليه: إن رسول الله ﷺ قد دعا على رعل وذكوان شهرًا، وينبغي أن ندعو نحن شهرًا. فأجابني بالأمر بذلك.

قال الوزير: ثم لازمت الدعاء في كل ليلة وقت السحر أجلس فأدعو الله سبحانه، فمات مسعود لتمام الشهر، لم يزد يومًا ولم ينقص يومًا، وأجاب الله الدعاء وأزال يد مسعود وأتباعه عن العراق، وأورثنا أرضهم وديارهم[٢].

* * *

مَلِكْشَاه السلطان جلال الدَّولة أبو الفتح ابن السلطان أَلْب أرسلان محمد بن داود السَّلْجوقي:

تزوَّج أميرُ المؤمنين المقتدي بالله بابنته، وكان زفافها إلى الخليفة سنة ثمانين وأربعمائة. وفي صبيحة دخول الخليفة بها عمل وليمة هائلة لعسكر ملكشاه، كان فيه أربعون ألفًا منًّا سُكَّر، فأولدها جعفرًا.

---

(١) البيان المغرب ١/ ٩٥؛ الحلّة السيراء ١/ ١٦٣.

(٢) تاريخ الإسلام ٣٨/ ٣٣٤؛ تاريخ الخلفاء ٤٩٠؛ العبر في أخبار من غبر ٣/ ٤؛ الذيل على طبقات الحنابلة ١/ ٢٥٨؛ مختصر التاريخ ٢٢٨.

ودخل ملكْشَاه بغدادَ مرَّتين، وكان ليس للخليفة معه سوى الاسم، وقدِمَها ثالثًا متمرِّضًا.

وكان المقتدي قد جعَل ولده المستظهر بالله وليَّ العهد، فألزم ملكشاه الخليفة أن يعزله، ويجعل ابن بنته جعفرًا وليَّ العهد، وكان طفلاً، وأن يسلِّم بغداد إلى السّلطان ويخرج إلى البصرة، فشُقَّ ذلك على الخليفة، وبالغ في استنزال السّلطان ملكشاه عن هذا الرأي، فأبـى، فاستمهله عشرة أيَّام ليتجهَّز.

فقيل: إنه جعل يصوم ويطوي، فإذا أفطر جلس على الرَّماد يدعو على ملكشاه، فقوي به مرضه، ومات في شوَّال.

وكان نظام المُلْك قد مات من أكثر من شهر، فقيل إنَّ ملِكْشاه سُمَّ في خلالٍ تخلَّل به فهلك، ولم تشهده الدَّولة، ولا عُمِل عزاؤه، وحُمِل في تابوت إلى أصبهان، فدُفِن فيها في مدرسةٍ عظيمة، ووقى الله شرّه، وتزوّج المستظهر بالله بخاتون بنته الأخرى[1].

* * *

لمَّا نُكِبَ أميرُ المؤمنين القائمُ بأمر الله، وأبو جعفر عبد لله بن القادر بالله سنةَ خمسين في كائنة البَسَاسيري، وفرَّ إلى البرية في ذِمَام أميرٍ للعرب، رفع قصةً إلى رب العالمين مستعديًا عَلَى مَنْ ظلمه، ونَفَذ بها إلى البيت الحرام لتعلق على الكعبة، وعلقت ولم تحط عنها حتى ورد الخبر بخروجه وعودةَ إلى بغداد، عنوانها:

إلى الله العظيم،

من المسكين عبدك،

---

(١) سير أعلام النبلاء ١٩/ ٥٧؛ البداية النهاية ١٢/ ١٣٩ و ١٤٣؛ تاريخ الخلفاء ٤٧٥؛ تاريخ الإسلام ٣٣/ ١٦٤ و ٢١٢، وفيه تخريج أكثر.

بسم الله الرّحمن الرحيم، اللّٰهُمَّ إنك العالم بالسرائر، والمحيط بمكنون الضمائر، اللّٰهُمَّ إنّك غنيٌّ بعلمك واطّلاعك على أمور خَلْقِكَ عن إعلامي، هذا عبدٌ من عبيدك قد كفر بنعمتك وما شكرها، وألغى العواقب وما ذكرها، أطغاه حلمك، وتجبّر بأناتك حتى تعدّى علينا بغيًا وأساء إلينا عتوًا وعدوًا.

اللّٰهُمَّ قلّ الناصر، واغتر الظالم، وأنت المطّلع العالم، والمنصف الحاكم، بك يعتز عليه، وإليك يُهرب من يديه، فقد تعزز علينا بالمخلوقين، ونحن نعتز بك يا رب العالمين.

اللّٰهُمَّ إنا حاكمناه إليك، وتوكّلنا في إنصافنا منه عليك، ورفعنا ظُلامتنا إلى حرمك، ووثقنا في كشفها بكرمك، فاحكم بيننا بالحق، وأنت خير الحاكمين، وأظهر اللّٰهُمَّ قدرتك فيه، وأرنا فيه ما نرتجيه، فقد أخذته العزة بالإثم. اللّٰهُمَّ فاسلبه عزَّه، وملّكنا بقدرتك ناصيته، يا أرحم الراحمين، وصلِّ يا رب على مُحَمَّد خاتم النبيين، وسلِّم وكرِّم[1].

* * *

يُحكى أنَّ يزْدَجِرد الأثيمُ لمَّا كثرَ عَسَفُه لرعيتِه، واشْتَدَّ جَوْرُه عليهم باغتصابِ الأموالِ، وامتهانِهم بالعذابِ، وطالَ ذلكَ عليهم، اجتمعَ جماعةٌ من المظلومين في بعضِ الهياكِلِ ثمَّ دَعوا اللّٰهَ سبحانَه وتعالى أنْ يُرِيحَهم منه فمكثَ بعد ذلك خمسةَ أيامٍ أو سبعةً، فجاءَه حاجبُه فأخبره أنَّ فرسًا مُسْتوحِشًا جمعَ محاسنَ صفاتِ الخيلِ قد جاءَ يشْتَدُّ عدْوًا، حتى وقفَ ببابِ الملك وقد تَهَيَّبَه الناسُ فلم يجترىء أحدٌ عليه، وقد نَفَرتْ منه الخيلُ فلا تَقْرَبُ منه. فلمَّا سمعَ ذلك يزْدَجِرد خرجَ من قصرِه فنظرَ إلى الفرسِ قائمًا فرأى منْظرًا عجيبًا،

(١) تاريخ دمشق ٥٣/ ٨٤؛ سير أعلام النبلاء ١٨ و ٣٠٧، و ١٥/ ١٤٠؛ المصباح المضيء ١/ ٥٩٠؛ تاريخ الإسلام ٣١/ ٢٣٠؛ ذيل تاريخ دمشق ١٠٧؛ البداية والنهاية ١٢/ ٧٨.

فدنا منه فخضعَ له الفرسُ. فخامَره الإعجابُ بنفسه فمسكَ بناصيته فمسحَ وجْهَه ثمَّ أمرَ بإسراجِه وإلجامِه، ثمَّ استدارَ به ومسحَ كفلَهُ فرمحَهُ رمحةً خرَّ منها ميتًا.
وقيل: بل رَكِبَه، وحرَّكَهُ فجمحَ به وسبقَ الأبصارَ هذوًا حتى أتى البحرَ، فاقْتَحَمه به، فكانَ ذلكَ آخرَ ما عُلِمَ من خبرِه[1].

* * *

قالت فاطمة بنت الحَسن أم أحمد العجلية:

كان بالثغر رجل من ثُنَّاءِ البلد من المجاهدين، فلقوا في بعض الغزوات العدو فكانت على المسلمين هزيمة، وكان تحته فرس يضنّ به، فحركه للمضي فوقف. فقال: يا مبارك بسم الله، قال: فالتفت إليه الفرس، فقال: أنت تسلم علفي إلى السُّوَّاس يأخذونه ولا يطعمونني منه إلّا القليل، فقال: لك عليّ عهد الله أن لا أعلفك الشعير إلّا في حجري، قال: فحرّكه فجرى به، وسلم.

قال: فكان الناس يجيئون إليه وهو يعلف الفرس في حجره فيسمعون منه هذه الحكاية. قَال: فبلغ ملك الروم خبر هذا الرجل، فقال: بلد يكون فيه مثل هذا الرجل لا يقدر عليه، فأنفذ إليه بعض من تنصّر من المسلمين، فجاء إليه وأراه عبادة وصلاة وصيامًا واجتماعًا، فنفق عليه، فلمّا تمكن منه قال: قد اشتهينا نخرج نمشي في الصحراء، فلم يصدق بذلك صاحب الفرس، فخرجا جميعًا، فلم يزل يستجره إلى أن وصلا إلى قبة على أصل قناة البلد، فلما صارا هنالك إذا بعلج قد خرج معه بغل، فأراد أن يكتف الرجل، فعلم أنها حيلة عليه، فرفع طرفه إلى السماء وقَال: يا ربّ بك خدعني، قَال: فخرج سبعان إليهما، فأخذاهما، ورجع الرجل سالمًا[2].

* * *

---

(١) المنهج المسلوك ٣٦٢.

(٢) تاريخ دمشق ٧٠/ ٩.

كان الحارث بن أبـي شَمِر الغسَّاني إذا أعجبته امرأة من قيس بعث إليها فاغتصبها نفسها، فبعث إلى الداهرية بنت خُوَيْلد بن نُفَيل بن عمرو بن كِلَاب فاغتصبها، فأتاه أبوها فقال في ذلك:

يـا أيهـا الملـك المخـوف أمـا تـرى ... ليــلاً وصبحًــا كيــف يختلفــانِ

هل تستطيع الشمس أن تأتي بها ... ليـلاً وهـل لـك بـالمليـك يـدان

واعلــمْ وأيقــنْ أن ملكــكَ زائــلٌ ... واعلـم بـأنّ كمـا تـديـنُ تُـدان

فقال الحارث: من هذا؟ قالوا: الكلابـي المغتصَب ابنته، فتذمَّم وخاف العقوبة، فردها وأعطاه ثلاثمائة بعير[1].

* * *

عن أبـي عبيدة قال: هجا عقيبة بن هبيرة الأسدي عمرو بن قيس الأسدي فقال:

لَعَمْـرُكَ إن اللّـومَ خـدنٌ وصـاحـبُ ... لعمـرو بـن قيـسٍ مـا دعـا الله راغـبُ

تــراه عظيمًــا ذا رُوَاء ومنظــرِ ... وأجبـنُ مِـلْ منـزوفِ حيـنَ يحـاربُ

شُجَـاعُ علـى جيـرانِـهِ وصـديقِـه ... وأجـرأ منـه فـي اللقـاء الثعـالـبُ

فشكا عمرو بن قيسٍ ذلك إلى معاوية، فقال له معاوية: قد هجاني بأشدَّ مما هجاك، قال: وما قال؟ قال:

أرى ابن أبـي سفيان يزجي جياده ... ليغــزو عليَّــا ضَلَّــة وتَحَــامُقَــا

وبِئْسَ الفَتَى في الحرب يومًا إذا بَدَتْ ... بَــرازقُ خيــلٍ يَتَّبعْــنَ بــرازقَــا

فهلمَّ تدعو عليه وأؤمن، أو أدعو عليه وتؤمِّن. فقال: أما غير هذا؟ قال: لا. وإن شئت فاهجه كما هجاك. فخرج من عنده وهو يقول، قاتلك الله ما

---

(١) تاريخ دمشق ١٧/ ٦٢.

أعلمك بالدنيا[1]!!

* * *

دخل جعفر بن محمد الصادق رضي الله عنه على أبي جعفر المنصور بالكوفة، فرأى على فُسطاطِهِ مكتوبًا:

أمــا واللّٰــهِ إنَّ الظُلْــمَ لُــؤمُ ... ومــا زالَ المُســيءُ هُــوَ الظَّلــومُ

إلــى دَيَّــان يَــوم الــدِّيْنِ نَمضــي ... وعنــدَ اللّٰــه تَجْتَمِــعُ الخُصُــومُ

فلمَّا خرجَ جعفر رضي الله عنه أنشدَ:

إذا لــم تَخْــشَ عــاقبَــةَ اللّيــالــي ... ولَــمْ تَسْتَــحِ فــاْعْمَــلْ مــا تَشــاءُ

فــلا واللّٰــهِ مــا فــي العَيْش خَيْـرٌ ... ولا الــدُّنْيــا إذا ذَهَــبَ الحيــاءُ[2]

* * *

قال عَبْد الرزَّاق: أَخْبرَنَا معمر عَن عبد الله بن مُحمَّد بن عقيل:

أن معاوية لَمَّا قدم المدينة لقيه أبو قتادة الأنصاري فقال: تلقَّاني الناس كلُّهم غيرَكم يا معشر الأنصار، فما منعكم أن تلقوني؟ قالوا: لم يكن لنا دواب. قَال معاوية: فأين النواضح[3]؟ فقال أبو قتادة: عقرناها في طلب أبيك يوم بدر. ثم قال أبو قتادة: إن رَسُول الله ﷺ قال لنا: «سترون بعدي أثَرة»[4]، فقال معاوية: فما أمركم؟ قال: أمرنا أن نَصْبِر حتى نلقاه. قال: فاصبروا حتى تلقوه. فقَال عَبْدُ الرَّحْمٰن بن حسَّان حين بلغه ذلك:

ألَا أبلــغ معــاويــة بــن حَــرب ... أميــر المــؤمنيــن ثنــا كــلام

---

(١) المجتنى ص ٤٩.

(٢) المناقب والمثالب ص ٣٧٩.

(٣) النواضح: الإبل التي يستقى عليها، الواحد: ناضح.

(٤) أي: أنه سيستأثر عليكم، فيفضل غيركم عليكم في نصيبه من الفيء.

فـــإنَّـــا صـــابـــرون ومُنظـــروكـــم إلـــى يـــوم التَّغـــابـــن والخصـــام[1]

* * *

قال أبو القاسم عبيد الله بن سليمان بن وهب:

أخرجت وأخرج أبـي في نكبتنا، في بعض الأيام، بواسط، إلى حضرة الموفّق، وقد نصبت له سبنية، فجلس وراءها، ونحن نعلم بذلك.

ودعا براغب، فأمره بضربنا، فضرب أبـي نيفًا وعشرين مقرعة، ثم دعى بـي، فنوظرت، ثم أمر بضربـي.

فإلى أن يستدعي لي من يضربني، قال أبـي لراغب: الذي نحن فيه يستطاب معه الموت، وما أقول ما أقوله دفعًا عن نفسي، ولا عن ولدي، وإنَّما أقوله شفقة على الأمير، فأعلمه: أنّ ملكًا من ملوك بني إسرائيل، ذبح سخلة بحضرة أمّها، فخبط من ساعته.

قال: فوالله، ما مضى راغب ليؤدِّي الكلام، حتى جاءت الرسل من عند الموفّق، بأن يرفع الضرب عنّا، وقد كان بحيث يسمع الكلام من وراء السبنيّة.

فما عاد بعدها علينا مكروه[2].

* * *

حدث عبيد الله بن سليمان بن وهب عن أبيه قال: كنتُ وأبا العباس أحمد بن الخصيب مع خلقٍ من العمَّال والكتَّاب معتقلين في يد محمد بن عبد الملك الزيات في آخر وزارته للواثق، نطالب ببقايا مصادرتنا، ونحن آيس ما كنا من الفرج، إذ اشتدت علَّةُ الواثق وحجب الناس ستة أيام.

---

(١) تاريخ دمشق ٦٧/ ١٥١؛ أخرجه عبد الرزاق في المصنف الجامع رقم ١٩٩٠٩، ورواه الذهبـي في سير الأعلام ٢/ ٤٥٢ ــ ٤٥٣، من طريق معمر.

(٢) نشوار المحاضرة ٨/ ١٠٧، آل وهب ص ٢٦١.

فدخل عليه أبو عبد الله أحمد بن أبـي داود القاضي، فقال له الواثق: يا أبا عبد الله، ذهبت مني الدنيا والآخرة، قال: كلا يا أمير المؤمنين، قال: بلى والله، أما الدنيا فقد ذهبت كما ترى من حضور الموت وذهبت الآخرة بما أسلفتُ من العمل القبيح، فهل عندك من دواء؟ قال: نعم يا أمير المؤمنين، قد عزل محمد بن عبد الملك الزياتِ من العمَّال والكتَّاب عالمًا وملأ بهم الحبوس، يصادرهم ولم يحصل من جهتهم على كثير شيء، وهم عددٌ كثيرٌ، ووراءهم ألف يدٍ ترتفع بالدعاء إلى الله تعالى، فتأمر بإطلاقهم لترتفعَ تلك الأيدي بالدعاء لك، فلعل الله سبحانه وتعالى يهبُ عافيتك، على كل حال فأنت محتاج إلى أن تقل خصومَك.

فقال: نِعم ما أشرت به عليّ؛ وقال: وقِّع إليه عني بإطلاقهم، فقال: إن رأى خطي عاند ولجّ ولكن يغتنم أمير المؤمنين المثوبة، ويتساند ويحمل نفسه، ويوقع بخطه. فوقع الواثق بخطه وهو مضطربٌ إلى ابن الزيات بإطلاقهم وإطلاق من في الحبوس من غير استئمار ولا مراجعة، وتقدَّم إلى إيتاخ أن يمضي بالتوقيع ولا يدعْه يعملْ شيئًا أو يطلقهم، وأن يحول بينه وبين الوصول إليه أو كَتْب رقعةٍ واستئمار أو اشتغال بشغلٍ إلا بعد إطلاقهم، وإن لقيه في الطريق أن يُنزلَه عن دابَّته ويجلسه على غاشيته في الطريق حتى يوقِّع.

فتوجه إيتاخ فلقي ابن الزيات يريد دارَ الخليفة، فقال له: تنزل عن دابتك وتجلس على غاشيتك فارتاع، وظن أن الحال قد نزلت به، فنزل وجلس على غاشيته، فأوصل إليه التوقيع فامتنع، وقال: إذا أطلقت هؤلاء فمن أين أنفق الأموال وأقيم الأنزال؟ فقال: لا بد من ذلك. فقال: أركبُ وأستأذِنُه، فقال: ليس إلى ذلك سبيل، قال: فدعني أكاتبه. قال: ولا إلى هذا. فما تركه يبرح من موضعه حتى وقَّع بإطلاق الكل.

فصار إيتاخ إلينا ونحن في الحبس آيسُ ما كنا من الفرج، وقد بلغنا اشتداد علَّة الواثق، وأُرجف لابنه بالخلافة، وكان صبيًا. فخفنا أن يتم ذلك،

فيجعل ابنُ الزيات الصبـيَّ شيخًا ويتولَّى التدبيرَ فيتلفنا. وقد امتنعنا لفرط الغمّ والهمّ من الأكل والشرب.

فلما دخل إيتاخ لم نشكَّ أنه دخل إلاَّ لبلية، فأطلقنا وعرَّفنا الصورة. فدعونا الله لابن أبـي داود والخليفة، وانصرفنا إلى منازلنا. فجلسنا لحظة ثم خرجنا فوقفنا لابن أبـي داود، فحين رأيناه ترجَّلنا له ودعونا له وشكرناه، فأكبر ذلك ومنعنا من الترجل فلم نمتنع، ووقف حتى ركبنا وسايرناه. فأخذ يخبرنا الخبر حتى زدنا في الشكر، وهو يستقصر ما فعله ويقول: هذا أقلّ حقوقكم عليّ، وكان الذي لقبه أنا وأحمد بن الخصيب، وقال: وستعلمان ما أفعله مستأنفًا.

ورجع ابن أبـي داود إلى دار الخليفة عشاء، فقال له الواثق: قد تبركتُ برأيك يا أبا عبد الله، ووجدت خفًّا من العلة، ونشطت وأكلت خمسة دراهم خبزًا بصدر درَّاج، فقال له: يا أمير المؤمنين، تلك الأيدي التي كانت ترتفع بالدعاء عليك صارت ترتفع بالدعاء لك غدوةً وعشيةً، ويدعو لك بسببهم خلقٌ كثير من رعيتك، إلاَّ أنهم قد صاروا إلى دورِ خرابٍ وأحوالٍ قبيحة، بلا فرش ولا كسوة ولا دواب ولا ضياع، موتى جوعًا وهزالاً، قال: فما ترى؟ قال: يا أمير المؤمنين، في الخزائن والاصطبلات بقايا ما أخذ منهم، فلو أمرتَ بأن يُنظر في ذلك، فكل من وجد له شيء باق من هذا رُدّ عليه، وأطلقتَ عن ضياعهم، فعاشوا وخفَّ الإثم، وتضاعف الدعاء، وقويت العافية. قال: فوقِّعْ بذلك عني، فوقَّع ابن أبـي داود، فما شعرنا من الغد إلاَّ وقد رجعت نعمتنا علينا، ومات الواثق بعد ثلاثة أيام أو أربعة، وفرَّج الله عنا بابن أبـي داود، وبقيت له المكرمة العظيمة في أعناقنا[1].

* * *

(١) التذكرة الحمدونية ٨/ ٦٢؛ الفرج بعد الشدة ٢/ ٦٣؛ المستجاد من فعلات الأجواد ص ١٤١؛ المختار من نوادر الأخبار ص ١٠.

حدث أحمد بن محمد الطبراني قال: حدثني أبـي قال: كنت جالسًا عند أحمد بن طولون ذات يوم فدعا برجل، فأدخل إليه فناظره ثم قال لحاجب من حجَّابه: خذ هذا فاضرب عنقه وائتني برأسه، فأخذه ومضى به، فأقام طويلاً ثم أتى وليس معه شيء، فقال له أحمد بن طولون: ما قصتك؟ وماذا فعلت؟ فقال: أيها الأمير الأمان، قال: لك الأمان، قال: مضيت بالرجل لأضرب عنقه فجزت ببيت خال، فقال لي: ائذن لي أدخل هذا البيت فأصلي فيه ركعتين، فاستحييت من الله عزَّ وجلّ أن أمنعه من ذلك فأذنت له، فدخل فأطال، فدخلت إلى البيت فلم أجد فيه أحدًا وليس في البيت طاق نافذ، فجئت لأخبرك بذلك.

قال: فقال له: فهل سمعته يقول شيئًا؟ قال: نعم، قال: ماذا سمعته يقول؟ قال: سمعته قد رفع يديه وهو يشير بإصبعه وهو يقول: يا لطيف لما يشاء، يا فعال لما يريد صلِّي على محمد وآله والطف لي في هذه الساعة وخلصني من يديه، فدخلت البيت بعد هذا أطلبه فلم أجد فيه أحدًا، فقال له أحمد بن طولون: صدقت هذه دعوة مستجابة.

وقال الحضرمي: سمعت محمد بن الحسن بن محمد بن يحيـى يقول: سمعت أبا يعقوب بن صيغون الرجل الصالح يقول: كان لي صديق بالمعافر من خيار المسلمين، فقير، كان له أربع بنات، فجمعن من غزلهن أحد عشر دينارًا اشترين جارية أعجمية تستقي لهم من العيون والمصانع بالمعافر، وتخبز الخبز وتخدمهم، فهربت منهن في بعض الأيام، فأخذها أصحاب المصالح في بني وائل، فجئت فأخبرني بذلك، فجئت إلى أصحاب المصالح فكلمتهم فقالوا: لا ندفعها إلاَّ بأربعة دنانير، فخاطبت البنات فأخرجن إلي أربعة أزواج حلق في كل زوج نصف دينار، فجئت إلى أصحاب المصالح، فقالوا: لا نأخذ إلاَّ أربعة دنانير، فانصرفت آخر النهار إلى بركة المعافر وقد دخلها الماء، فجلست على حجر على الماء، وقلعت نعلي وجعلت الحلق عليها، فبينا أنا مهموم إذا برجل

على بغل قد وقف بي، ونزل إلى جانبي وقلب العنان وأمسكه بيده وحادثني، واستخبرني عن مسكني وموضعي واستوصف منزلي إلى أن سألني عن سيرة الوالي، فأخبرته أن له معروفًا، وقد عمل هذه المصانع للماء والمارستان، وبنى الجامع، وحبس عليها الأحباس، إلى أن سألني عن تلك الحلق التي رآها على النعل، فأخبرته الخبر، فقال لي: أنت تصف الرجل بالعدل ويستعمل من هؤلاء القوم، يفعل هذا الفعل؟

فقلت: لا علم له بفعلهم، وحضرت صلاة المغرب فقال لي: تقدم وصل بي، ووقف على يميني فصليت به المغرب، ثم فرغ وركع، وركب بغله وأخذ على المقابر على الصحراء وانصرفت إلى منزلي، فإني لجالس على إفطاري إذ سمعنا على الباب جلبة، فاطلعت إحدى البنات فقالت لي: يا أبت على الباب قوم من أصحاب السلطان. فنزلت فإذا صاحب الشرطة سري فحملني على بغل وأخذ بي على الصحراء إلى جبل، فإذا جمع وإذا بصاحبي جالس وبين يديه شمع، فقال لي: عندي يا إمامي، الساعة صليت بي المغرب، ثم قال: يا سري ما يقدر لي أبو أحمد الموفق على مثل ما كدتني به أنت، أبو أحمد يلقاني برجال، وألقاه برجال، وبكراع وسلاح وعدة، وألقاه بمثلها، أبو أحمد لا يقدر يوقف لي الليلة مثل هذا الرجل المستور في الليل وخلفه أربع بنات مظلومات يرفعون أيديهم إلى الله، هذا يهلكني.

قال: ثم التفت إلي فقال: أنشدك الله إن دعوت علي، ثم قال: يا سوار أحضر ما قلت لك، فأحضر أربع صرر وأربع رزم ثياب وقال لي: يا شيخ ادفع الصرر إلى أصحاب الحلق إلى كل واحدة مائة دينار ورزمة من الثياب يكتسينها، وهذه ثلاثون دينارًا ابتع بها جارية مشهورة مخبورة، وبيعوا هذه الجارية التي باتت بحيث لا يصلح، أجريت عليك وعلى بناتك خمسة دنانير في كل شهر لكل نفس منكم دينار ومائدة طعام يوم الاثنين ومائدة يوم الخميس،

ولا تدعو علي وانصرف[1].

* * *

كان عبّاد المعتضد خامر قلبه من أمر ابن السقاء مدبّر دولة بني جهور ما لا يسعه بوح ولا كتم، وما لا يدعه سفه ولا حلم، شرقًا بحسن سيرته، وقلقًا من استمرار سريرته، وحسدًا لآل جهور. فقد كان ابن السقّاء هذا من الاستقلال بمكانه، والضبط لسلطانه، بحيث يخيف الأنداد، ويغيظ الحسّاد، فدسَّ عباد إلى عبد الملك بن جهور من جسَّره على الفتك، وإلى ابن السّقاء من ألقى في روحه حبَّ الملك، راش وبرى، حتّى جرى القدر بينهما بما جرى.

ولمّا خلا لعبد الملك الجوُّ بعد ابن السقّاء أعرض وأطال، وطلب الطعن والنزال، ووجد عبّاد السبيل إلى شيء طالما كان شرّ ذكراه، ونغّص عليه كثيرًا من دنياه، من افتقار بني جهور إلى نصره، وتصرُّفهم بين يدي نهيه وأمره.

وانقبض عن عبد الملك لأوّل استبداده بالأمر حماتُه الذين كان ابن السقّاء يرفّههم برفقه، ويصطنعهم بحذقه، وخامر نفس ابن ذي النون من الشغف بقرطبة ما هوّن عليه إنفاق المال، واحتمال الأثقال، وتكلُّف الحلّ والترحال، ومضت السنون، وغالت عبّادًا المنون، وصار الأمر إلى ابنه المعتمد سنة إحدى وستين.

فلما كان سنة اثنين بعدها دلف ابن ذي النون إلى قرطبة وكان لا يغبها شرّه، ولا ينام عنها مكره، فاحتاج عبد الملك بن جهور إلى استمداد المعتمد لانفضاض من لديه، وعجزه عمّا كان أسند من تدبير قرطبة إليه، فأمدَّه المعتمد بجمهور أجناده، على أكابر قواده، وقد تقدَّم إليهم بمراده، ونهج لهم سبيل إصداده وإيراده، فوافوا قرطبة ونزلوا بربضها الشرقي وأقاموا بها أيامًا يحمون

---

(١) بغية الطالب ٢/ ٨٣١.

حماها، وأعينهم تزدحم عليه ويذبُّون عن جناها، وأفواههم تتجاذب إليه.

فلمَّا كمل ابن ذي النون سفره واحتواه، وقضى من غزو قرطبة وطره وما قضاه، أخذ في الرحيل عنها.

فما انقشعت سدفة ليله، ولا تمزَّق غبار سنابك خيله، حتى هتك العبَّاديُّون الحريم، وركبوا الأمر العظيم، باتوا متحدِّثين بالقفول، ثم غلَّسوا مظهرين للرحيل، وعبد الملك متأهِّب لتشييعهم، عازم على البكرة إلى توديعهم، وشكرهم على حسن صنيعهم، فلم يرُعه إلَّا إحداقهم بقصره، وارتفاع أصواتهم بالبراءة من أمره، وقد تمخَّضت له ليلته عن يوم عقيم، وافترَّ ناجذُ صبحها عن ليل له بهيم، ومشى من أنصاره هنالك بين أسود مسموم وأسد شتيم.

ومَنْ يجعل الضرغام لصيد بازه تصيَّده الضرغام فيمن تصيَّدا

فقُبض للحين على عبد الملك وإخوته، وجميع أهل بيته، وبالغوا لوقتهم في الانتهاك لحرمه وإزالة نعمه، وإخفار ذممه، وأخرج الشيخ أبو الوليد بقيَّة أشراف الأندلس، وكان إذ ذاك مائل الشقّ، مفلوج الشدق، مغلوب الباطل والحقّ، لم تحفظ له حرمة، ولا رُعي فيه آل ولا ذمَّة، بلغني أنه لما وسط به قنطرة قرطبة خارجًا منها على مركب هجين، وحاله تقرُّ عيون الحاسدين، رفع يديه إلى السماء وأخذ يبتهل في الدعاء، فكان ممَّا حُفظ عنه قولَه: اللَّهُمَّ كما أجبت فينا الدعاء علينا فأجبه لنا. ثُمَّ مات بعد أربعين يومًا من نكبته بجزيرة شلطيش، مُزال النعمة، مُدال الحرمة، وأُمِرَّت ساقته بها. أقاموا هنالك بقيَّة أيَّام المعتمد يأخذهم الحدثان ويدعُهم، ويخفضهم الزمان أكثر مما يرفعهم[1].

* * *

---

(١) البيان المغرب ٣/ ٢٥٦.

خرج في دولة عبيد الله الشيعيُّ شيخٌ للسَّفَر، ومعه خيلٌ؛ فباتوا في مسجد بخيولهم فقِيلَ لهم: «كيف تُدْخِلون خيولكم المسجد؟»، فقال لهم الشيخ وأصحابه: «إن أرواثها وأبوالَها طاهرةٌ، لأنَّها خيلُ المَهديّ». فقال لهم القَيِّم بالمسجد: «إنَّ الذي يخرج من المهديّ نَجِسٌ! فكيف الذي يخرج من خيله»؟ فقالوا له: «طَعَنْت على المهديّ»، وأخذوه وذهبوا به إليه، فأخرجه عشيَّة جُمُعةٍ، فقتله.

فلما قرب للموت، دعا عليه، فأجاب الله دُعاءه، فامْتَحنَه بعلَّةٍ قبيحةٍ يُقال لها حبُّ القَرْع، وهي دُودٌ على صورة حب القَرْع في آخِرِ مَخْرَجه تأكل أحشاءه وما والاها، فكان يؤتى بأذناب الكباش العظيمة، فيستدخلها في نفسه، لتشتغل عنه الدُّود بها؛ فيَجِدُ لذلك بعض راحة لشغلها بالأذناب، ثمَّ يُخرج الأذناب، وقد هَتَكَتها الدُّودُ، يُدخل أخرى في دُبُره، ثمَّ لم تزل الدُّود تأكل حتى انقطعت مَذاكره، وهَلَكَ.

ولما هلك، أوتِي بابن أُخْتِ الغَسَّاني المُقْرِىء ليقرأ عند رأسه، وكان من أطيب الناس قراءة، وحَوْلَ عُبَيد الله أبناؤه يبكون عليه. فقال البَغْدَادي للغساني: «ٱقْرَأْ»، قال: فطلبتُ ما أقرأُ من القرآن، فلم أتذكَّر منه إلاَّ قَوْلَهُ تعالى: ﴿ يَقْدُمُ قَوْمَهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ فَأَوْرَدَهُمُ ٱلنَّارَ ﴾ إلى آخر الآية [هود: ٩٨]. قال: فطلبت غير هذه الآية أقرأه، فلم أقدر، فكنتُ أرَدِّدُها حتى خشيتُ على نفسي أن يفيقوا من بُكائهم، فيتأمَّلُون قِرَاءتي، فيقتلوني، فتسلَّلتُ وخرجت.

قال ابن عذارى المركشي: تمادت دولةُ أبنائه نحو ثلاثمائة سنة، ملكوا من مَضيق سبتة إلى مَكَّة، وهذا دليلٌ على أنَّ هَوَان الدنيا على الله وصِغَرَ قَدْرِها عنده، إذ مَكَّنَ فيها لهؤلاء الكَفَرة الفُجَّار يَسومون أولياء الله سوء العذاب، والعماد القيامة والحاكم الله[1].

* * *

---

(١) البيان المغرب ١/ ٢٨٣.

قال زيد بن أسلم: رأيت ذات ليلة عمر بن الخطاب رضي الله عنه يطوف مع العسس، فتبعته وقلت له: أتأذن لي أن أصحبك؟ فقال: نعم.

فلما خرجنا من المدينة رأينا نارًا من بعيد، فقلنا: رعاة يكونون قد نزلوا هناك مسافرين، فقصدنا النار، فرأينا امرأة أرملة ومعها ثلاثة أطفال، وهم يبكون وقد وضعت لهم قدرًا على النار وهي تقول: إلـهي أنصفني من عمر وخذ لي منه الحق، فإنه شبعان ونحن جياع.

فلما سمع عمر كلامها تقدم وسلَّم عليها وقال: أتأذنين لي أن أدنو إليك؟ فقالت: إن دنوت لخير فبسم الله.

فتقدم عمر وسألها عن حالها وحال أطفالها فقالت: وصلت وهؤلاء الأطفال معي من مكان بعيد فأنا جائعة والأطفال جياع، وقد بلغني من أجلهم هم عظيم، وبلغ مني ومنهم الجوع والجهد إلى أن منعهم عن الهجوع. فقال لها عمر: وأي شيء في هذا القِدر؟ فقالت: تركت فيه ماء لإشغالهم به، ليظنوا أنه طعام فيصبروا إلى حين يناموا.

قال زيد بن أسلم: فعاد أمير المؤمنين وقصد دكان بياع الدقيق، فابتاع منه ملء جراب، ومضى إلى دكان القصاب، فابتاع منه دسمًا، ووضع الجميع على كاهله ومضى يطلب المرأة والأطفال، فقلت: يا أمير المؤمنين أعطني أحمله عنك. فقال: إن حملته عني في الدنيا فمن يحمل عني أوزاري وذنوبي في الآخرة يوم القيامة، ومن يحول بيني وبين دعاء تلك الحرمة عليّ.

وجعل يسعى ويبكي إلى أن وصل إلى المرأة، فقالت المرأة: جزاك الله عنا خير الجزاء.

وأخذ عمر جزءًا من الدقيق وشيئًا من الدسم، فوضعه في القدر وجعل يوقد النار، وكلما أرادت أن تخمد نفخها، والرماد يسقط على وجهه ومحاسنه

حتى انطبخت القدر، فوضع الطبيخ في القصعة وأطعم الأولاد والمرأة، فقال لها عمر: أيتها المرأة، لا تدعي على عمر فإنه لم يكن عنده منكم خبر[1].

* * *

كان ابن البرصاء الليثي من جلساء مروان بن الحكم ومحدثيه، فكان يسمر معه، فذكروا عند مروان الفيء فقالوا: مال الله وقد سن رسول الله ﷺ قسمه، ووضعه عمر بن الخطاب مواضعه. فقال مروان: المال، مال أمير المؤمنين معاوية، يقسمه لمن شاء ويمنعه من شاء، ما أمضى فيه من شيء فهو مصيب. فخرج ابن البرصاء فذكر ذلك لسعد بن أبي وقاص.

فقال سعيد بن المُسيب: فلقيني سعد وأنا أريد المسجد، فضرب عَضُدي ثم قال: الحقني تَرِبَتْ يداك، فخرجت معه لا أدري أين يريد حتى دخلتُ على مروان في داره، فلم أهَب مثل هيبتي له، وجلستُ لئلا يعلم مروان أنّي كنت مع سعد، فقال له سعد لما دخل عليه قبل أن يُسَلّم: أنت الذي تزعم أن المال مال معاوية؟ فقال مروان: فقلت ذاك، فمه؟ فردها الثانية، قال: فقلت ذلك، فَمَه؟ فردها الثالثة، قال: فقلت ذاك، فَمَه؟

قال: فرفع سعد يديه إلى الله عز وجل يدعو، فزال رداؤه عنه، وكان أشعر بعيد ما بين المنكبين، فوثب إليه مروان، فأمسك يده وقال: اكفف عني يدك أيها الشيخ، إنّا حُملنا على أمر فركبناه وليس الأمر كذلك، قال سعد: أما والله لو لم تنزع ما زلت أدعو عليك حتى يستجاب لي أو تنفرد هذه السالفة.

فلما خرج سعد ثبتُّ في مجلسي عند مروان فقال: مَنْ ترون قال لهذا الشيخ ما قلت؟ قال: ابن البرصاء الليثي. فأرسل إليه، فقال: ما حملك على أن

(١) التبر المسبوك في نصيحة الملوك ص ١٧٥؛ نهج البلاغة ٣/١٠٢؛ النهج المسلوك ص ١٢١.

قلت ما قلت؟ قال الليثي: ذلك حق. قلت: ما كنت أظنك تجترىء على الله عز وجل، وتفرقُ من سعد!! فقال له مروان: أو كُل ما سمعتَ تكلمت به؟ أما والله لتعلمن، ثم أمر أن يُجَرد من ثيابه، فجرِّد من ثيابه وبرز بين يديه.

فبينما نحن على ذلك إذ دخل حاجبه فقال: هذا أبُو خالد حكيم بن حزَام، قال: ائذن له، ثم قال: رُدُّوا عليه ثيابه، أخرجوه عنا لا يهيج علينا هذا الشيخ كما فعل بالآخر قبله.

فلما دخل حَكيم بن حِزَام قال مروان: مرحبًا أبا خالد، ادنُ مني، فحالَ له مروان عن صدر المجلس حتى كان بينه وبين الوسَادة، ثم استقبله مروان فقال: حَدِّثنا حديث بدر، فقال: نعم، خرجنا حتى إذا نزلنا الجُحفة رجعت قبيلة من قبائل قريش بأسرها وهي زُهْرة، فلم يشهد أحدٌ من مشركيهم بدرًا، ثم خرجنا حتى نزلنا العُدوة التي قال الله عز وجل[1] فجئت عُتْبة بن ربيعة فقلت: يا أبا الوليد هل لك أن تَذْهَبَ بشرفِ هذا اليوم ما بقيت؟ قال: أفعل ماذا؟ قلت: إنكم لا تطلبون من محمَّد ﷺ إلاَّ دَمَ الحَضرَمي وهو حليفك فتحمل بديته وترجع بالناس، قال: أنت وذاك، وأنا أتحمل بدية حليفي، فاذهب إلى ابن الحنظلية ـ يعني أبا جهل ـ فَقُل له: هل لك أن ترجع اليومَ بمن معك عن ابن عمك؟ فجئته، فإذا هو في جماعة بين يديه ومن ورائه، وابن الحضرمي واقف على رأسه وهو يقول: قد فسختُ عقدي من بني عبد شمس وعقدي إلى بني مخزوم، فقلت له: يقول عُتبة بن ربيعة: هل لك أن ترجع اليومَ عن ابن عمك بمن معك؟ قال: أما وجد رسولاً غيرك؟ فقلت: لا، ولم أكُنْ لأكون رسولاً لغيره، قال حكيم: فخرجت أبادر إلى عُتبة لئلا يفوتني من الخبر شيء، وعتبة متكىء على إيماء بن رَحَضة الغِفَارِي، وقد أهدى إلى المشركين عَشرَ

---

(١) يريد قوله تعالى في سورة الأنفال: ﴿إِذْ أَنتُم بِٱلْعُدْوَةِ ٱلدُّنْيَا وَهُم بِٱلْعُدْوَةِ ٱلْقُصْوَىٰ وَٱلرَّكْبُ أَسْفَلَ مِنكُمْ﴾ [الأنفال: ٤٢].

جزائر، فطلع أبُو جهل بالشر في وجهه، فقال لعتبة: انتفخ سَحْرُك؟ فقال له عتبة: ستعلم، فسل أبو جهل سيفه، فضرب به متن فرسه، فقال له: بئس الفأل هذا. فعند ذلك قامت الحرب(١).

***

قال صالحُ بن عليٍّ الهاشميُّ:

حضَرتُ مجلسَ المُهتدي وهو ينظرُ في المظالمِ، فجعلتُ أَنْظُرُ إلى المُتَظَلِّمين، القويِّ والضعيفِ، والشريفِ والوضيعِ، منهم ما تُقرأُ قِصَّتُه عليه حتى تُستوفى ثم يأمرُ بالتوقيع فيها بما يرى، لا يَعْدِلُ عن الحقِّ والإنصافِ، وما فيه للمُتظَلِّم المَقْنَعُ وزيادةٌ، فيُنشأُ الكتابُ على التوقيعِ من ساعتِهِ، ويُحرَّرُ ويُعلَّمُ عليه، ويُرَدُّ إليه فيَختِمه، ويُدفَعُ إلى صاحبه. فأعجبني ذلك جدًّا، ورأيت شيئًا حَسَنًا لم أرَهُ قَبْلَهُ. وجعلتُ أَنظرُ إليه، ففطِنَ لذلك ونَظَر إليَّ، ثم صرفَ بَصَرَهُ عنِّي، فنظَرْتُ، فنَظَرَ، حتى كان ذلك ثلاثَ مرَّاتٍ. ثم قال لي: يا صالح، فقمتُ وقلتُ: لبَّيْك يا أميرَ المؤمنين، قال: اذنُ، فدنوتُ، فقال: في نَفسِكَ مِنَّا شيءٌ تُحِبُّ أن تقوله؟ قلتُ: نعم يا أميرَ المؤمنين، قال: اجلِسْ، فَجَلَسْتُ في موضعي إلى أن قامَ عن مجلسِهِ وقال لي: لا تَبْرَح صالحُ بن عليّ. ودخل فأبطأ عليَّ الإذنُ، ثم أذِنَ لي، فدخلتُ فوجدتُهُ على حصيرِ مصلاه، فدعَوْتُ له. فقال: اجلِس، فجلستُ، فقال: يا صالحُ، تقولُ ما دَار في نَفْسِك أو أقولُه أنا لك؟ قلتُ: ما رآه أميرُ المؤمنين.

قال: كأني بك وقد استَحسَنْتَ ما رأيْتَ من أمرِنا في العامةِ فقُلتَ في نَفْسِك: أيُّ خليفةٍ خليفتنا إن لم يكن يقولُ بمقالةِ أبيه في القرآن! فوَرَدَ عليَّ أمرٌ جليلٌ بَقِيْتُ له مَتَحيِّرًا، ثم قلتَ يا صالحُ: [وهل] نموتُ إلَّا مرَّة واحدة! وهل

(١) تاريخ دمشق ١٥/ ١١٥ و ٣٨/ ٢٥٠.

يحسُنُ الكَذِبُ في جِد أو هَزْلٍ؟

فقلتُ: والله يا أميرَ المؤمنين ما خَرَمْتَ حرفًا ممَّا دار في نفسي. فأطرقَ ساعة ثم قال لي: يا صالحُ، اسمَع مِنِّي ما أقولُ لك، فوالله الذي لا إلـه غيرهُ لتسمعَنَّ منِّي حقًّا ما شانَه غيرُهُ. فقلتُ: يا سيِّدي، ومَنْ أَوْلى بالحقِّ منك، وأنت خليفةُ الله، وابنُ عمِّ رسول الله؟

فقال: ما زِلتُ بُرْهَةً من خلافةِ الواثقِ رضي الله عنه أقولُ بهذه المقالة حتى أقدَمَ ابنُ أبـي داود علينا في المحنة شيخًا من أهل الشام، ثم من أهل أَذَنَةَ، فأحضره الواثقُ، فأُدْخِلَ شيخٌ جميلٌ تامٌّ بِهِيٌّ، وفي رِجْلَيْه قَيْدَان ثقيلان، فرأينا الواثق كالمستحي منه الراحمِ له، فأَسْنَدناه حتى قَرُبَ منه، فسلَّم الشيخُ فردَّ عليه، ودعا فأَوْجَزَ في الدعاء، فقال له الواثقُ: يا شيخُ، ناظِر أحمدَ بن أبـي داود على ما يُنَاظِرُك عليه، فقال الشيخ: يا أميرَ المؤمنين، أحمدُ يصبو ويضعفُ عن المناظرة ويَقِلُّ عنها أيضًا، فغضب الواثق وقال: ويلك! أبو عبد الله يَصبو ويضعُفُ ويَقِلُّ عن مناظرةِ مِثلِكَ! واحمرَّ وَجهُهُ ودارَت عيناهُ، فقال الشيخ: يا أميرَ المؤمنين، هَوِّنْ عليك، وليَسْكُنْ ما بك، وائذَنْ في مناظرتِهِ تَعلم صِدْقَ قولي.

قال الشيخ: يا أحمدُ، تسألني أم أسألُك؟ قال: سَلْ.

قال: إلامَ تَدْعُو الناسَ وتَدعوني؟ قال: إلى أن يقولوا: إنَّ القُرآنَ مخلوقٌ.

قال الشيخ: ولم يا أحمَدُ؟

قال: لأنَّ كلَّ شيء دون الله مخلوقٌ.

فقال الشيخُ: يا أحمدُ، أخبِرني عن هذه المقالةِ، هي داخلةٌ في عَقْدِ الدينِ، فلا يكمُلُ الدين حتى يُقالَ بها؟

قال: نعم.

قال الشيخ: يا أميرَ المؤمنين، إن رأيتَ أن تحفظ علينا ما يجري، فافعل.

قال الواثقُ: نعم.

قال الشيخُ: يا أحمدُ، فأخبِرني عن رسول الله ﷺ لمّا بعثه الله إلى خلقه، سَتَرَ عليهم شيئًا ممَّا أمَرَهُ الله به في دينهم؟

قال: لا.

قال: أفأخذَ رسولُ الله ﷺ بهذه المقالةِ؟ فسكت أحمد.

فقال الشيخُ: يا أميرَ المؤمنين، هذه واحدةٌ.

ثم قال الشيخُ: يا أحمدُ، فَدَعْ ذا، زَعَمْتَ أنَّ الدينَ لا يكونُ كاملاً حتى يُقالَ فيه بهذه المقالةِ. فأخبِرني عن الله عز وجل حين أنزل على رسوله ﷺ: ﴿ ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ ﴾ [المائدة: ٣]، أكان الله تبارك وتعالى الصادق في كمالِهِ، أو أنْتَ الصادقُ في نُقْصانه؟ فسَكَتَ.

فقال الشيخُ: يا أحمدُ، أجِب، فسَكَت. فقال الشيخُ: اثنتان يا أميرَ المؤمنين؟ قال: نعم.

وقال الشيخُ: وَدَع ذا، أتقولُ إنَّ رسول الله ﷺ عَلِمَ مقالتك هذه فلم يُطالِب الأمَّة بها لأنَّه اتَّسع له الإمساكُ عنها؟

قال أحمد: نعم.

قال: وكذلك أبو بكرٍ، وعمرُ، وعثمان، وعليٌّ بَعْدَه؟

قال: نعم.

قال: فترك الشيخُ ابنَ أبي داود وأقبَلَ بوجْهِهِ إلى الواثقِ فقال: يا أميرَ

المؤمنين، إن لم يتَّسع لك من الإمساكِ عن هذه المقالةِ ممَّا زعم ابنُ أبـي داود أنَّه اتَّسع لرسولِ الله ﷺ، ولأبـي بكرٍ وعُمَرَ وعثمانَ وعليٍّ، فلا وَسَّع الله عليك. فضحك الواثقُ ثم قال: نَعَمْ لا وَسَّع الله عليَّ إذَنْ.

قال: وكان بيدِ الواثقِ قلمٌ أو قضيبٌ فلم يَزَل يفركُهُ حتى كسره، فَظَنَنَّا أنَّ ذلك لغيظِهِ على أحمد. ثم قال: اقطعوا قيدَ الشيخِ، فقُطِع. فضرب الشيخُ بيدِهِ إلى القيدِ فجذبه إليه ومنعه الحدَّاد مِنْ أخذِهِ، فقال الواثقُ: دعوا الشيخَ يأخذُهُ، فجعله في كُمِّه، فقال له الواثِقُ: لِمَ أخذتَهُ، أحاجةً منك إليه؟ قال: لا والله يا أميرَ المؤمنين، لكني عقدتُ في نِيَّتِي إذا حضرني الموتُ أن آمُرَ من يتولَّى أمري أن يَجْعَلَهُ بيني وبين كَفَنِي حتى أخاصمَ به يومَ القيامةِ بين يدي ربـي هذا الظالم، وأومأ إلى ابن أبـي داود، وأقولُ: يا ربِّ، سَلْ عبدَكَ هذا لِمَ قيَّدَني وروَّع وَلَدي وأهلي؟

فبكى الواثقُ بكاء شديدًا وبكَينا حولَهُ. ثم قال له الواثِقُ: يا شَيْخُ، اجعَلْنِي في حِلٍّ وسَعَةٍ ممَّا نَالَكَ، فقال: والله يا أمير المؤمنين لقد جعلتُك منذُ أوَّل يوم في حلٍّ وسعة إكرامًا لرسول الله عليه السلامُ إذ كنتَ رجلاً من أهلِهِ. فسُرَّ الواثِق بقولِهِ وقال: يا شَيْخُ، فإنَّ لي إليك حاجةً، قال: قُلْ يا أميرَ المؤمنين، قال: تُقيمُ عندنا فينتفع بك أولادُنا ومن مَعَنا. فقال: يا أميرَ المؤمنين، إنَّه أنْفَعُ لك من مقامي قِبَلَك رجوعي إلى الثَّغْرِ الذي أخرجني منه هذا الظالم. وأُخبرُكَ بأوَّل منفعة ذلك، وهو أني أكفُّ عنك دُعَاءَ ولدي وأهلي وإخواني، فإني تركتهُم يَدْعونَ الله عليك.

فقال الواثقُ: ههُنا حاجةٌ أُخرى، قال: قُل يا أميرَ المؤمنين، قال: تذكر كلَّ ما تحتاجُ إليه لمؤنتِك ونفقتِك ونفقةِ عيالِكَ، فتأخذُهُ ونجعلُه لك جاريًا يُقيمُهُ العاملُ بتلك الناحية. قال: يا أميرَ المؤمنين، أنا غنيٌّ عن ذلك، وقد قال رسولُ الله ﷺ: «لا تَحِلُّ الصدقَةُ لِغَنِي»، ولكن لي أنا حاجةٌ يا أميرَ المؤمنين،

قال: قُلْ ما أَحببتَ؟ قال: تَأذَن لي الساعة بالمسيرِ، قال: قد فعلتُ، فتزوَّدْ مِنَّا نَفَقَةً، قال: لا والله يا أميرَ المؤمنين، ما لي إليها حاجةٌ كَبرتْ أم صغرَت، ولا يراني الله مُتَغَنِّمًا مالَك، ثمَّرهُ الله وألهمَك إنفاقه فيما يُقرِّبُك منه.

وخرج الشيخُ، ورجعَت أنا والله من ذلك اليوم عن هذه المقالةِ، ولم أشُكَّ في أنَّ أميرَ المؤمنين الواثقِ رجع عنها[1].

* * *

إبراهيم بن علي بن إبراهيم الشَّامي، بُرهانُ الدِّين، ابن الحَلَواني، الواعظ.

امتحِنَ رحمه الله في سنة إحدى وثمانين وسبعمائة، فإنَّه لما كان يومُ الاثنين الثامن من جمادى الأولى أُلبس قاضي القضاة الحَنَفية جَلَالُ الدين جارُ الله النَّيسابُوري تشريفًا من عند الأمير برقوق، وكُتِب له توقيع بأن يَلْبِس الطَّرْحَة ويولِّي عنه النواب للحُكم في أرياف مِصر ونواحيها بالوجهين القبلي والبَحري، ويجعل له مُودَعًا لأيتام الحَنَفِيَّة لا يُخرِجُ منه زكاة لأموالهم.

وقد كان قاضي القضاة الحنفية سراج الدين عُمر الهِندي تنجَّز أيام تقلده القضاء توقيعًا بذلك في سنة ثلاث وسبعين وسبعمائة في أيام السلطان الملك الأشرف شعبان بن حسين بن محمد بن قلاوون، وقاضي القضاة يومئذ بَهَاء الدين أبُو البَقَاء الشافعي، فعُوجِلَ السراجُ الهِنْدِي ومرض ومات، فبطل ذلك، ثم تحركت فقهاء العَجَم وقد كانت لهم يومئذ بديار مصر دولة منذ أيام الأميرين شيخُو وطاز، وسعت في إعادة ذلك، وقاضي القضاة يومئذ بدرُ الدين محمد بن أبـي البَقَاء الشافعي، فلم يتم مرادُهم.

---

(١) التذكرة الحمدونية ٩/ ٢٥١؛ المنتظم ١١/ ٣٦٣؛ مروج الذهب ٤/ ١٩١؛ التوابين ١٩٨؛ جنَّة الرضا ٢/ ٧٢؛ سير أعلام النبلاء ١١/ ٣١٣ و ١٠/ ٣٠٩.

فلما كان في هذا الوقت، وقاضي القضاة حينئذٍ قاضي القُضَاةِ بُرْهَان الدين إبراهيم بن جَمَاعة الشافعي وقع لِبْس الجلال جار الله وكتابة التَّوقيع له بذلك بعدما أفتى الفقهاء من العَجَم للأتْرَاكِ بأنه لا تجب الزّكاةُ في مال اليتيم، وكان مُودَع الحكم إذ ذاك غاصًا بأموال الأيتام، ويُخْرِجُ منه في كل سنة قاضي القضاة مبلغًا كبيرًا من زكاة أموال الأيتام يَرتَفِقُ بها الفقراء، ويستعين بها أهل السَّتر والطلبةُ والمحتاجون. وفي ذلك يقول صاحبنا الأديب شهابُ الدين أحمدُ بنُ العَطار الدُّنَيسِري رحمه الله:

أمَـرت تُـركُنـا بمـودَعِ حُكْـم ... حَنَفـيٌّ لأجـل مَنْـعِ الـزكـاة
رَبِّ خُـذهُـمْ فـإنهـم إن قـامـوا ... نختشـي يـأمُـروا بِتَـركِ الصَّـلاةِ

فلمَّا كانَ يومُ الاثنين النصف من جمادى المذكور عُقد مجلس عند الأمير الكبير برقوق في أمر المودَع الذي قام الحنفيَّة في تجديده، حضر القضاة الأربعة والشيخ أكمل الدين محمد بن محمود شيخ خانقَاه شيخو وهو يومئذ كبير الحنفية وعظيمها، ولم يحضر شيخ الإسلام سراج الدين عمر بن رسلاَن البُلقِيني كبير الشافعية إذ ذاك، فقام الشيخ أكمل الدين في ذلك المجلس قيامًا كبيرًا في منع مُودَع الحنفية، وتخاصم هو وجلال الدين جار الله قاضي القضاة الحنفية، وتفاحشا في المقال، وانقضى المجلس وقد خاف الأمير بَرْقُوق من الغضِّ من الشافعية، وكان قد اجتمع به الشيخ المعتَقَدُ خَلَف الطوخي وكان معظمًا له، معتقدًا فيه الخير، وخاشَنه في الكَلاَم بسبب ذلك، وآخر ما قال له: «يا أميرُ إن لم ترجع وإلاَّ فَبَيْنَنَا وبينَك سِهَامُ الليل».

وقيل للأمير بَرْقُوق أيضًا إن سبب قتلة الأمير يَلبُغَا الخَاصِّكي أنه همَّ بعمل ذلك لقاضي القضاة الحنفية، وكان يومئذ جمال الدين عبد الله ابن التركماني، فرأى بعضُ الصالحين في منامه الإمام الشافعيَّ رضي الله عنه وبيده فَأسٌ، فقال له: يا إمام أيْنَ تقصد؟ فقال له: أهْدِمُ الكَبْش، يعني سكن الأمير يَلْبُغا، وأن

الأمير يَلْبُغَا لم يُقِمْ بعد هذه الرؤيا سوى أحد وخمسين يومًا وقُتِلَ، وما زال الكَبْشُ خرابًا إلى الآن.

فخاف الأمير بَرقُوق وطلب قاضي القضاة برهان الدين ابن جماعة في يوم الاثنين الثاني والعشرين من جمادى المذكور وألبسه تَشْرِيفًا باستقراره على عادته، وأن لا يَخْرُج شيء عن حكمه على قاعدة من تقدمه من قضاة الشافعية.

فانتكى العجم لذلك نِكاية بالغة، وساءهم هذا لكثرة ما شنّع الناس عليهم بأنهم قد سَعَوا في منع الزَّكاة، فقال الأديب شهاب الدين أحمد ابنُ العطار:

ظَهَـــرَ البُــرْهَـــانُ لَمَّـــا ... لَعِبَـــتْ عُجْـــمٌ بِتُـــرْكِ
واستقَـــامَ الـــدَّســـتُ حتَّـــى ... ضُـــربَ الجـــارُ بِيَـــكِّ

وعند ذلك اتفق أن شخصًا قُدسِيًا من أهل القُدْس أحضر كتابًا في مناقب الإمام الشافعي رحمة الله عليه وأعطاه لإبراهيم ابن الحَلَوَاني هذا، وقال له: «قاضي القضاة برهان الدين ابن جماعة أرسل لك هذا لتقرأه بالميعاد على الناس».

فشرع يقرؤه في الميعاد، والقومُ له بمرصادٍ، حتى إذا ذكر فيه عن شخص أنه رأى النبيَّ ﷺ في منامه وعِنْدَهُ الإمام الشافعي وغيره من الأئمة رضوان الله عليهم والنبي ﷺ يقرأ قول الله عز وجل: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ءَاتَيۡنَٰهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحُكۡمَ وَٱلنُّبُوَّةَ﴾ [الأنعام: ٨٩]، ويشير إلى الشافعي وأصحابه، ﴿فَإِن يَكۡفُرۡ بِهَا هَٰٓؤُلَآءِ فَقَدۡ وَكَّلۡنَا بِهَا قَوۡمٗا لَّيۡسُواْ بِهَا بِكَٰفِرِينَ ﴿٨٩﴾﴾ [الأنعام: ٩٨]، ويشير إلى بعض الأئمة وأصحابه، فثار به عند ذلك جماعة وطُلب إلى قاضي القضاة جلال الدين، وأمر بإحضار الكتاب المقروء وإحضار الرجلِ القُدْسِي وقال لَهُ: «أقالَ لَكَ قاضِي القُضَاة بُرهان الدِّين قل لإبراهيم الحَلَوَاني يقرأ هذا الكِتَابَ على الناسِ؟»

فكانَ من لُطفِ الله أن قَالَ الرجُلُ القدسيُ: «أنا كَذَبتُ عليهِ»، فعزَّرَهُ حينئذٍ جارُ الله وجرَّسهُ العامة، وعزَّر إبراهيم الحلَواني وساقَهُ إلى السِجن،

فامتعض لذلِكَ الشيخُ سِرَاجُ الدِّينِ عُمَرُ البُلقيني، وما زالَ بابنِ الحَلْواني حتى أخرجهُ من السِّجنِ وأعادُه يتكلمُ على عادتِهِ في المواعيد، فاستمر على ذلك حتى ماتَ بالقاهرة في يوم الأحدِ التاسع من صَفَر سنَة إحدى وتسعين وسبعمائة، رحمه الله وغَفَرَ لَهُ[1].

❊ ❊ ❊

كان ولي العهد المُوفَّق قد استبدَّ بالأمور، وضيَّقَ على أخيه الخليفة المعتمد.

قال الصُّولي: تَخَيَّل المعتمد من أخيه، فكاتب أحمدَ بن طولون، واتفقا، وقال المعتمدُ:

أَلَيْسَ مِنَ العجائِبِ أنَّ مِثْلِي ... يَرَى ما قَلَّ مُمْتَنِعًا عَلَيْهِ
وَتُؤكَلُ باسمِهِ الدُّنْيا جميعًا ... ومَا مِنْ ذَاكَ شَيءٌ في يَدَيْهِ؟!!

فبلغنا أنَّ ابن طولون جمع العلماء والأعيان، وقال: قد نكَثَ الموفقُ أبو أحمد بأمير المؤمنين، فاخلعوه من العهد فخلعوه، إلاَّ بكّار بن قُتيبة. وقال: أنتَ أوردتَ عليَّ كتابَ المُعتمد بتوليته العَهد، فهاتِ كتابًا آخر منه بِخَلْعِهِ.

قال: إنه محجورٌ عليه ومقهورٌ؟ قال: لا أدري. فقال له: غَرَّكَ النَّاسُ بقولهم: ما في الدنيا مثلُ بكَّار، أنتَ قد خَرِفْتَ. وقَيَّده وحَبَسَه، وأخذَ منه جميع عَطَائِهِ من سِنين، فكان عشرة آلاف دينار، فقيل: إنها وُجدت بختومها وحالِهَا. وبلغ ذلك المُوفَّقَ، فأمر بلعنِ ابنِ طولون على المنابر. ولمَّا اعتلَّ أحمد بن طولون، راسَلَ بكَّارًا وقال: إنَّا رادُّوكَ إلى منزلك، فأجبني!

فقال: قل له: شيخٌ فان وعليلٌ مُدْنَفٌ، والملتقى قريبٌ، والقاضي الله عز

---

(١) درر العقود الفريدة ١/ ١٢٥.

وجل. فأبلغها الرسولُ أحمدَ، فأطرَق، ثم أقبل يكرّرُ ذلكَ على نفسه، ثم أمر بنقلِهِ من السجن إلى دارٍ اكتُرِيَتْ له، وفيها كان يُحدّث، فلما مات المَلِكُ قيل لأبـي بكرة: انصرِف إلى منزلك، فقال: هذه الدارُ بأُجرة، وقد صَلُحَتْ لي، فأقام بها.

قال الطَّحاويُّ: فأقام بها بعد أحمد أربعين يومًا ومات[١].

* * *

حكي أن رجلاً من العرب دخل على عبد الملك بن مروان فقال له: يا هذا إنك مدبر مربوب، قال: أجل فما تشاء؟ قال: احتجبت عنا بهذه الجدر ووليت خطابنا أصهب كالفرعون طعطانيا اطوها، كأن وجهه جهوة قرد، قد كثم وضره فهو نير شر، وكأن فاه صرمومة عير قد فاسهما إن تكلم زجر، وإن سكت بر، وإن نظر كشر، فلا القول مسموع، ولا الظلم مرفوع، ولا الجور مردوع، ولنا ولك مقام حيث يقصر الخصام وتسعف الأقدام، وينعش المكظوم وينتصف المظلوم، وإنَّ ملكك خامل، وعزك زائل، وناصرك خاذل، والحاكم عليه عادل.

فاكْبَانَّ[٢] عبد الملك وتضاءلت أقطاره وترادفت عبراته في صدره ثم قال: لله أبوك، ولا فضَّ فوك ما الذي أعالك، وأي ظلم جاءك، فقال: عاملك بالسعادة ليله لهو ونهاره لغو، ونظره يستمز للناقط ويستجد للغالط.

فأمر له عبد الملك بمال له وأمر بصرف العامل. فقبل صرف العامل، ولم يقبل المال[٣].

* * *

---

(١) سير أعلام النبلاء ١٢/ ٦٠١؛ نزهة النظار ١٣٠.

(٢) من كبن، إذا انثنى على نفسه.

(٣) الزاهر ١٧٥.

ظَلمَ وكلاءُ رجلٍ من بني أمية له قدر ومنزلة من ملوكهم رجلاً من العرب في مال له بالحجاز، فخاصم الرجل وكلاء الأموي في ذلك إلى الوالي الذي كان عليهم، فمال لهم عليه، فقَال الرجل: لا أرضى إلاَّ بوالي مكة والمدينة، فصاروا إليه، فكتب الأموي إلى الوالي الذي كانوا ارتفعوا إليه، فمال لوكلائه على الرجل أيضًا، فقَالَ الرجل: لا أرضى إلاَّ بأمير المؤمنين، وأمير المؤمنين يومئذ سُلَيْمَان بنِ عَبْد المَلِك.

فخرج الرجل حتى أتى دمشق، فلم يلقَ أحدًا من جلساء سُلَيْمَان ولا عظيمًا من عظماء دمشق إلاَّ كان ميلهم إلى الأموي عليه، فطلب الوصول إلى الخليفة، فتعذر عليه، فطفق يشكو ذلك إلى كل من جلس إليه وأنس به، حتى شكا ذلك إلى رجل من بوَّابـي سُلَيْمَان، فرقَّ له البواب وقال له: ما يوصلك إليه أحد إلاَّ خصي له أثير عنده، ولا يوصلك إليه حتى ترغب له، فقال له الرجل: فأنا أجعل له مائتي دينار على أن يوصلني إليه خاليًا. فسفر البواب بينه وبين الخصي حتى فهم الخصي حاجة الرجل وما جعل له من الجعالة، وصيَّر البواب أمينًا بينهما، وجعل الدنانير على يديه، على أن الدنانير للخصي إذا وصل الرجل إلى سُلَيْمَان وكلَّمه خاليًا، قُضيت حاجته أم لم تُقضَ.

فأمر الخادم الرجل بلزوم الباب، فجعل يغدو، فلا يزال ملازمًا للمال حتى إذا أمسى انصرف إلى رحله، فلم يزل كذلك يغدو كل يوم إلى أن دعا سليمان الخصي يومًا، وأمره أن يأتيه بوضوء، فأتاه به.

فبينا الخادم يصب على سُلَيمَان إذ ملأ سُلَيْمَانُ يده فضرب بها وجه الخادم، فقال الخادم وعرف منه طيب نفس: أمّا هذا فتحسنه، وأما أن تعطيني أو تدع مَنْ يعطيني فلا.

فقَال له سليمان : هل منعتُ من عطيتك أحدًا؟ فقَال: هذا رجل ببابك، قد جعل لي مائتي دينار على أن يكلمك في حاجة له خاليًا، قُضيت الحاجة أم لم

تقض، فقال له سُلَيْمَان: أدخله، فمضى الخادم فأدخله. وقام سُلَيْمَان يصلي، ثم قعد يخطر بأصبعه ويدعو، فدخل الرجل وسُلَيْمَان يخطر بأصبعه إلى السماء يدعو الله، فقَال الرجل حين نظر إلى سُلَيْمَان في تلك الحال: أوّاه أوّاه، أخطأت موضع حاجتي، ثم رجع منصرفًا خارجًا، وانصرف سُلَيْمَان وقَال للخصي: أين صاحبك؟ فطلبه فوجده قد خرج، وقال للبواب: ادفع الدنانير إلى الخادم، فإنه قد وفى بما ضمن، فطلبه الخادم على الباب، فلم يصبه، فرجع إلى سُلَيْمَان فأخبره بذلك. فقَال سُليْمَان للخادم بساطي عليك محرَّم أو تجيئني بهذا الرجل.

فخرج الخادم وثقاته ومن كان يطيف به فتفرقوا في طلبه حتى ظفروا به، وهو يقود راحلته خارجًا من باب من أبواب دمشق، متوجهًا إلى أهله، فقَال له الخادم: ارجع إلى أمير المؤمنين فقد طلبك، فقَال: لا حاجة لي في الرجوع إليه، وقد أمرت البواب أن يدفع إليك الدنانير، فقَالَ له الخصي، لا بدّ لك من الرجوع إليه، فردّه على كره منه، حتى إذا أدخله إلى سُلَيْمَان قَالَ له سُلَيْمَان: ألم أخبر أنك جعلت لهذا مائتي دينار على أن يدخلك إليّ؟ فقَال الرجل: قد كان ذلك، أصلح الله أمير المؤمنين، قال سُلَيْمان: أفلم أرك حين ملأت عيني منك؟ قال: بلى، قَال: فما أخرجك؟ والله إن لك لخبرًا.

قال: أجل، خبر ضخم العنق، إنَّ فلانًا ظَلَمَنِي في أرض لي بالحجاز، فاستعديت عليه الوالي علينا وعلى ناحيتنا، فمال له عليّ فلم أرض بذلك، واستعديت عليه الوالي الأكبر، فمال له عليّ فلم أرض بذلك وقلت: لا أقصّر حتى أنتهي إلى أمير المؤمنين، فلما قدمت إلى دمشق لم أر بها أحدًا يفزع إليه إلاَّ وجدته معه عليّ، فجعلت لخادمك هذا الذي جعلت له على أن يوصلني إليك، فلما أوصلني رأيتك تخطر بأصبعك إلى السماء تطلب من الله حاجتك، وتضرع إليه فعقلت بفعلك موضع حاجتي، وعلمت أنِّي قد أخطأت في طلبها،

ولم آتها من الموضع الذي ينبغي، فرجعت أطلبها من الموضع الذي تطلب أنت حاجتك.

فبكى سُلَيْمَان، ثم قَال: إنَّ الذي طلبت إليه حاجتك قد قضاها، وأرسل سُلَيْمان إلى الأموي في أمره، وأمره برد ما يدعي عليه. فكتب الأموي له بكل ما أحب، وأعطاه أيضًا ما يصلح به صنعته وذلك بعدما وصله سُلَيْمَان وكساه، وحمّله، وأمر له بفرائض[١].

❊ ❊ ❊

حَدَّث أبُو عُبَيْد الله صاحب المهدي قال:

جاء قوم فدخلوا على المهدي يتظلمون من عبّاد الوصيف، فلمّا وقعوا عليه أغلظ لهم المهدي، فخرج شيخ وهو يقول: ليسمع المهدي وَمَنْ حضر، اللّهم لا صبر لنا على أناتك، وأتينا هذا وآيسنا من عزل عبّاد، فاعزله أنت عنا يا أرحم الراحمين، قال: فمات عبّاد من ليلته[٢].

❊ ❊ ❊

لما دخل الزنجُ البصرةَ، فقتلوا الأنفسَ، ونهبوا الأموال، اجتمع إلى سهل بن عبد الله التستري الصوفي إخوانُهُ فقالوا: لو سَألتَ الله دَفْعَهُم! فسكت، ثم قال: إنّ لله عبادًا في هذه البلدة لو دعوا على الظالمين لم يُصْبِحْ على وجهِ الأرض ظالمٌ إلاَّ مَاتَ في ليلته ولكن لا يفعلون، قيل: لِمَ؟ قال: لأنهم لا يُحبّون ما لا يُحِبُّ الله[٣].

❊ ❊ ❊

---

(١) تاريخ دمشق ٦٦/ ١٧٧.

(٢) تاريخ دمشق ٥٩/ ٢٥٢.

(٣) جنة الرضا ٣/ ١٦؛ نزهة المجالس ١/ ٧٣، «وفيه إسماعيل بن عبد الله بدل سهل».

قال ابنُ مروان لأبـي يوسف القزويني الفقيه الحنفي وقد أراهُ سورَ آمِدَ وعَجَّبَهُ من حصانته وإحكامه: كيف تراه؟ فقال له أبو يوسف: يحفظُكَ بالليل، ويردُّ عنك السبلَ، ولا يحجبُ عنك دعوة المظلوم(١).

* * *

هدم إبراهيم بن هشام المخزومي دار عبد الله بن عامر بن الزبير بأمر هشام بن عبد الملك وقد كان خطَب إليه يزيد بن عبد الملك، وإبراهيم بن هشام المخزومي فلم يزوجهما، فمرّ به وهو يصلي فقال: اصبر، فقال: إني أعرضكم على الله في كل يوم خمس مرات. يقول: أدعو عليك في أعقاب الصّلوات الخمس(٢).

* * *

ظهر بيعقوب بن الليث علة أعيت الأطباء، فقالوا له: في ولايتك رجل صالح يسمى سهل بن عبد الله، لو دعا لك لعل الله تعالى يستجيب له، فاستحضر سهلاً، وقال: ادع الله عز وجل لي، فقال سهل: كيف يستجاب دعائي فيك، وفي مجلسك مظلومون؟ فأطلق كل من في حبسه، فقال سهل: اللهم كما أريته ذل المعصية فأره عز الطاعة وفرّج عنه. فعوفي، فعرض مالاً على سهل فأبى أن يقبل، فقيل له: لو قبلته ودفعته للفقراء، فنظر إلى الحصباء في الصحراء فإذا هي جواهر، فقال لأصحابه: من يعطى مثل هذا، هل يحتاج إلى مال يعقوب بن الليث؟(٣)

* * *

---

(١) التذكرة الحمدونية ٧/ ٢١٠؛ الوافي ١٨/ ٤٣٤.

(٢) أنساب الأشراف ٨/ ٤١٥ و ٩/ ٤٥١.

(٣) الرسالة القشيرية ٢٦٨.

حكي عن بعض الأمراء أنه كان يجلس للشراب على الشط ويظهر القيان والخمور، وكان ذلك في زمن أبـي الحسن بن بشار. فجمع أبو الحسن جماعة من الصالحين وقاموا تحت دار الرجل الأمير يقرأون القرآن ويظهرون الذكر في وقت ظهور ذلك المنكر، فجاءهم خادم له فقال: ما حاجتكم؟ قال ابن بشار: تقول لهذا الرجل يكف عن هذا المنكر ولا يظهره وإلاَّ قاتلناه، فعاد وأخبره بذلك. قال: وكيف يقاتلوني ولي كذا وكذا ألف من الجنود؟! فعاد الخادم وأعاد عليه مقال الأمير وقال: كيف تقاتلونه؟ قال ابن بشار: نقاتله بسهام الليل، قال وما سهام الليل؟ قال: رفع الأيدي إلى الله عز وجل. فلما بلغ الأمير ذلك قال: لا طاقة لنا بما قال. ثم كف عما كان يظهره[1].

* * *

عبد الملك بن محمد بن أبـي بكر بن حازم:

كان محمودًا في ولايته شديدًا في حق الله تعالى لا يشتغل عن الحكم بشيء، كتب إلى الخليفة له: أما بعد فإن سهام القضاء واصلة. وفي لفظ آخر: فإن سهام القدر صائبة، وإني امتثلت أمرك فوليت وإني أستعفي فاعفني عافاك الله وأعانك على ما ولاك.

فلما وقف الخليفة على كتابه ركب حتى وقف على بابه فقال له بعض من حضر: يا أمير المؤمنين اغتنم دعوته. فأعفاه[2].

* * *

قال عبد الرحمن بن زياد: لمّا ورد على عليّ بن عبد العزيز كتاب من بعض أصحاب الأخبار بالتيمرة من نواحي أصفهان ينبىء عن سوء صنيع العامل

---

(١) مختصر رونق المجالس ١٧٢.
(٢) نزهة النظار ١١٨.

في الرعيّة، وقد حضره أهل البلد: أيها الأمير أهل هذا البلد أطوع أهل المملكة وسلاحهم الدعاء، ومن عدل فيهم رأى الزيادة والنماء في أسبابه[(١)].

* * *

القاضي أبو عبد الله القضاعي محمد بن سلامة القضاعي:

أغلظ عليه بعض الفاطميين فقال له: والله لأشكونَّك لأمير المؤمنين.

فقال له القاضي: والله لأشكونك لربه.

فلما كان الغد أتت عجوز فدقت على بابه فخرج إليها وقال: ما بك يا هذه؟ فقالت له: أنت القاضي؟ فقال: كذا يقول الناس فمن أنت؟ قالت: أنا أم الغلام الذي قلت له لأشكونك لربه، وإنه قد اعتل، فارض عنه رضي الله عنك، فقال: شفاه الله وعافاه، فعادت أمه فوجدته قد عوفي من ساعته ببركة القاضي ودعوته[(٢)].

* * *

آقتمر الحنبلي الصالحي كان من مماليك الصالح إسماعيل، كان يرجع إلى دين وخير، وعنده وسواس كثير في الطهارة وغيرها، فلقب لذلك الحنبلي، وكان يحب الأمر بالمعروف وإزالة المنكر، واتفق في آخر عمره أن بعض مماليكه قبضوا على امرأة أنكروا أمرها فاستغاثت وظن بعض العامة أنهم أرادوا بها الفساد فرجموهم فأدموا وجه أحدهم، فشكوا إلى النائب فأمسك من وجد في ذلك المكان وأمر بقطع أيديهم فشفعوا فيهم فأمر بضربهم بالمقارع فضربوا، وغالبهم بريء فابتهلوا بالدعاء عليه فلم يقم إلاَّ دون الشهر ومات، وكانت إمرته على دمشق عامًا واحدًا وشهرًا[(٣)].

---

(١) روضات الجنات ١/ ٢١.

(٢) نزهة النظار ١٧٥.

(٣) إنباء الغمر بأبناء العمر ١/ ٢٤٦.

قال أبو العرب التميمي: حدَّثني بعض أصحابـي قال:

كنت في مسجد إبراهيم بن المضاء، والقرّاء والناس مجتمعون فيه حتى أتى رجل فقال:

يا معشر المسلمين إني رجل ذو بنات، ولي دار جوار عامر بن عمرون، وكان من خدمة السلطان، وإنه بنى عليّة، وفتح فيها أبوابًا مطلّة على داري، وبناتي متكشفات ما عليهن كبير كسوة وهو وخَدَمه مطلّون عليهنَّ، فادعو الله لي عليه أن يكفيني مؤنته.

قال: فدعا إبراهيم بن المضاء ودعا الناس. قال: فما برحت حتى أتى رجل فقال لإبراهيم بن المضاء وللناس: تفرقوا لا ينالكم من السلطان مكروه. أو كما قال.

وقال: إنَّ عامر بن عمرون قد انهدمت عليَّته وضربته سارية فطيَّرت دماغه.

قال: فافترق الناس[1].

* * *

قال الحسن بن أبـي جعفر: «مرَّ الأمير يومًا فصاحوا: الطريق. ففرَّج الناس، وبقيت عجوز كبيرة لا تقدر أن تمشي، فجاء بعض الجلاوذة، فضربها بسوط ضربة، فقال حبيب أبو محمد:

«اللهم اقطع يده».

فما لبث إلاَّ ثلاثًا، حتى مر بالرجل قد أخذ في سرقة، فقطعت يده»[2].

* * *

(١) المستغيثون بالله ٥٣.

(٢) مجموعة رسائل ابن أبـي الدنيا ٤/ ٨٦.

حدثني أبو علي الفسوي النحوي، قال: حدَّثني أبـي، قال:

ولِينا بفسا عامل فجار وظلم، فأقمنا ثلاثة أيام بلياليهنَّ ندعو عليه، فلما كان اليوم الرابع اشتد علينا وقال: بلغني دعاؤكم ولعلّكم تظنون أني أفكر في ذلك.

ثم أمر ببعضهم إلى الديوان، فقام رجل منهم أديب فوعظه وقال: الجواب على مَن اجترأت عليه فلم يتّعظ.

فركب فاستقبله ثور عليه حمل، وتحته بغل نفور، فنفر ورمى به، ثم دار فوقه وشقّ بطنه ومات، فاجتاز به الأديب وهو على تلك الحال فأنشد:

أتهـزَأ بـالـدُّعَـاءِ وَتَـزدَرِيـه ... تَـأمَّـلْ فِيـكَ مَـا صَنَـعَ الـدُّعَـاءُ
سِهَـام اللَّيـلِ لا تُخْطِـي ولكـن ... لَهَـا أمَـدٌ ولِـلأمَـدِ انْقِضَـاءُ[1]

* * *

القاضي بهاء الدين بن ريان الحسن بن سُلَيْمَان:

تولى مشارَفة الجيش بحلب. ثم إن والده القاضيٍ جَمال الدين نزل له عن وظيفة ناظر الجيش بحلب في أيام الأمير علاء الدِّين الطَّنبُغا الحاجب. ولم يَزَل إلى أن هَرب الأمير سيف الدين طَشتمر السَّاقي من حلب.

ولما عاد الأميرُ علاء الدِّين الطنبُغا الحاجب من حلب إلى دمشق في نوبَة الفَخْري، استصحب بهاء الدين معه إلى دمشَق. ولما هرب الطَّنبُغا، عادَ بَهاءُ الدِّين إلى حلب وأقام بها، فلما عاد طَشتمر من بلاد الرُّوم، نقم عليه ذلك، ورَسَّم عليه في قلعة حَلب واستمر في الترسيم إلى أن توجه طَشتمر إلى مصر، وباشر نيابة مصر أوّل دولة الملك الناصِر أحمد، فَقرَّر عليه ما يُحمل إلى بيت المال وهو مبلغ خمسين ألفَ دِرهم. فصبر بهاءُ الدين لذلك، ولجأ إلى الله تعالى، وتوجه هو ووالدُه، فما كان إلاَّ عن قليل حتى أُمسك طَشتمر، وكان

(١) المستغيثون بالله ٥٦.

أخوه القاضي شَرَف الدِّين حُسين، قد توجه إلى مصرَ ليَسعَى لأخيه، فعُوِّقَ بغزَّة، ومُنع من الدخول إلى مصر، فجاءه الخبر وهو في غزّة. فقال شَرَفُ الدين حُسَين:

طَشتمر الساقي سَرَى ظُلمه ... إلى بني رَيَّان لا عن سَبَبْ

فأرسلوا منهم سِهام الدُّعَا ... عليه في جُنْح الدُّجَى فانقلبْ

وهذه عادتهم قطُّ ما ... عَادَاهُمُ الظَالمُ إلاَّ انعَطَبْ[1]

* * *

كان الشيخ عبد الواحد بن محمد الشيرازي المقدسي يدعو على بعض السَّلاطين المخالفين، ويقول: كم أرميه ولا تقع الرَّميةُ به. فلما كان في الليلة التي هلك قال لبعض أصحابه: قد رميتُ فلانًا وقد هلك، فورَّخَت الليلة، فلما كان بعد بضعة عشر يومًا ورد الخبر بوفاة ذلك الرجل في تلك الليلة التي أخبر أبو الفرج بهلاكه فيها[2].

* * *

قُرِّرَ على أملاك دمشق وأوقافها ألف وخمسمائة فارس، فقال الخطيب جلال الدين: أنا لها. ومشى إلى القضاة، وتجمع الناس، وكبّروا وحملوا المصحف، والأثر النبوي وأعلام الخطبة. ورأى النائب كَرَيه منظرًا مُزعجًا فغضب، وأهان الخطيب، وضرب الشيخ مجد الدين التونسي ورسم عليهم، فتألَّم الخلقُ ودعوا على كَرَيه، فبعد تسعة أيام أُخذ من النيابة وقُيِّد وسُجن بالكرك[3].

* * *

---

(١) الوافي ١٢/ ٣٥؛ المنهل الصافي ٥/ ٧٨.
(٢) المقصد الأرشد ٢/ ١٨٠؛ ذيل طبقات الحنابلة ١/ ٧٠.
(٣) العبر في أخبار من غبر ٤/ ٢٧.

كان إسماعيل بن عمرو يسكن الأعوص، في شرقي المدينة على بضعة عشر ميلاً. وكان له فضلٌ، لم يتلبّس بشيء من سلطان بني أمية وكان عابدًا ناسكًا.

وقال عمر بن عبد العزيز: لو كان إلي من الأمر شيءٌ ـ يعني أمر الخلافة بعده ـ لوليتها القاسم بن محمد أو صاحب الأعوص يعني إسماعيل بن عمرو.

وعاش إسماعيل إلى دولة ولد العبّاس، فقيل له ليالي قَدم داود بن علي المدينة واليًا على الحرمين: لو تغيبتَ. فقال: لا والله ولا طَرفَة عينٍ. وكان داود قد همّ به، فقيل له: ليس بك حاجةٌ أن يتفرغَ لك إسماعيل في الدعاء عليك، فتركه ولم يعرض له، وعرض لإسماعيل بن أمية بن عمرو بن سعيد، وأيوب بن موسى بن عمرو بن سعيد فحبسهما بالمدينة. وعاش إسماعيل بن عمرو بعد ذلك يسيرًا ثم مات رحمه الله[1].

* * *

حكي أنه كان في طبرستان أمير ظالم يفتض الأبكار سفاحًا، فلما كان في بعض الأيام جاءت عجوز باكية إلى الشيخ أبي سعيد القصاب، فقالت له: يا شيخ أغثني فلي بنت عاتق جميلة، وقد أرسل إليَّ هذا الظالم لأصلح حالها ليأتي إلى منزلي ويفتضها، وقد جئتك عسى أن تدعو دعوة تكف شرّه عنا، فأطرق الشيخ ثم رفع رأسه وقال: يا عجوز إن الأحياء لم يبق فيهم من يستجاب له دعوة، فاذهبي إلى مقابر المسلمين، فإنك ستجدين هناك من يقضي حاجتك.

فذهبت إلى مقابر المسلمين، فلقيها شاب حسن الصورة جميل الثياب طيب الرائحة، فسلمت عليه، فردّ عليها السلام وقال لها: ما حالك؟ فأخبرته

---

(١) تاريخ دمشق ٩/ ٣٣؛ أنساب الأشراف ٩/ ٣٣٥.

بما جرى، فقال: ارجعي إلى الشيخ أبي سعيد، فقولي له يدعو لك فإنه يستجاب له، فقالت: الأحياء يدلوني على الموتى، والموتى يدلوني على الأحياء، وليس أحد يغيثني فإلى من أذهب؟

فقال: انصرفي إليه وقد قضيت حاجتك بدعائه، فرجعت إليه فأخبرته بالحال، فأطرق مفكرًا حتى عرق، فصاح صيحة وسقط على وجهه، وإذا الصوت قد وقع في المدينة أن الأمير قد ركب يتوجه إلى دار العجوز لافتضاض ابنتها، فكبت به فرسه فعثر واندقت عنقه، وفرّج الله عنها وعن الناس بدعوة الشيخ، فلما أفاق الشيخ أبو سعيد قيل له: لماذا أحلتها على المقابر ولم تقض حاجتها في أوّل مرة؟

فقال: كرهت أن يسفك دمه بدعوتي، فأحلتها على أخي الخضر عليه الصلاة والسلام، فردّها إليّ يعرّفني جواز الدعاء عليه، وأنشدوا:

أما والله إن الظلم شؤم ... وما زال المسيء هو الظلوم

إلى ديان يوم الدين نمضي ... وعند الله تجتمع الخصوم[1]

* * *

دخل محمد بن واسع على بلال بن أبي بردة في يوم حار، وبلال في خيشه وعنده الثلج، فقال بلال: يا أبا عبد الله كيف ترى بيتنا هذا؟ قال: إن بيتك لطيب والجنة أطيب منه، وذكر النار يلهي عنه، قال: ما تقول في القدر؟ قال: جيرانك أهل القبور ففكر فيهم، فإن فيهم شغلاً عن القدر. قال: ادع لي، قال: وما تصنع بدعائي وعلى بابك كذا وكذا كلّ يقولون إنك ظلمتهم يرتفع دعاؤهم قبل دعائي. لا تظلم، ولا تحتاج إلى دعائي»[2].

* * *

---

(١) روض الرياحين ٢٥٠، «وأقول: هذا من خرافات القوم».

(٢) المصباح المضيء ٢/ ٢٠٨؛ محاضرة الأبرار ١/ ١١٢؛ لطائف المعارف ١٥٢.

دخل مالك بن دينار على والي البصرة فقال له الوالي: ادع لي، فقال: كم من مظلوم بالباب يدعو عليك[(١)].

* * *

دخل مالك بن دينار على بلال بن أبـي بُردة، فقال له: يا أبا يحيـى! ادع الله لي. فقال له: ما ينفعك دعائي لك وعلى بابك أكثر من مئتين يدعون عليك[(٢)].

* * *

يُرْوَى أنَّ رجلاً من قُرَيْش بَعَثَ إلى رجل منهم وكان أَخَذَ له غلامًا [قال أبو الحسن: الرجل الذي أُخِذَ منه الغلامُ هو جعفرُ بنُ محمدِ بن عليٍّ بن الحسين رضي الله عنهم، والآخذُ هو سليمان بن عليٍّ بن عبد الله بن العباس رضي الله عنهم]: يا هذا، إن الرجل ينام على الثُّكْلِ، ولا ينامُ على الحَرَبِ[(٣)]؛ فإمَّا رَدَدْتَهُ، وإمَّا عَرَضْتُ اسمَك على الله في كلِّ يومٍ وليلةٍ خمسَ مرات، «فرده عليه»[(٤)].

* * *

جيش بن محمد بن صمصامة، أمير دمشق، القائد أبو الفتح، وَلِيها من قبل خاله أبـي محمود الكُتَامي سنة ثلاثٍ وستين وثلاثمائة، ووَلِيَها سنة سبعين، بعد موت خاله، ثم عُزِل بعد سنتين، ثم وُلِّي دمشقَ سنة تسعٍ وثمانين، إلى أن مات جيش.

---

(١) حلية الأولياء ٢/ ٣٨٤؛ الحكمة الخالدة ١٢٦، «وفيه مالك بن أنس».

(٢) المجالسة ٣/ ٥٠٠؛ تاريخ دمشق ١٠/ ٥١٦؛ الأجوبة المسكتة ٣٣.

(٣) الحَرب: مصدر حربه إذا أخذ ماله وتركه بلا شيء.

(٤) الكامل ١/ ١٠٩؛ عيون الأخبار ٢/ ٢٨٧؛ المجالسة ٥/ ٣٥، ٦/ ٣١؛ ونسبه الزمخشري في ربيع الأبرار ٤/ ٣٣٤ إلى علي قوله بنحوه.

وكان جبارًا ظالمًا سفَّاكًا للدماء، أخَّاذًا للأموال، وكَثُرَ ابتهالُ أهلِ دمشق إلى الله في هلاكه، حتى هلك بالجُذام في ربيع الآخر سنة تسعين.

قال الذهبي: فلما بلغ جيش في مرضه ما بلغ من الجُذَام، وألقى ما في بطنه حتى كان يقول لأصحابه: اقتلوني، أريحوني من الحياة؛ لشدَّة ماكان يناله من الألم. قال لأصحابه: رأيت كأنّ أهلَ دمشق كلُّهم بالسِّهام فأخطأوني، غير رجلٍ أصابني سَهْمُه، ولو سمَّيته لعَبَدَهُ أهلُ دمشق، فكانوا يرون أنَّه ابن الجَرمي، أصابت دعوتُه، وعاش ابن الجرمي بعده ستًّا وأربعين سنة[1].

* * *

قال الصفدي في ترجمة ابن دقيق العيد محمد بن علي: ولقد وقفت له على جواب طويل كتبه بخطّ يده في درجٍ إلى الأمير سيف الدين منكوتمر نائب السلطان حسام الدين لاجين، وكان عند أستاذه الجزء الذي لا يتجزأ، وقد كتب فيه بعد البسملة:

«ورد على العبد الفقير محمد بن علي مخاطبة الأمير الكبير سيف الدين، ووقف عليها وعجب منها لأمرين، ثم إنه ذكر كل فصل ويجيبه عنه، إلى أن قال في آخر ذلك: فكتب الأمير إليّ كتابًا يُكْتبُ إلى من ليس عنده من الدين شيء، ولو كان الأمير عرف مني ارتكاب الكبائر الموبقات ما زاد على ما فعل، وبالجملة فإنَّ الله تعالى أمَر نبيَّه بالمُبَاهلة والملاعنة في الدين، فقال لأهل الكتاب: ﴿فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَل لَّعْنَتَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ ۝٦١﴾ [آل عمران: ٦١].

فنمتثل أمر الله لرسوله ونقول: اللَّـهُمَّ يا شديد البطش، يا جبَّار، يا قهار، يا حكيم، يا قويّ يا عزيز، يا قوي يا عزيز، يا قوي يا عزيز، نسب إليّ أكل

(١) تاريخ الإسلام ٢٧/ ١٩٦.

الحرام من المدارس الغائبة، وإلى أمور أنتَ أعلم بسرّها، فإن كان ذلك في علمك صحيحًا فاجعل لعنتك ولعنة ملائكتك والناس أجمعين عليّ، وإن لم يكن صحيحًا فاجعلها على من افترى عليّ بها، وإن كان الولد قد فعل ما قيل من أخذ البراطيل فاجعلها عليه، وإن لم يكن فاجعلها على من افترى عليه، فهذا إنصاف وامتثال لِمَا أمر الله به رسوله، وربُّك بالمرصاد، والشكوى إلى الله الحكم العدل.

فلم يلبث إلاَّ أسبوعًا أو أقل أو أكثر حتى قُتل السلطان وحبس منكوتمر، ثم أخرج من محبسه وذُبح[1].

* * *

قال الضبِّي: سمعت أبا بكر بن أبي عمرو الحافظ يقول: كان سبب مفارقة أبي عَبْد الله مُحَمَّد بن إسماعيل البُخَارِي البلد، يعني بخارى، أن خالد بن أحْمَد الذهلي الأمير خليفة الظاهرية ببخارى سأل أن يحضُرَ منزلَهُ فيقرأ الجامع، والتاريخ على أولاده، فامتنع أبُو عَبْد الله عن الحضور عنده، فراسله أن يعقد مجلسًا لأولاده لا يحضره غيرهم، فامتنع عن ذلك أيضًا. وقال: لا يسعني أن أخصّ بالسماع قومًا دون قوم، فاستعان خالد بن أحْمَد بحُرَيْث بن أبي الوَرْقاء وغيره من أهل العلم ببخارى عليه حتى يكلموه في مذهبه، ونفاه عن البلد، فدعا عليهم أبو عبد الله مُحَمَّد بن إسماعيل فقال: اللّهُمَّ أرِهم ما قصدوني به في أنفسهم وأولادهم وأهاليهم.

فأما خالد فلم يأت عليه إلاَّ أقلّ من شهر حتى ورد أمر الظاهرية بأن ينادى عليه فنودي عليه وهو على أتانٍ، وأشخص على أكاف ثم صار عاقبة أمره إلى ما قد اشتهر وشاع، وأما حُرَيث بن أبي الورقاء فإنه ابتلي بأهله فرأى فيها ما يَجِل

(١) أعيان العصر ٤/ ٥٨٥.

عن الوصف. وأما فلان ــ أحد القومَ وسمَّاه ــ فإنه ابتلي بأولاده وأراه الله فيهم البلايا[1].

* * *

قال محمد بن يزيد: لما قام سُلَيْمَان بن عَبْد الملك، بعثني إلى العراق إلى المسيّرين، أهل الديماس الذين سجنهم الحجاج، قال: فأخرجتهم، فيهم يزيد الرقاشي، ويزيد الضبـي، وعابدة من أهل البصرة، فأخرجتهم في عمل ابن أبـي مسلم، وعنفت ابن أبـي مسلم بصنيعه، وكسوتُ كلّ رجل منهم ثوبين.

فلما مات سُلَيْمَان ومات عُمَر كنت مُسْتَعْمَلاً على أفريقية فقدم عليّ يزيد بن أبـي مسلم في عمل يزيد بن عبد الملك فعذَّبني عذابًا شديدًا حتى كسر عظامي، فأُتي بـي يومًا أُحمل في كساءٍ عند المغرب، فقلت: ارحمني، قال: التمس الرحمة عند غيري، لو رأيت ملك الموت عند رأسك لناذرته نفسك، اذهب حتى أصبح لك.

فقال: فدعوت الله عزَّ وجلّ فقلت: اللَّـهُمَّ اذكرني ما كان مني في أهل الديماس، اذكرني يزيد الرقاشي وفلانًا وفلانًا، واكفني شر ابن أبـي مسلم، وسلّط عليه مَن لا يرحمه، واجعل ذلك من قبل أن يرتد إليّ طرفي، وجعلت أحبس طرفي رجاء الإجابة. فدخل عليه ناس من البربر، فقتلوه، ثم أتوني يطلقوني، فقلت: اذهبوا ودعوني فإني أخاف إن فعلتم أن يروا أن ذلك من سببـي، فذهبوا وتركوني[2].

* * *

(١) تاريخ دمشق ٥٢/ ٩٧؛ البداية والنهاية ١١/ ٢٧، ٥٢؛ تاريخ بغداد ٢/ ٣٣؛ تحفة الإخباري ص ٢١٢ (وفيه زيادة تخريج).

(٢) تاريخ دمشق ٥٦/ ٢٧٩؛ المستغيثون بالله ص ١٠١.

كعب بن ذي الحُبكة النهدى.

سيره الوليد بن عقبة بن أبـي معيط أيام تقلده الكوفة إلى دُنباوند، لأنها أرض سَحرة بعد أن عَزَّره وكان اتهم بالسِّحر، فقال كعب في ذلك:

لعمـري لئـن أطـردْتَنـي مـا إلـى التـي
طمعـتَ بهـا مـن سَقطتـيّ سبيـلُ

رجـوت رجـوعـي يـا ابـن أروى ورجعتـي
إلـى الحـق زَهْـوًا غـالَ جهلـك غـولُ

وإن اغتـرابـي فـي البـلاد وجفـوتـي
وشتمـي فـي ذات الإلـٰه قليـل

وإن دعـائـي كـل يـوم وليلـة
عليـك بـدُنبـاوَنـدِكـم لطـويـل[1]

* * *

ذكر الحاكم في أخبار أبـي عثمان سعيد بن إسماعيل الحيري أنَّه لما قتلَ أحمدُ بنُ عبد الله الخُجُسْتَاني ـ الذي استولى على البلاد ـ الإمام حَيْكان بن الذُهلي، أخذ في الظُّلم والعَسف، وأمر بحَرْبَةٍ رُكزت على رأس المربّعة، وجمع الأعيان، وحلفَ: إنْ لم يَصُبُّوا الدراهمَ حتى يغيبَ رأسُ الحَرْبة، فقد أحلُّوا دماءهم، فكانوا يقتسمون الغَرامة بينهم، فَخُصَّ تاجرٌ بثلاثين ألف درهم، فلم يكن يقدر إلاَّ على ثلاثة آلاف درهم، فحملها إلى أبـي عثمان وقال: أيُّها الشَّيْخُ! قد حلف هذا كما بلغَك، ووالله لا أهتدي إلاَّ إلى هذه، قال: تأذنُ لي أن أفعل فيها ما ينفعُك؟ قال: نعم، ففرَّقَها أبو عثمان، وقال للتاجر: امكُثْ عندي.

---

(١) معجم الشعراء ص ٢٣٤؛ الوحشيات ص ٢٣٧.

وما زال أبو عثمان يتردَّدُ بينَ السِّكَّة والمسجد ليلتُه حتى أصبح، وأذَّنَ المؤذِّن، ثم قال لخادمه: اذهبْ إلى السُّوق، وانظرْ ماذا تسمع، فذهبَ، ورجَعَ فقال: لم أرَ شَيْئًا، قال: اذهبْ مرَّة أُخرى، وهو في مناجاته يقول: وحقِّكَ لا أقمتُ ما لم تفرِّجْ عن المكروبين، قال: فأتى خادمهُ الفَرغانيُّ يقول: وكفى اللّـه المؤمنين القتال، شُقَّ بطنُ أحمد بن عبد الله، فأخذ أبو عثمان في الإقامة[1].

* * *

الحسين بن محمد بن أحمد بن الحسين بن أحمد بن طلاب بن كثير بن حمَّاد بن الفضل، أبو نصر القُرَشيّ، الخطيب، مولى طلحة بن عيسى بن طلحة بن عبد الله.

روى عن جماعة من أهل صيدا، وطرابلس، وصور، وعسقلان، ودمشق، وعين زربة، وغيره. ذكر النسيب أنه ثقة أمين، سمع ابن جُمَيع الصيداوي، وكان قد كسب في الوكالة كسْبًا عظيمًا، وحدَّث أبا الحسن بن قبيس فقال له: لما استوفيت سبعين سنة، قلت: أكثر ما أعيش عشر سنين أخرى، فجعلت لكل سنة مائة دينار. فعاش أكثر من ذلك.

وكان له مِلْكٌ بالشاغور فاحتاج إلى ضمانه فضمَّنه من بعض المصامدة فلم يُوَفِّه أجر ذلك المكان، فتحمل عليه بالرئيس أبي محمد بن الصوفي، فسأله فلم ينفع فيه سُؤله، فقال له أبو محمد إنه يشكوك إلى الأمير رزين الدولة فقال المصمودي: دعه يمرّ إلى الله عزَّ وجلّ. فقال أبو نصر: واللّـهِ لا أشكُوَنَّهُ إلاَّ إلى الذي قال. فتشبّث به ابن الصوفي فلم يُجبه. ثم دخلت الأتراك دمشقَ ومضت المصامدة ولم يمض ذلك المصموديّ، وقال: لا أدَعُ مِلْكي وأمضي. فقُبِضَ عليه، فقيل لأبي نصر: قد بقي له. ثم صُودر وجرى عليه أمر عظيم، ثم

---

(١) سير أعلام النبلاء ١٣/ ٩٧، ٣٧٥، و ١٤/ ٦٥.

ضُربت عُنُقُه، فقيل له، فقال: هذا الذي كنت أنتظر له[1].

* * *

قال عمر بن يزيد البَرْقِيّ:

«حضرتُ مُصَدِّقًا شديدَ الاستحلال، بعيدًا من الرأفة، وهو جالس على رابيةٍ، وبين يديه حِواءٌ يحتازُ به ما يُحصِّل له من الإبل. قال: «فعُرِضَتْ نَعمُ رجلٍ حسنِ الطريقةِ، مُتَعالَم بعفافِ الطُّعْمَة. فتخيَّر عليه المصدِّق ما احتازه من إبله، واستعملَ من سوءِ التحكم عليهِ ما لا يصبر عليه غيره. فأمْسَك، ثم نظر بعد انفصال ما بينهما إلى فصيل سمينٍ كان في إبله؛ فقال لغلمانه: «خُذُوا هذا الفصيل حتى يُصْلَح لنا غَدَاءً»، فقال صاحبُ الإبل له: «قد أخذت زيادةً على حقك، فما هذا؟»، قال: «لا بدَّ لي من أخذه»، قال: «فإنِّي لا أُسلِّمه».

فأمر بوَجْىءِ عنُقه، وأُخذت مقَادَتَه من يده، فصاح بأعلى صوته: «كُلْ هذا بِعَيْنك يا جبَّارُ!»، فحلف لي عُمَر أنه جاءَ من الحِواءِ فحلٌ ـ وخرج منه وهو يَرْغُو ـ، فأخذ بعُضده، ولم يزَلْ يضربُ به الأرض حتَّى قتله. وانصرفَ الرَّجل بفصيله»[2].

* * *

قال أبو عُبَيد عليّ بن الحسين القاضي: «كانت لي بواسط حِصَّة أؤدِّي عنها إلى السلطان خَرْجًا، فقدِم علينا عامِلٌ قد جُمِّع من الظُّلم، وسوءِ التسلُّط، وفَظَاظة الطبْع، فجمعَ المعامِلين بأسْرهم على التَّحيُّل له بما لا يُوصَل إليه من أملاكهم، ولا يستحقُّه عليهم. فضرب قومًا، واستخفَّ بآخرين، فقال له رجل ممَّن حضر: «إن رأيتَ أن تؤخِّرني إلى نصف النهار!»، فقال له: «لعلك ممَّن

---

(١) معجم شيوخ الصيداوي ص ١٧؛ تاريخ دمشق ١٤/ ٢٩٩؛ تاريخ الإسلام ٣١/ ٣١٩.

(٢) المكافأة ص ٧٨.

يقول: إنَّ من عمودٍ إلى عمود فرجًا!»، فقال له الرجل: «أنا والله أعتقد من لحظة إلى لحظة فرجًا يُرْجى مِن الله»، فتضاحك من كلامه.

فوالله ما مضت ساعة حتَّى دخلت إلينا ـ في الموضع الذي كان فيه ـ رَعْلَةٌ من الخوارج وهي تقول: «السُّليطين السليطين!»، فقطَّعته بأسيافها وخرجت ولم تقتل غيره، ولا طلبت شيئًا لأحد، فعلمت أنهم عقوبة أعتَمدته»[1].

* * *

مرَّ أسد بن عبد الله القسري، وهو والي خراسان، بدار من دور الاستخراج، ودهقان يعذب في حبسه، وحول أسد مساكين يستجدونه، فأمر لهم بدراهم تقسم فيهم، فقال الدهقان: إنْ كنت تعطي من تَرْحَم، فارحم من تَظْلم، إنَّ السموات تنفرج لدعوة المظلوم فاحذر من ليس له ناصر إلاَّ الله، ولا جُنَّة له إلاَّ الثقة بنزول التغيير، ولا سلاح له إلاَّ الابتهال إلى من لا يعجزه شيء.

يا أسد: إنَّ البغي يصرعُ أهلَهُ، والبغي مصرعه وخيم، فلا تغتر بإبطاء الغياث من ناصر متى شاء أن يغيث أغاثَ، وقد أملى لقوم كي يزدادوا إثمًا. وجميع أهل السعادة؛ إما تارك سالم من الذنب، وإما تاركٌ للإصرار. ومَنْ رغب عن التمادي فقد نال إحدى الغنيمتين. ومَنْ خرج مِنَ السَّعادة فلا غاية له إلاَّ الشقاوة[2].

* * *

قال أبو علي ٱلْقُنائي: حدَّثني جدي قال: بكرتُ يومًا إلى موسى بن

---

(١) المكافأة ص ٧٧.

(٢) رسائل الجاحظ ١/ ٢٤٤؛ العقد الفريد ٢/ ١٦١؛ تاريخ دمشق ٨/ ٣١٧؛ ذم البغي ص ٧٩.

عبد الملك، وحضر داودُ بن الجرّاح فوقف إلى جانبي فقال: كان لي أمس خبرٌ طريفٌ: انصرفتُ من هاهنا فوجدتُ في منزلي امرأةً من شرائف النّساء، فشَكَتْ موسى بنَ عبد الملك إليَّ وقالت: قد حاول أن يأخذ ضيْعتي الفلانيّة، وأنت تعلمُ أنّها عُمدتي في معيشتي، وأنَّ في عُنقي صبيةً أيتامًا، فأي شيء تدبّر في أمري: أبيعُها له أو أصبِرُ على أذاه إلى أنْ يُفرّج الله تعالى منه؟

فقلتُ لها: أمَّا التدبيرُ في أمرك فما لي فيه حيلةٌ، وأمَّا المشورة فقد قال النبطيّ: «لا تَبِعْ أرضك لأجل الشرّير الرّديء، فإنه يموت والأرض تبقى»، فدعت لي وانصرَفتْ.

واتفق لي وهو يحدِّثني بذاك أن مُوسى وراء الباب الذي نحن قُعودٌ عليه، فسمع الحديث، ثم خرج وقال لداود: يا أبا سليمانَ، لا تبِعْ أرضَك من أجل الشرير الرّديءِ، فإنه يموتُ والأرض تبقى! ومشى ومَشَيْنا وراءه.

فقال لي داود: هذا والله هو اتّفاق الهلاك، إلى أين أهرُب؟ أين أقصد؟ كيف أتخلّص؟ أفكرْ لي وأشِر عليَّ قبل أن تَنْفَدَ طريقُنا وقبل نزولنا معه إلى الدِّيوان! فقلتُ: والله ما أدْري!

فرفع يدهَ إلى السّماء وقال: اللّـٰهُمَّ اكفني شَرَّه وضرَّه فإنك عالمٌ بقصّتي وأنّي ما أردتُ إلاَّ الخيرَ! واشتدَّ قلقُه وكثُرَ بكاؤه ودُعاؤه، وقربنا من الدِّيوان، فقال موسى: متى حدث هذا الجبلُ الأسود في طريقنا!! ومال عن سرجه حتى سقط وأسكِتَ، فحُمل إلى منزله وكان آخر العهد به[1].

* * *

أخبر أبو يعقوب يوسف الكوفي، عن أبيه قال: حججت فإذا أنا برجل عند البيت وهو يقول: اللّـٰهُمَّ اغفر لي، ولا أراك تفعل، فقلتُ: يا هذا ما

---

(١) الهفوات النادرة ص ٩٣.

أعجب يأسك مما عند الله، قال: إن لي ذنبًا عظيمًا، فقلت: أخبرني، قال: كنتُ مع يحيى بن محمد بالموصل وأمرنا يوم الجمعة، فاعترضنا المسجد، فقتلنا ثلاثين ألفًا، ثم نادى مُناديه من عَلَّق سَوْطَه على دار فالدارُ لَهُ بما فيها، فعلقت سوطي على دار، ثم دخلتها فإذا رجل وامرأة وابنان لها، فقدَّمتُ الرجلَ، فقتلتُه، ثم قلتُ للمرأة: هاتي ما عندك وإلاَّ ألحقت ابنيك به، فجاءتني بسبعة دنانير ومتاع، فقلتُ: هاتي ما عندك، فقالت: ما عندي غير هذا، فقدمت أحد الولدين، فقتلته، فقلتُ هاتي وإلاَّ ألحقت به الآخر، فلما رأتْ مني الجد قالت: ارفق فإن عندي وديعة أودعنيها أبوهما، فجاءتني بدرع مذهبة لَمْ أر في حسنها، فجعلت أقلبها عجبًا بها فإذا عليها مكتوبٌ بالذهب:

إذا جــارَ الأميــرُ وحــاجبــاهُ   وقاضي الأرض أسرفَ في القضاء
فــويــلٌ ثــم ويــل ثــم ويْــل   لقاضي الأرض من قاضي السماء[1]

❑❑❑

(١) الجليس الصالح ص ٨٢.

مما ورد عن الوزراء وأهل المناصب في دعوة المظلوم

محمد بن علي بن خلف أبو غالب الوزير، كان من أهل واسط، وكان أبوه صيرفيًا، فتنقلت به الأحوال إلى أن وزر لبهاء الدولة، وقد اقتنى أموالاً جزيلة، وبنى دارًا عظيمة، تعرف بالفخرية، وكانت أولاً للخليفة المتقي لله، فأنفق عليها أموالاً كثيرة، وكان كريمًا جوادًا، كثير الصدقة، كسى في يوم واحد ألف فقير، وكان كثير الصلاة أيضًا، وهو أول من فرق الحلاوة ليلة النصف من شعبان، وكان فيه ميل إلى التشيع، وقد صادره سلطان الدولة بالأهواز، وأخذ منه شيئًا أزيد من ستمائة ألف دينار، خارجًا عن الأملاك والجواهر والمتاع، قتله سلطان الدولة، وكان عمره يوم قتل ثنتين وخمسين سنة وأشهرًا.

وقيل: إن سبب هلاكه أن رجلاً قتله بعض غلمانه فاستعدت امرأة الرجل على الوزير هذا، ورفعت إليه قصاصتها وكل ذلك لا يلتفت إليها، فقالت له ذات يوم: أيها الوزير أرأيت القصص التي رفعتها إليك، فلم تلتفت إليه، قد رفعتها إلى الله عزَّ وجلّ، وأنا أنتظر التوقيع عليها، فلما مسك قال: قد والله خرج توقيع المرأة. فكان من أمره ما كان[1].

* * *

(١) البداية والنهاية ١٢/ ٥؛ المنتظم ١٥/ ١٢٣؛ وفيات الأعيان ٥/ ١٢٦؛ المقفى ٧/ ١٢٠؛ مرآة الزمان ص ٣٠٢؛ الجليس الصالح ص ٧٧.

قال محمد بن جعفر: قال أبي لأبيه يحيى بن خالد وهم في القيود ولبس الصوف والحبس: يا أبتاه، بعد الأمر والنهي والأموال العظيمة أصارنا الدهر في القيود ولبس الصوف والحبس: فقال له أبوه: يا بني دعوة مظلوم سرت بليل غفلنا عنها ولم يغفل الله عنها، ثم أنشأ يقول:

رُبَّ قَوْمٍ قَد غَدَوْا في نِعْمَةٍ   زَمَنًا والدَّهْر ريَّان غَدِقْ
سَكَتَ الدَّهْرُ زمانًا عَنْهُمُ   ثُمَّ أبكاهُمْ دمًا لَمَّا نَطَقْ

وتوفي يحيى بن خالد في حبس الرشيد بالرقة وهو ابن سبعين سنة وصلَّى عليه ابنه الفضل ودفن على شاطىء الفرات في ربض هرثمة، ووجد في جيبه حين مات رقعة فيها مكتوب بخطه: قد تقدم الخصم، والمدعى عليه بالأثر، والقاضي هو الحكم العدل الذي لا يجور ولا يحتاج إلى بينة.

فحملت الرقعة إلى الرشيد فلم يزل يبكي يومه وبقي يومين يتبين الأسى في وجهه.

وقال صاحب كتاب «العنوان»: أنَّه وهو في السجن، كتب رقعة وأوصى ولدَهُ الفضل أن يوصلها إلى هارون الرشيد، وكتب فيها يقولُ:

ستَعلَمُ في الحساب إذا التَقَينا   غدًا عندَ الإلٰهِ مَنِ المظلوم
وينقطعُ التلذُّذُ عن أناسٍ   منَ الدنيا وتَنقطعُ الهمومُ

قال: فلما قدم الرشيدُ أنفذَها إليه الفضلُ، فلما قرأها عرف بموته فقال: ماتَ والله يحيى وماتَ الجودُ والكرمُ والسخاء. والله لو كان خيالاً فرجتُ عنه. ثم أمرَ بإطلاق الفضل بن يحيى واستوزَرَه مكان أخيه جعفر، رحمةُ الله عليهم أجمعين(١).

***

(١) الذهب المسبوك ص ١٦٣؛ سير أعلام النبلاء ٩/ ٩٠، ٦١؛ العنوان في الاحتراز من مكائد النسوان ص ٢٥٩؛ تاريخ بغداد ١٤/ ١٣٢؛ الاعتبار وأعقاب الدرر والأحزان =

يحكى أن ذا الوزارتين أبا عبد الله بن الخطيب رحمه الله كان قد شرع في بناء جنَّته المعروفة بالبَسْتَنة خارجَ غرناطة ينكشفُ منه على موضع جار له ذاهلاً عن قُبْح ذلك، ومستخفًا به، وتردَّدَ ذلك الجارُ بِرَفْع ظلامته للسلطان إذ ذاك، فلم يشْكُهُ لمحلِّ ابن الخطيب منه، فلقي ذو الوزارتين المذكور ذلك الرجل عقب آخر رَفْع تظلُّمِ فيه للسلطان منه، فلم يصدرُ عليه جواب، وهو ذاهبٌ إلى موضعه ذلك المنكشف عليه فيه، فقال له ابنُ الخطيب كالمُزْدري به: هل رفعت فيَّ؟ قال: نعم. قال: وهل صدر لك جوابٌ؟ فقال له: نعم. فقال له: وما قيل لك في الجواب؟

قال: أعوذُ باللَّـهِ من الشيطان الرجيم ﴿وَٱصۡبِرۡ لِحُكۡمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعۡيُنِنَاۖ﴾ [الطور: ٤٨]، فصرخ الشيخ ابن الخطيب صرخةً عظيمةٌ وقال: حسبـي الله، وثنى عنان دابَّته راجعًا إلى بستنته، فلم يبرح منها حتى هَدَمَ ما كان قد انبنى، وعجب الصانعُ البناء ومن حضر منه[1].

* * *

قال ابن حيان عن الوزير جعفر بن عثمان المصحفي: لما أمر به إلى المُطْبَق، ودَّع أهْله ووَلَده وَداعَ الفرقة، وقال: «هذا وقت إجابة الدعوة! وأنا أرتقبه منذ أربعين سنة!» فسُئل عمَّا ذكره: فقال: «رُفع على فلان أيَّامَ الناصر وسُعِيَ به إليه، فأشرفتُ على أعماله، فآل أمره إلى ضَرْبه وتَغَيُّر نِعْمته وإطالة حَبْسِه.

فبينا أنا نائم ذاتَ ليلةٍ، إذ أتاني آتٍ؛ فقال لي: «أطلِقْ فلانًا؛ فقد أجيبت

= ص ٩١؛ البداية والنهاية ١٠/ ١٩١ و٢٠٥؛ مرآة الزمان ١/ ٤٢٩؛ المنتظم ٩/ ١٩٢؛ المصباح المضيء ٢/ ٢٣٨؛ الشفاء من مواعظ الملوك ص ٥١؛ الجليس الصالح ص ٧٧؛ تاريخ دمشق ٤٢/ ٤٥٩؛ الكبائر ص ١٨١؛ المستطرف ص ١٢٨.

(١) جنة الرضا ٣/ ١٣.

دعوته فيك؛ ولهذا أمرٌ أنت لا بُدَّ لاقيه!» فانتبهتُ مَذْعورًا، وأحْضرتُ الرَّجُلَ، وسألتُه إحْلالي، فامتنع عليَّ؛ فاستحلفتُه على إعْلامي بما خصَّني به من الدُّعاء؛ فقال: «نَعَمْ! دعوتُ الله أن يُميتَك في أضْيَق السجون كما أعْمَرْتَنيه حِقْبَةً»، فعلمتُ أنَّه قد وجبتْ دعوته، وندمتُ حيث لا ينفع الندم، وأطلقتُ الرجل، ولم أزل أرتقب ذلك في السجن.

فما لبث في السجن إلاَّ أيَّامًا، وأخْرج مَيْتًا، وأسْلِم إلى أهله. فقيل: قُتِل خَنقًا في البيت المعروف ببيت البراغيث في المُطْبق؛ وقيل: دُسَّت إليه شُرْبةٌ مسمومةٌ.

قال محمد بن إسماعيل، كاتب المنصور: «سِرْتُ مع محمد بن مَسْلَمة إلى الزهْراء لتسليم جسد جعفر إلى أهله وولده، والحضور على إنزاله في ملحده، فنظرت إليه ولا أثَرَ فيه، وليس عليه شيء يواريه غير كساء خَلَقٍ لبعض البوابين، سَتَرَه به، فدعا له محمد بن مَسْلمة بغاسل؛ فغسله (والله!) على فَرْد باب اقْتُلِعَ من ناحية الدار، وأنا أعتبر من تصرُّف الأقدار؛ وخَرَجْنا بنَعْشه إلى قبره، وما معنا إلاَّ إمام المسجد المُسْتَدعى للصلاة؛ وما تجاسر أحَدٌ على النظر إليه»[1].

* * *

في كتاب (العبر) تأليف عبد الله بن محمد بن علي حاجب النعمان قال: ولقد حدثني أقضى القضاة الماوردي بحكاية عجيبة وصدقها ابن الهدهد وابن الصقر فراشا سلار الملقب بجلال الدولة ابن بويه ملك البصرة قبل بغداد، وكان المعروف بكبوش قد وزر له واستولى على أمره، فقبض على رجل من بناة البصرة وصادره واستأصله وخلاه كالميت، وكان يدعو عليه، فلما كان في

---

(١) البيان المغرب ٢/ ٢٧٠؛ الذخيرة ٧/ ٦٨؛ نفح الطيب ١/ ٦٠١.

بعض الأيام ركب بكبوش في مركب عظيم فصادف الرجل فسبه، فقال له الرجل: الله بيني وبينك والله لأرمينَّك بسهام الليل، فأمر بالإيقاع به فضرب حتى ترك ميتًا، وقال له: سهام الليل! هذه سهام النهار قد أصابتك، فلما كان بعد ثلاثة أيام من ذلك قبض جلال الدولة على بكبوش وأجلس في حجرة على حصير ووكل به من يسيء إليه، فدخل الفراشون لكنس الحجرة وشيل الحصير الذي تحته فوجدت رقعة، فأخذها الفراشون وسلموها إلى ابن الهدهد فراش سلار فقال: من طرحها؟ فقالوا: ما دخل أحد ولا خرج، فقرأت فإذا فيها:

سهام الليل لا تخطي ولكن ... لها أمد وللعهد انقضاء

أتهزأ بالدعاء وتزدريه ... تأمل فيك ما صنع الدعاء

فأخبر جلال الدولة بحاله وشرح له القصة جميعها، فأمر الفراشين بضرب فكه حتى تقع أسنانه، ففُعل به ذلك وعذب بكل نوع حتى هلك[1].

❊ ❊ ❊

وشي للوزير محمود بن صالح الكلابي صاحب حلب: أن المعرّي زنديق لا يرى إفساد الصور، ويزعم أن الرسالة تحصل بصفة العقل، فبعث محمودًا على طلبه وأرسل خمسين فارسًا ليحملوه إليه، فلما وصلوا إليه نزلهم بدار الضيافة وأكرمهم، فدخل عليه عمَّه مسلم بن سليمان وقال: يا ابن أخي قد نزلت بنا هذه الحادثة، الملك محمود يطلبك، فإن منعناك عجزنا، وإن سلَّمناك كان عارًا علينا عند ذوي الذمام، فقال: هوِّن عليك يا عم، فلا بأس علينا ولا سلطان، ثم قام فاغتسل وصلَّى نصف الليل، ثم قال لغلامه: انظر إلى المرّيخ أين هو؟ قال: هو في كذا وكذا، قال: زنه واضرب تحته وتدًا، واجعل في رجلي خيطًا اربطه إلى الوتد، فسمعناه يقول: يا قديم الأزل، يا علَّة العلل، يا

---

(1) تذكرة الخواص ص ٣٣٦.

صانع المخلوقات، وموجد الموجودات، أنا في عزّك الذي لا يرام، وكنفك الذي لا يضام، الصيوف الصيوف، الوزير الوزير، ثم ذكر كلمات لا نفهم، وإذا بهدّة عظيمة، فسألنا عنها فقيل: الدار وقعت على الصيوف، فقتلت الخمسين، وعند طلوع الشمس وقعت بطاقة من حلب على جناح طائر: لا تزعجوا الشيخ فقد وقع الحمام على الوزير[1].

* * *

كان إبراهيم بن ذكوان الحراني قد اتّصل بالهادي في أيام حداثته؛ كان يدخل إليه مع معلّم كان يعلّم الهادي، فخفّ إبراهيم على قلب الهادي وألِفَه وصار لا يصبر عنه، ثم سُعي به إلى المهدي فكره لابنه صحبته فنهاه عنه فما انتهى، فتهدّده بالقتل والهادي لا يُباعده، فاشتدّت به السعايات إلى المهدي، فأرسل إلى ابنه الهادي أن أرسل إليّ إبراهيم الحرّانيّ وإلاّ خلعتك من الخلافة.

فأرسله إليه صحبة بعض خدمه مرفّهًا، فوصل إليه والمهديّ يريد الركوب إلى الصيد، فلما رآه قال: يا إبراهيم، والله لأقتلنّك والله لأقتلنّك، والله لأقتلنّك! ثم قال: احفظوه حتى أعودَ من الصيد. فأقبل على الدعاء والتضرّع. فاتّفق أن المهديّ أكل الطعام المسموم، فمات من ساعته، وتخلّص الحرانيّ، وجلس الهادي على سرير الخلافة، ثم بعد ذلك بمُدَيْدة استوزر الحرانيّ، ولم تطل الأيام حتى مات الهادي[2].

* * *

في شهر رمضان قُتل رجل من أعوان الوالي في بغداد فبعث الرئيس أبو الفضل الشيرازي ــ وكان قد أقامه عزّ الدولة على الوزارة ــ مَن طَرَحَ النّاس

(1) نسمة السحر ١/ ٢٧١.

(2) الفخري ص ١٩٢.

من النخَّاسين إلى السمَّاكين، فاحترق حريق عظيم لم يشهد مثله، وأحرقت أموال عظيمة وجماعة كثيرة من النساء، والرجال، والصبيان، والأطفال في الدُّور وفي الحمَّامات، فأُحصي ما أُحرق من بغداد فكان سبعة عشر ألفًا وثلاثمائة دكَّان، وثلاثمائة وعشرين دارًا، أجرة ذلك في الشهر ثلاثة وأربعون ألفًا، ودخل في الجملة ثلاثون مسجدًا.

فقال أبو أحمد الموسوي لأبـي الفضل الشيرازي: أيُّها الوزير أرينا قدرتك، ونحن نأمل من الله أن يرينا قدرته فيك، فلم يُجِبْه، وكَثُرَ الدُّعاء عليه. ثم إنَّ عزَّ الدولة قبض عليه وسلَّمه إلى الشريف أبـي الحسن محمد بن عمر العلوي، فأنفذه إلى الكوفة، وسُقي ذراريح، فتقرَّحت مثانته، فهلك.

وقال أبو حيَّان: قيل له في وزارته الثانية: كنتَ قد وَعَدْت من نفسك، إن أعاد الله يدك إلى البسطة، وردَّ حالك إلى السُّرور والغبطة، أنَّك تُجْمل في المعاملات، وتنْسى المقابلة، وتلقَى وليَّك وعدوَّك بالإِحسان إلى هذا والكفَّ عن هذا! فكان جوابه ما دلَّ على عُتوِّه لأنه قال: أما سمعتم قول الله تعالى: ﴿وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ﴾ [الأنعام: ٢٨].

فما لَبث بعد هذا الكلام إلاَّ قليلاً حتى أورد ولم يُصدر، ولم يَنْعش بعد أن عَثَر، وتولَّى ابن بقيَّة مصادرته، فصادره على مائة ألف دينار[(١)].

❊ ❊ ❊

بلغ الوزير أبا عليّ بن مُقْلَة أنَّ ابن شَنَبُوذ المقرىء يغيِّر حروفًا من القرآن، ويقرأ بخلاف ما أُنْزِل، فأحضره، وأحضر عمر بن أبـي عمر محمد بن يوسف القاضي، وأبا بكر بن مجاهد، وجماعة من القُرَّاء، ونُوظِرَ، فأغلظ للوزير في

---

(١) تاريخ الإسلام ٢٦/ ٢٤٩؛ تاريخ الطبري ١١/ ٤٢٩؛ العبر في أخبار من غبر ٢/ ١١٢؛ نشوار المحاضرة ٣/ ٧٤.

الخطاب وللقاضي ولابن مجاهد، ونَسَبَهم إلى الجهل، وأنَّهم ما سافروا في طلب العلم كما سافر. فأمرَ الوزير بضربه، فنُصب بين الهِنبازَيْن وضُرِب سبْع دِرَر، وهو يدعو على الوزير بأن تُقْطَعَ يده، ويشتّت شمله.

فشوهد قطع يد ابن مقلة وثُكْل ابن مُجَاهِد ولده[1].

* * *

وقال محمد بن عبد الملك الهمدانيّ في تاريخه: إنَّ أبا عليّ بن مُقْلة الوزير حين شرع في بناء داره، الَّتي من جملتها البستان المعروف بالزَّاهر، على دجلة، جمع ستين منجّمًا حتى اختاروا له وقتًا لبنائه. فكتب إليه شاعرٌ:

قُلْ لابن مقلة مَهْلاً لا تكُنْ عَجِلاً ... وٱصْبر فإنَّك في أضغاث أحلامِ

تَبْنِي بأنقاض دُور النَّاس مجتهدًا ... دارًا ستُهْدَمُ أيضًا بعد أيَّام

ما زلت تختارُ سَعْد المُشْتَري لها ... فلم تُوَقَّ به من نحس بهرام

إن القرآن وبَطْلَيْمُوس ما اجتمعا ... في حالِ نقضٍ ولا في حالِ إبرامِ[2]

* * *

حدث سهل بن شُنَيْف، قال:

«رجعت مَرَّةً مع أحمد بن محمد بن مدبر إلى داره، فٱستقبلته ٱمرأةٌ فقالت: «أيها السيِّد! نحن مائة عَيِّل على فلانِ المتقبل، وقد ضاعَ شَمْله لحبسه، فاتَّقِ دعوةً تَعرُجُ إلى الله مِنَّا فِيك!»، فقال وهو متهزِّىءٌ: «إذا عزمتم على هذا، فليكن الدعاءُ في السَّحَر فإنه أنجعُ له»! قال لي سهل: فارتعتُ من

---

(١) تاريخ الطبري ١١/٢٩١؛ تاريخ الإسلام ٢٤/٢٤٦؛ البداية والنهاية ١١/١٨١، ١٩٤.

(٢) تاريخ الطبري ١١/٢٩٩؛ تاريخ الإسلام ٢٤/٢٤٢؛ سير أعلام النبلاء ١٥/٢٢٨؛ البداية والنهاية ١١/١٩٥.

الكلمة، فما مضى له شهر حتى تَقَلد محمدُ بن هلال الخراجَ وصرفه عنه، واجتمعا عند أحمد بن طولون، فاهتدى محمَّد بن هلال إلى ما لم يَظُنَّ أنه يقف عليه، لأنه أول ما ناظره قال: «رزق الخراج: كذا وكذا، وأرزاق الدواوين المضافة إليه: كذا وكذا، فهل قبضتَ جملةَ هذه الأرزاق؟» قال ابن المدبر: «نعم! ما حضرني في كتاب أمير المؤمنين بإطلاق جميع الرزق لك؛ لأنه يجوز أن يكون استعملك على جميع الأعمال برِزْق الخراج وحده». فانقطَع إلى ابن المدبر، وطالَبَه بالمال، فقال: «ما يلزمني؟» ورُدَّ إلى يد محمد بن هلال فأُلبس جُبَّةً كانت على بعض السَّاسَة، وأقيمَ في الطريق على كُناسة، وخُتِمت الجبة في عُنُقه.

فكان أوَّلَ من وافاه المرأةُ التي قال لها: «يكونُ دعاؤك في السَّحَر هو أنجع له»، فقالت: «جزاك الله يا أبا الحسن خيرًا، فقد نفعتنا بأكثر مما ضَرَرْتَنا؛ لأننا جرَّبنا ما أشرتَ به فوجدناه أنجعُ شيء يُلْتَمَس به»، فبكى ومن حولَه من الموكَّلين به، وانصرفت المرأة داعيةً له»[1].

* * *

حدَّث ابن عبد السلام الهاشمي قال: كنتُ في مجلس الفضل ابن مروان إذ دخل عليه أعرابـيٌّ فصيحُ اللسان، يتظلَّم من بعض عُمَّاله، فصدف بوجهه عنه وزَبره، فوقف ساعة متحيرًا واجمًا لا يحير جوابًا ثم قال: أيأسْتَني من عدلك، فاسمع مني واصنع ما بدا لك، ثم أنشده:

تجبَّرت يا فضل بنَ مروانَ فانتظرْ	فَقَبْلَكَ كانَ ٱلْفضلُ وٱلْفضلُ وٱلْفضلُ
ثـلاثـةُ أمـلاك مَضَـوْا لِسَبيلهـم	أَبـادَهُـمُ التَّغييـرُ والمـوتُ وٱلقتـلُ
فإنك قد أصبحتَ في الناس ظالمًا	سَتُودى كما أَوْدى الثلاثةُ من قبلُ

(١) المكافأة ص ٩٠؛ موسوعة الكنايات البغدادية ٢/ ٣٢٦.

ثم ولّى مُنصرفًا، فقال ٱلفضل: ما عنى بقوله؟ فقيل له: أراد الفضلَ بن يحيـى بن خالد، وٱلفضلَ بن سهل، وٱلْفضلَ بن الربيع؛ فتغيَّر وجهه وامتقع لونه، وبان غضبُه وغيظُه، وتصبَّر، ولم يَرُدَّ الأعرابـي، ولا أمر بإنصافه، ولم يكن بين ذلك وبين ٱلْقبض على ٱلفضل إلاَّ أيَّامٌ يسيرة[1].

***

حدث القاضي أبو علي التنوخي، قال:

عزم أبو الحسن ابن الفرات في وزارته الأولى يومًا على الصبوح من غد، وكان يوم الأحد من رسمه أن يجلس للمظالم فيه.

ثم قال: كيف نتشاغل نحن بالسرور، ونصرف عن بابنا قومًا كثيرين، قد قصدوا من نواح بعيدة، وأقطار شاسعة، مستصرخين، متظلِّمين؟ فهذا من أمير، وهذا من عامل، وهذا من قاض، وهذا من متعزِّز، ويمضون مغمومين، داعين علينا، والله، ما أطيب نفسًا بذلك.

ولكن أرى أن تجلس أنت يا أبا علي ساعة، ومعك أحمد ابن عبيد الله بن رشيد، صاحب ديوان المظالم، وتستدعيا القصص، وتوقعا منها فيما يجوز توقيعكما فيه، وتفردا ما لا بدَّ من وقوفي عليه، وتحضرانيه لأوقع فيه، وينصرف أرباب الظلامات مسرورين، وأتهنَّأ يومي بذلك.

فقلت: السمع والطاعة، وبكرت من غد.

---

(١) الهفوات النادرة ص ٢٥٦، وقال المحقق: الأبيات من الطويل، وهي للشاعر الهيثم بن فراس. (انظر ترجمته في: تاريخ بغداد ٥/ ١٩٢؛ ومعجم الأدباء ٥/ ٨٧ ـ ٨٨)، وقد وردت الأبيات في الفخري ٢٣٢؛ وابن خلكان ٣/ ٢١٣؛ ومعجم الأدباء ٥/ ٨٨؛ وشذرات الذهب ٢/ ١٢٢؛ ومحاضرات الراغب ١/ ١٠٩؛ والمحاسن والمساوىء ٥٣١.

فقال لي: اخرج، واجلس على ما واقفتك عليه. فخرجت ومعي ابن رشيد، وجلسنا ووقَّعنا في جمهور ما رفع، إلاَّ عشر رقاع ممَّا يحتاج إلى وقوفه عليها، وتوقيعه بخطِّه فيها، وكان منها رقعة كبيرة ضخمة، ترجمتها: المتظلمون من أهل روذمستان، وهرمزجرد، وهما ناحيتان من السيب الأسفل وجنبلاء، وكانت إذ ذاك في إقطاع السيدة، وقدَّرت أنها ظلامة من وكيلها في تغيير رسم، أو نقص طسق، فجعلتها فيما أفردته.

وعدت إلى أبي الحسن فعرفته ما جرى، فأخذ الرقاع، ولم يزل يوقع فيها، إلى أن انتهى إلى هذه الرقعة، فقرأها، ووجهه يربدُّ ويصفرُّ، ويتنقل من لون إلى لون، فضاق، صدري، وندمت على ترك قراءتها، وقلت: لعلّ فيها أمرًا يتَّهمني فيه، وأخذت ألوم نفسي على تفريطي فيما فرَّطت فيه.

وفرغ منها، فكتمني ما وقف عليه فيها، وقال: هاتوا أهل روذمستان وهرمزجرد.

فصاح الحجَّاب دفعات، فلم يجب أحد، وقام وهو مهموم منكسر، ولم يذاكرنا بأمر أكل ولا شرب، ودخل بعض الحجر، وتأخَّر أكله، وزاد شغل قلبي.

وقلت لخليفةٍ لساكنٍ ــ صاحب الدواة ــ وكان أميًا: أريد رقعة لابن بسَّام الشاعر، عليها خرج لأقف عليه، ولم أزل أخدعه، حتى مكَّنني من تفتيش ما هو مع الدواة، ولو كان ساكنٌ حاضرًا لما تمَّ لي ذلك.

وأخذت الرقعة، فإذا هي رقعة بعض أعداء ابن الفرات، وقد قطَّعه فيها بالثلب، والطعن، وتعديد المساوىء والقبائح، وهدده بالسعاية. وقال فيما قاله: قد قسمت الملك بين نفسك وأولادك، وأهلك وأقاربك، وكتَّابك وحواشيك، واطَّرحت جميع الناس، وأقللت الفكر في عواقب هذه الأفعال،

وما ترضى لمن تنقم عليه، بالإبعاد وتشتيت الشمل، حتى تودعهم الحبوس، وتفعل وتصنع، وختمها بأبيات هي:

لـو كـان مـا أنتـم فيـه يـدوم لكـم ... ظَنَنْـت مـا أنـا فيـه دائمًـا أبـدًا

لكـن رأيـت الليـالـي غيـر تـاركـة ... مـا ساء مـن حـادث أو سَرّ مطَّـردًا

وقـد سَكَنْـتُ إلـى أنِّـي وَأنَّكُـم ... سَنَستَجِـدُّ خِـلاف الحـالَتَيـن غَـدا

قال: وبطل صبوح أبي الحسن، ودعانا وقت الظهر، فأكلنا معه على الرسم، ولم أزل أبسطه، وأقول له أقوالاً تسكنه، إلى أن شرب بعد انتباهه من نومه، غبوقًا.

ومضى على هذا اليوم أربعة أشهر، وقبض عليه، واستترت عند الحسين بن عبد الأعلى.

فلما خلع على أبي علي محمد بن عبيد الله بن خاقان، جلسنا نتحدَّث، ونتذاكر أمر ابن الفرات.

فقال لي ابن عبد الأعلى: كنت جالسًا في سوق السلاح، أنتظر جواز الخاقاني بالخلع، لأقوم إليه وأهنِّئه، فاتَّفق معي رجل شاب، حسن الهيئة، جميل البزّة، وحدَّثني إنَّه صاحب لأبي الحسين محمد بن أحمد بن أبي البغل وأنَّه أنفذه من أصبهان، قاصدًا حتى دسَّ إلى ابن الفرات رقعة على لسان بعض المتظلِّمين، فيها كل طعن، وثلب، ودعاء، وسبّ، وتوعّد، وتهدّد، وفي آخرها شعر.

فقلت له: على رسلك، هذه الرقعة على يدي جرت، ووصلت إلى ابن الفرات.

وخرج الحديث متقابلاً[1].

* * *

---

(١) نشوار المحاضرة ٥/ ٥٧؛ الوزراء للصابي ١٢٢؛ والأبيات الشعرية وردت دون نسبة في حماسة الظرفاء ١/ ٢٨٢؛ والأول والثالث في أدب الدنيا والدين ص ٤٦٢.

قال السُّلمي:

حدثنا محمد بن عبد الله بن شَاذان قال: كان الوزير حين أُحضر الحلَّاجُ للقتل حامد بنُ العبَّاس، فأمره أن يكتبَ اعتقاده، فكتب اعتقاده فعرضه الوزير على الفقهاء ببغداد، فأنكروه.

فقيل لحامد: إنَّ ابنَ عطاء أحمد بن محمد بن سَهل يصوِّب قوله. فأمر به. فعُرِض على ابن عطاء، فقال: هذا اعتقادٌ صحيح، ومَنْ لم يعتقد هذا فهو بلا اعتقاد.

فأحضر إلى الوزير، فجاء وتصدَّر في المجلس، فغاظ الوزيرَ ذلك، ثم أُخرج ذلك الخطّ فقال: أتصوِّبُ هذا؟ قال: نَعَم، ما لك ولهذا؟ عليك بما نُصِبتَ له من المُصَادرة والظُّلم، ما لك وللكلام في هؤلاء السادة؟ قطع الله يديك ورجليك.

فقال الوزير: فَكَّيه، فضُرِبَ فكَّاه، فقال أبو العبَّاس: اللَّـٰهُمَّ إنَّك سَلَّطت هذا عليَّ عقوبةً لدخولي عليه، فقال الوزير: خُفَّه يا غلام. فنزع خُفَّه. فقال: دماغه، فما زال يضرب دماغه حتى سال الدَّم من مَنْخِرَيْه، ثمَّ قال: الحبس.

وأجيب دُعاؤه، فقُطِعَت أربعةُ حامد[1].

* * *

لما ظلمَ الناسَ بواسطَ أبو عبد الله أحمد بن علي بن سعيد الكوفي، وهو إذ ذاك يتقلَّدها لناصر الدولة، وقد تقلَّد الوزارة، وإمرة الأمراء ببغداد، كنت أحد من تظلَّم، فظلمني وأخذ من ضيعتي بالجامدة نيفًا وأربعين كرًا أرزًا بالنصف من حقّ رقبتي ـ سوى ما أخذه من حقّ بيت المال ـ بغير تأويل ولا

(١) البداية والنهاية ١١/ ١٣٩، ١٤٤؛ سير أعلام النبلاء ١٤/ ٢٥٥، ٣٢٩؛ تاريخ الإسلام ٢٣/ ٢٤٨؛ وفيهما تخريج أكثر للقصة.

شبهة، فتظلَّمت إليه، وكلَّمته فلم ينصفني.

وكان الكرّ الأرز بالنصف، إذ ذاك، بثلاثين دينارًا.

فقلت له: قد أخذ سيِّدنا منِّي ما أخذ، ووالله، ما أهتدي، أنا وعيالي، إلى شيء سواه، وما لي ما أقوتهم به، باقي سنتي، ولا ما أعمِّر به ضيعتي، وقد طابت نفسي أن تطلق لي من جملته عشرة أكرار، وأجعل الباقي لك حلالاً.

فقال: هذا ما لا سبيل إليه.

فقلت: فخمسة أكرار.

فقال: لا أفعل.

قال: فبكيت، وقبَّلت يده، ورقَّقته، وقلت: فهب لي منه، وتصدَّق عليّ، بثلاثة أكرار، وأنت من الجميع في حلّ وسعة، بطيب من قلبي.

فقال: لا والله، ولا أرزة واحدة.

قال: فتحيَّرت، وقلت له: فإني أتظلَّم إلى الله عزَّ وجلّ منك.

فقال لي: كن على الظلامة ــ يكررها دفعات ــ وبكسر الميم، بلغة الكوفيين.

قال: فانصرفت محترق القلب، فجمعت عيالي، وما زلت أدعو الله عليه، ليالي كثيرة.

فهرب من واسط في الليلة الحادية عشرة من أخذه الأرز، وجئت إلى البيدر، فأخذت أرزي، وحملته إلى منزلي.

وما عاد الكوفيّ بعدها إلى واسط، ولا أفلح[1].

* * *

(١) نشوار المحاضرة ٨/ ١٥٨؛ الفرج بعد الشدة ١/ ٢٣٠.

حدَّثَ أبو الحسن ابن أبـي طاهر مُحمَّد بن الحسن الكاتب قال: قبض أبو جعفر محمد بن القاسم بن عبيد الله في وزَارَتِهِ على أبـي وعليَّ معه، فحَبسنا في حجرةٍ في داره ضيِّقةٍ وأجلسنا على التراب وشدَّد علينا، وكان يُخرجنا كلَّ يوم فيُطالبُ أبـي بمال المُصادرة، وأضربُ بحضرته ولا يُضرب هو، ولاقينا من ذلك شدائدَ صعبة، فلما كان بعد أيام قال أبـي: إنَّ هؤلاء الموكَّلين بنا قد صارتْ لهم بنا حُرمةٌ فتوصَّل إلى مُكاتَبةِ أبـي بكر الصَّيرفي ــ وكان صديقه ــ لينفذ لنا ثلاثة آلاف درهم نُفرِّقُها عليهم. ففعلت ذلك، وأنفَذَ الدراهم من يومه.

فقلتُ للموكَّلين في عشاءِ ذلك اليوم: قد وجبتْ لكم علينا حقوقٌ فخذوا هذه الدَّراهم فانتفعوا بها. فامتنعوا، فقلتُ: ما سبب امتناعكم؟ فورَّوا عن ذلك، فقلت: إمّا قبلتم الدراهم، وإمّا عرّفونا السَّبَبَ.

فقالوا: نُشفقُ عليكم من ذِكره ونستحي. فقلتُ لأبـي، فقال: قلْ لهم اذكروه على كلِّ حالٍ. فقلت لهم، فقالوا: قد عَزَمَ الوزيرُ على أنْ يقتُلَكُمَا اللَّيلَة، ولا نستحسنُ أن نأخذَ شيئًا منكما مع هذا. فقَلِقْتُ، ودخلتُ إلى أبـي في غير تلك الصُّورةِ، فقال: ما لك؟ فأخبرته الخبر. فقال: اردُد الدَّراهِم على أبـي بكر. فدفعتها إلى من جاءَ بها فردَّها عليه.

وكان أبـي يَصومُ تلك الأيَّام كلَّها، فلما غابت الشَّمس تطهَّرَ ولم يُفطرْ، وصلَّى المغربَ، وصلَّيْتُ معه، ثم أقبل على الصَّلاة والدُّعاء إلى أن صلَّى عِشاء الآخرة، ثمَّ دعاني، فقال لي: اجلس يا بُني جاثيًا على رُكبتيك، ففعلتُ، وجلس هو كذلك، ثم رفع رأسه إلى السَّماء فقال: يا ربِّ، محمد بن القاسم ظَلَمني، وحبسني على ما ترى، وأنا بين يديك، وقد استعدَيْتُ إليك، وأنت أحكم الحاكمين، فاحكم بيننا، فاحكم بيننا. لا يزيد عليها، ثم صاحَ بها إلى أن ارتفع صوتُهُ ولم يزل يُكرِّرُها بصياحٍ وبُكاءٍ، واستغاثة إلى أن ظننتُ أنه قد

مضى ربعُ الليل، فواللّـهِ ما قطعَهَا حتى سمعتُ صوتَ الباب يُدَقُّ فذهب عليَّ أمري، ولم أشكَّ في أنَّه القتلُ، وفُتحت الأبواب، ودخل قومٌ بشموع، فتأمَّلتُ فإذا فيهم سابور غلام القاهر بالله، فقال: أين أبو الطاهر؟ فقام أبـي، وقال: ها أنا ذا. فقال: أين ابنُكَ؟ فقالَ: هوذا، فقال: انصرفا إلى منزلِكُما. فخرجنا وإذا هو قد قَبَض على الوزير محمد بن قاسم، وحدره إلى دار القاهر فانصرفنا.

وعاش محمد بن القاسم في الاعتقال ثلاثة أيام، ثم مات[1].

* * *

سأل رجل الفقيه علي بن عيسى بن عبيد التجيبـي أن يكتب له إلى قائد طليرة في رد مال غصبه له. فكتب إليه: «من علي بن عيسى، إلى الظالم يحيـى، رد على الرجل ماله، واتق الله، وإياك ودعوة المظلوم، فليس بينها وبين الله حجاب»، فقال الرجل: لست أحمل هذا الكتاب أبدًا، فبلغ ذلك العامل، فردَّ مظلمته[2].

* * *

لما قدم محمد بن عبد الله بن خالد أذربيجان ـ أميرًا عليها ـ جاء قوم إلى كاتبه، فقالوا له: هاهنا أموال قد أُخْفِيَتْ، وحقوق قد بَطَلَتْ. فكتب الكاتب بذلك رقعة إلى الأمير، فأجابه الأمير في ظهرها: أجْرِ الناس على دواوينهم، وما صحَّ من قوانينهم، واعلم أني ما وردت الناحية لإحياء الرسوم الرديَّة، والاستماع مِن سُقَّاط الرعية، فلا تركن إلى الفُضول، وتدع الذي توجبه العقول، فإنما هي أيام تمضي، ومدة تنقضي؛ فإما ذكر جميل، وإما خزي طويل، وإياك وقولَ جرير:

---

(١) أنس المسجون ١٥٥؛ الفرج بعد الشدة ١/ ٢٧٧؛ آل وهب ص ٣٨٥.

(٢) ترتيب المدارك ٢/ ٤٥٨.

وكنتَ إذا نزلتَ بدارِ قومٍ رَحَلْتَ بخزيةٍ وتركت عارًا

وأعمل على أن يكون الدُّعَاء لنا لا علينا[1].

* * *

كان أبو مسلم الخراساني بعرفات يقول: اللَّهُمَّ إني تائب إليك مما لا أظنك تغفره لي. فقيل له: أيعظم على الله غفران ذنب؟ فقال: إني نسجت ثوب ظلم لا يبلى ما دامت الدولة لبني العباس، فكم من صارخة تلعنني عند تفاقم الظلم! فكيف يغفر لمن هذا الخلق خصماؤه[2].

❑ ❑ ❑

---

(١) لباب الآداب ص ٣٧؛ رسوم دار الخلافة ص ٤٦؛ زهر الآداب ٢/ ١٨؛ نهاية الأرب ٣/ ٢٩٣.

(٢) ربيع الأبرار ٢/ ٨٢٧.

متفرقات
مما ورد في دعوة المظلوم

عن الحسن بن غالب المقرىء أن بكر بن شاذان وأبا الفضل التميمي جرى بينهما كلام، فبدر من أبي الفضل كلمة ثقلت على بكر وانصرفا. ثم ندم التميمي فقصد أبا بكر بن يوسف وقال له: قد كلّمتُ بكرًا بشيء قد خفي عليه وندمت على ذلك، فأريد أن تجمع بيني وبينه. فقال له ابن يوسف: سيخرج لصلاة العصر. فخرج بكر وجاء إلى ابن يوسف والتميمي عنده، فقال له التميمي: أسألك أن تجعلني في حل. فقال بكر: سبحان الله ما فارقتك حتى أحللتك. وانصرف.

قال التميمي: قال لي والدي: يا عبد الواحد احذر أن تخاصم مَن إذا نمتَ كان منتبهًا.

قال ابن غالب: وكان لبكر ورِد من الليل لا يُخِل به.

قال ابن الجوزي:

احذر أن تخاصم من إذا نمت كان منتبهًا. معناه: لا تعادي أولياء الله فإنك تنام وهم مستيقظون، فربما دعوا عليك، فاستجيب فيك وأنت لا تشعر، احذر سهام الله حين تنام والمظلوم ساهر[1].

* * *

(١) صفة الصفوة ٢/ ٤٨٥؛ المنتظم ١٥/ ١٠٤؛ التذكرة في الوعظ ١٧٠.

قال الأصمعي: كنتُ عندَ أمير المؤمنين الرَّشيد ومعنا سعيد بن سَلْم، فلما كان نحو نصف النهار انصرفنا، فإذا نحنُ بيهوديين ضريرين، أحدُهما يقودُ صاحبه، وقال أحدُهما للآخر ــ وليس يعلمُ أنَّ أحدًا يسمعُ كلامَهما ــ : ويحَك قد أقرح سنديُّ الحرسي قلوبَ الخلق، فقل معي: يا حليمُ ذو أناء، لا تعجل على الخطائين وإنما تؤخرُهم ليوم تشخصُ فيه الأبصار، لا طاقة لنا بسعة حِلمِك عَنْ سِندي الحرسي، وأنتَ العليم الحكيم.

قال الأصمعي: فقلت لسعيد: هل سمعتَ؟ قال: قد سمعتُ. قال الأصمعي: فلما وصلتُ إلى منزلي رميتُ بثيابـي لأستريح، فإذا رسولُ الخليفة يدعوني إليه فراعَني ذلك، وصَرْتُ مع الرسول فإذا هو جالسٌ في مجلسه ذلك فقال لي:

لا تُـرَعْ، إنكـم لمَّـا نهضتُـم غَفَـوتُ فـإذا قـائـلٌ يقـولُ لـي: اعـزِل سِنـدي الحرسيَّ عنْ رقاب النّاس، وسلِ الأصمعي عمَّا سمع، قال: فحدثتُه الحديثَ فظهرَ عليه من الخُشوع والجِزَع شيءٌ عظيمٌ، وعلمَ أنَّها دَعوةٌ استُجيبت من وقتِهَا، وبعثَ فأشخصَ الحرسيَّ فضربَه ألفَ سوطٍ، ثم أخذ صفةَ اليهوديين وأمرَ بطلبِهما ببغداد كلِّها ومسألة اليهود عنهما فلم يُعرفا[1].

* * *

كتب يعقوب عليه السلام إلى يوسف عليه السلام لما استَعْبَد أخاه بالسرقة. . .

بسم الله الرحمن الرحيم من يعقوب نبـي الله، ابن إسحاق ذبيح الله، ابن إبراهيم خليل الله. . .

---

(١) المنتقى من أخبار الأصمعي ١٥٩.

أما بعد:

فإنا أهل بيت نبوة موكل بنا، أما أبـي فشدت يداه، وألقيت السكين على نحره ففداه الله، وأما جدي فشدت يداه وألقي في النار فنجَّاه الله، ولما كان لي ولد كنت مغرم بحبه، ففرق الله بيني وبينه، وإنا لا نسرق ولا نلد سارقًا، وأما أنت فلئن لم تردد عليَّ ولدي لأدعون عليكم دعوة تعمل معك إلى سبع من عقبك. . .[1].

***

مرَّت على صدر سليمان نملة وهو نائم، فلمَّا أحسَّ بها أخذها ورماها فقالت: يا نبـي الله ما هذه الصولة؟ أما علمت أنك تقف بين يدي ملك قهار قادر يأخذ للمظلوم من الظالم؟! فغشي عليه، فلما أفاق قال لها: تجاوزي عني، فقالت: لا أتجاوز عنك إلاَّ بثلاثة شروط: أن لا ترد سائلاً، ولا تضحك بطرًا في الدنيا، ولا تمنع جاهك ممن استغاث بك، قال: نعم. فعفت عنه[2].

***

استعدت أروى بنت أويس مروان بن الحكم وهو والي المدينة، على سعيد بن زيد في أرضه بالشجوة، وقالت: إنه قد أخذ حقي وأدخل صفيرتي في أرضه بالشجوة، قال سعيد: كيف أظلمها وقد سمعت رسول الله ﷺ يقول: «من اقتطع شبرًا من الأرض ظلمًا طَوَّقه الله من سبع أرضين يوم القيامة»، وترك لها سعيد ما ادَّعت، وقال: اللهم إن كانت أروى ظلمتني فاعم بصرها، واجعل قبرها في بئرها ــ وقال أبو يعلَى: في دارها ــ قال: فرأيتها عمياء تلتمس

---

(١) ابتلاء الأخيار ١٢٥؛ أسنى المطالب ٣٧٧، وقال: خبر لم يثبت وإنما ذكره المفسرون بلا سند تعليقًا.

(٢) نزهة المجالس ٢/ ٥٩.

الجُدُر، تقول: أصابتني دعوة سعيد بن زيد ــ زاد الصوفي، قال: ــ وقالا: فبينا هي تمشي في الدار خرّت في بئر في الدار فوقعت فيها، فكانت قبرها[1].

* * *

عن جابر بن سمرة، قال: شكا أهل الكوفة سعدًا إلى عمر حتى قالوا: إنه لا يُحسِن يصلي.

فقال سعد: أمَّا أنا فكنت أصلي بهم صلاة رسول الله ﷺ لا أخرم عنها، أركد في الأوليين وأحذف في الأخريين.

فقال عمر: كذلك الظن بك، يا أبا إسحق.

ثم بعث رجالاً يسألون عنه في مجالس الكوفة، فكانوا لا يأتون مجلسًا إلاَّ أثنوا خيرًا وقالوا معروفًا، حتى أتوا مجلسًا من مساجدهم، فقام رجل يقال له أبو سعدة فقال: اللَّهم إذا سألتمونا فإنه كان لا يعدل في القضية، ولا يقسم بالسويَّة، ولا يسير السرية.

فقال سعد: «اللَّهم إن كان كاذبًا فاعم بصره، وأطل فقره، وعرِّضه للفتن».

قال عبد الملك: فأنا رأيته يتعرض للإماء في السكك، فإذا قيل له: كيف أنت يا أبا سعدة؟

قال: كبير فقير مفتون، أصابتني دعوة سعد رضي الله عنه[2].

* * *

---

(١) تاريخ دمشق ٢١/ ٨٥؛ ورواه مسلم حديث ١٦١٠؛ والبخاري في المظالم؛ مكارم الأخلاق ٢٩٩.

(٢) مجموعة رسائل ابن أبي الدنيا ٤/ ٣٥؛ المستغيثون بالله ٤٢؛ تاريخ دمشق ٢٠/ ٣٤٣.

عن قَبيصة بن جابر الأسدي قال: قال ابن عمٍّ لنا في القادسية:

ألـــم تَـــرَ أن الله أنـــزلَ نصـــرَهُ   وسعـــدٌ ببـــابِ القـــادسيـــة مُعْصِـــمُ
فـــأُبْنـــا وقـــد آمَـــت نســـاءٌ كثيـــرةٌ   ونســـوة سعـــد ليـــس فيهـــن أَيِّـــمُ

فلما بلغ سعدًا قال: اللهم اقطع عني لسانه ويده، فجاءت نُشَّابة فأصابت فاه فخرس، ثم قطعت يده في القتال، فقال سعد: احملوني على باب فخرج محمولاً ثم كشف عن ظهره وفيه قروح في ظهره فأخبر الناس بعذره، وكان سعد لا يجبن، وقال: إنما فعلت هذا لِمَا بلغني من قولكم(١).

* * *

عن قيس قال: كان لابن مسعود على سعد مالٌ. فقال له ابن مسعود: أدِّ المالَ الذي قِبَلك، فقال سعد: ويحك ما لي ولك؟ قال: أدِّ المال الذي قبلك، فقال سعد: والله إني لأراك لاقٍ مني شرًّا، ها أنت إلاَّ ابن مسعود عبدٌ من هُذَيل؟

قال: أجل والله إني لابن مسعود وإنك لابن حَمْنَة، فقال لهما هاشم بن عُتْبة: إنكما صاحبا رسول الله ﷺ ينظر الناس إليكما. فطرح سعد عودًا كان في يده ثم رفع يده فقال: اللهم رب السموات، فقال له عبد الله: قُل قولاً ولا تلعن، فسكت، ثم قال سعد: أما والله لولا اتقاء الله لدعوتُ عليكَ دعوةً لا تخطئك(٢).

* * *

عن مصعب بن سعد:

أنَّ رجلاً نال من علي، فنهاه سعد، فلم ينته. فقال سعد: أدعو عليك، فلم ينته.

---

(١) تاريخ دمشق ٢٠/ ٣٤٥.

(٢) تاريخ دمشق ٢٠/ ٣٤٣.

فدعا عليه سعد، فما برح حتى جاء بعير ناد، أو ناقة نادة، فخبطته حتى مات[1].

* * *

عن عامر بن سعد قال: انتهى [أي سعد] إلى قومٍ عطوفٍ على رجل، فأدخل رأسه من بين اثنين فإذا هو يسب عليًا، وطلحة، والزبير، فنهاه، فرفع إليه رأسه وقال: يهددني كأنما يتهددني.

فانصرف سعد فدخل دار آل فلان فدعا بماء فتوضأ ثم قام فصلى ركعتين ثم رفع يديه فقال: اللهم إن كنت تعلم أن هذا الرجل قد سبّ أقوامًا قد سلف لهم منك سابقة أسخطك سبه إياهم فأريه اليوم آية، يكون آية للعالمين. فخرجت بختيَّة نادَّة من دار آل فلان لا يردها شيء حتى دخلت بين أضعاف الناس فافترق الناس عنها وهو بين قوائمها فلم تزل تدعيه حتى مات، فرأيت الناس يشتدون وراء سعد، ويقولون: أبا إسحاق أجاب الله دعاك، أبا إسحاق أجاب الله دعاك.

قال: وأنشدني مُحمَّد شعرًا:

فيا رب موسى دعوة كوكبية ... تصادف سعدًا أو يصادفها سعدُ

كما قد دعا في ابن منصور قبلها ... فمات وما حانت منيته بَعْدُ[2]

* * *

عن مينا مولى عبد الرحمن بن عوف:

أن امرأة كانت تطلع على سعد، فنهاها، فلم تنته، فاطلعت يومًا وهو يتوضأ.

---

(١) مجموعة رسائل بن أبي الدنيا ٤/٣٧؛ المستغيثون بالله ٤/٤٢؛ تاريخ دمشق ٢٠/٣٤٦.

(٢) تاريخ دمشق ٢٠/٣٤٦.

فقال: «شاه وجهك».

فعاد وجهها في قفاها[1].

* * *

عن أبـي المنذر الكوفي قال: «كان عمر بن سعد بن أبـي وقاص قد اتخذ جفنة وجعل فيها سياطًا، نحوًا من خمسين سوطًا، فكتب على السوط عشرة، وعشرين، وثلاثين، إلى خمسمائة على هذا العمل».

وكان لسعد بن أبـي وقاص غلام رتيب مثل ولده، فأمره عمر بشيء فعصاه، فضرب بيده إلى الجفنة، فوقع بيده سوط مائة، فجلده مائة جلدة، فأقبل الغلام على سعد ودمه يسيل على عقبيه. فقال: ما لك؟ فأخبره، فقال: «اللهم اقتل عمر، وأسل دمه على عقبيه».

قال: فمات الغلام، وقتل المختار عمر بن سعد[2].

* * *

حدَّث عبد الواحد بن زياد، قال:

«كنا عند مالك بن دينار، ومعنا محمد بن واسع، وحبيب أبو محمد، فجاء رجل فكلم مالكًا وأغلظ له في قسمة قسمها، وقال: وضعتها في غير حقها، وتتبعت بها أهل مجلسك ومن يغشاك، ليكثر غاشيك، وتصرف إليك الوجوه».

قال: فبكى مالك وقال: والله ما أردت هذا، قال: بلى والله لقد أردته.

فجعل مالك يبكي، ثم قال: «اللهم إن كان هذا قد شغلنا عن ذكرك فأرحنا منه كيف شئت».

---

(١) مجموعة رسائل ابن أبـي الدنيا ٤/ ٣٦؛ تاريخ دمشق ٢٠/ ٣٤٩.

(٢) مجموعة رسائل ابن أبـي الدنيا ٤/ ٣٨.

قال: فسقط والله الرجل على وجهه ميتًا، فحمل إلى أهله على سرير.
قال: ويقال: إن أبا إسحاق مجاب الدعوة»[1].

❊ ❊ ❊

حدَّث الحجاج بن صفوان بن أبي يزيد، قال:

«وشى رجل ببسر بن سعيد إلى الوليد، فأرسل إليه الوليد والرجل عنده، قال: فجيء به ترعد فرائصه، فأدخل عليه، فسأله عن ذلك، فأنكره بسر، وقال: ما فعلت؟

فالتفت الوليد إلى الرجل، فقال: يا بسر، هذا يشهد عليك بذلك. فنظر إليه بسر، وقال: أهكذا؟ فقال: نعم.

فنكس رأسه، وجعل ينكث في الأرض، ثم رفع رأسه، فقال:

«اللهم قد شهد بما قد علمت أني لم أقله، اللهم فإن كنت صادقًا فأرني به على ما قال».

فانكب الرجل على وجهه، فلم يزل يضطرب حتى مات»[2].

❊ ❊ ❊

حكي عن مالك بن دينار، قال: كان لي جار يتعاطى الفواحش، فأتى إليَّ الجيرانُ يشكون منه. فأحضرناه وقلنا له: إن الجيران يشكونك، فسبيلك أن تخرج من المحلة. فقال: أنا في منزلي، لا أخرج. قلنا: تبيع دارك! قال: لا أبيع ملكي. قلنا: نشكوك إلى السلطان. قال: أنا من أعوانه. قلنا: ندعو الله عليك. قال: الله أرحم بي منكم. قال: فلما أمسينا قمتُ وصليتُ ودعوت عليه، فهتف بي هاتف، لا تدع عليه فإنه من أولياء الله تعالى، فجئت إلى باب

---

(١) مجموعة رسائل ابن أبي الدنيا ٤/ ٧١؛ المستغيثون بالله ٦٥.
(٢) مجموعة رسائل ابن أبي الدنيا ٤/ ٧١؛ المستغيثون بالله ٦٤.

داره ودققت الباب، فخرج، فظن أني جئت لأخرجه من المحلة، فتكلم كالمعتذر، فقلت: ما جئت لهذا، ولكن رأيت كذا وكذا، فوقع عليه البكاء، وقال: إني تبت بعد ما كان هذا، ثم خرج من البلد فلم أرَهُ بعد ذلك.

واتفق أني خرجت إلى الحج، فرأيت في المسجد الحرام حلقة فتقدمتُ إليهم، فرأيته مطروحًا عليلاً، فلم ألبث أن قالوا مات الشاب رحمه الله[1].

* * *

سنة سبع وثلاثين وأربع مائة، توفي شيخ الأندلس وعالمها ومقريها وخطيبها أبو محمد مكي بن أبي طالب القيسي. كان من أهل التبحر في العلوم، كثير التصانيف، وكان مشهورًا بالصلاح وإجابة الدعوة رحمه الله تعالى.

ومما روي في إجابة دعوته أنه كان إنسان يتسلط عليه ويحصي عليه سقطاته، وكان الشيخ كثيرًا ما يتلعثم ويتوقف، فحضر ذلك الرجل في بعض الجمع وجعل يحد النظر إلى الشيخ ويغمزه، فلما خرج مضى ونزل في الموضع الذي كان يقرأ فيه ثم قال لنا أمنوا على دعائي، ثم رفع يديه وقال: اللهم اكفنيه، قال: فأمنًا، فأقعد ذلك وما دخل الجامع بعد ذلك اليوم[2].

* * *

كان أهل الجاهلية يرفعون مظالمهم إلى رجب ثم يأتون فيه الكعبة فيدعون الله عز وجل فلا تتأخر عقوبة الظالم، فكان المظلوم يقول للظالم: «عش رجبًا تَرَ عجبًا».

فسئل عمر بن الخطاب رضي الله عنه عن ذلك، وقيل: نحن اليوم مع الإسلام ندعو على الظالم فلا نجاب في أكثر الأمر.

---

(١) مختصر رونق المجالس ١٩٠؛ التوابين ٢٥٠؛ الروض الفائق ١١٣.

(٢) مرآة الجنان ٣/ ٥٧.

فقال عمر رضي الله عنه: هذا حاجز بينهم وبين الظلم، إن الله عز وجل لم يُعجل العقوبة لكفار هذه الأمة ولا لفساقها، فإنه تعالى يقول: ﴿ بَلِ ٱلسَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ وَٱلسَّاعَةُ أَدْهَىٰ وَأَمَرُّ ﴿٤٦﴾ ﴾ [القمر: ٤٦][١].

* * *

عن الأصمعي قال: دعت امرأة من بني عامر على رجل ظلمها فقالت: اللهم اشفني به في الدنيا فإني عنه في الآخرة في شغل بنفسي[٢].

* * *

وذكر الشيرازي: أن رجلاً صالحًا مرّ بظالم، فأنشده:

أتبدي كثيرًا من قولك أمامنا ... وليست لتبدو عند من يسمعُ النجوى

فإياك من ظلم العباد فإنما ... إلى الله من أكبادهم تصعد الشكوى

فلم يرق للظالم هذا الكلام فاكفهرَّ وجهه ولوى عنه عنقه وأخذته العزة بالإثم. وفي ذات ليلة طارت شرارة من مطبخه ووقعت بمخزن الحطب، فشبَّت النار والتهمت كل ما يملك، حتى أنه قعد بعد الفراش الوثير على حرارة الرماد ويا لسوء المصير.

واتفق أن مر به ذلك الرجل الصالح فسمعه يقول لأصحابه: لم أدر من أين جاءت هذه النار فوقعت على قصري فأحرقته؟ فأجابه: جاءت من دخان قلوب الفقراء:

حذارِ بأن تُثيرَ دخانَ قلبٍ ... جريح فهوَ يعلو بالشكاةِ

ولا تنكأ إذن ما اسطعت قلبًا ... فقلبُ الكَونِ يغْضبُ للأذاةِ[٣]

* * *

(١) نهاية الأرب ٦/ ٤٠؛ فصل المقال ٤٦٤؛ محاضرات الأدباء ١/ ٢١٧.

(٢) بلاغات النساء ٢٢٩.

(٣) روضة الورد ٦٩.

مَرّ تاجر بعشّار فحبسوا عليه سفينته، فجاء إلى مالك بن دينار فذكر ذلك له. قال: فقام مالك فمشى إلى العشار، فلما رأوه قالوا: يا أبا يحيى ألا تبعث إلينا حاجتك؟ قال: حاجتي أن تخلُّوا سفينة هذا الرجل. قالوا: قد فعلنا.

قال: وكان عندهم كُوز يجعلون فيه ما يأخذون من الناس من الدراهم فقالوا: ادْعُ الله لنا يا أبا يحيى. قال: قولوا للكوز يدعو لكم، كيف أدعو لكم وألفٌ يَدعون عليكم؟ أترى يُستجاب لواحد ولا يُستجاب لألف؟[1]

* * *

عبد الله بن محمد بن علي بن الحسن الميانجي أبو المعالي بن أبي بكر الخراساني.

حمل عليه الوزير أبو القاسم لمنافسة كانت بينهما، والتقط من أثناء تصانيفه ألفاظًا شنيعة تحتاج إلى المراجعة فأبيح دمه، فحمل إلى بغداد وردَّ إلى همدان وصلب. قال ابن السمعاني: ظلمًا سنة خمس وعشرين وخمسمائة. ولما قرب إلى الخشبة ليصلب قال: ﴿وَسَيَعْلَمُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ أَيَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ ﴿٢٢٧﴾﴾ [الشعراء: ٢٢٧][2].

* * *

قال الحاكم: سمعتُ محمدَ بن داود بن سُلَيمان يقول: كنّا عندَ الحسنِ بنِ سُفيان، فَدَخَل ابنُ خُزَيمة، وأبو عَمرو الحِيْري، وأحمدُ بنُ عليّ الرّازي، وهم متوجِّهون إلى فُرَاوة فقال الرّازي: كتبتُ هذا الطَّبق من حديثك. قال: هاتِ. فقرأ عليه، ثم أدخلَ إسنادًا في إسناد، فردَّهُ الحسن، ثمَّ بعدَ قليلٍ فعلَ ذلك، فردَّهُ الحسن، فلمَّا كانَ في الثالثة قال له الحسن: ما هذا؟ قد

---

(١) تاريخ دمشق ٥٦/ ٤٢٨؛ صفة الصفوة ٣/ ٢٨١؛ حلية الأولياء ٢/ ٣٧٤.

(٢) العقد المذهب ٣٣٣.

احتملتُكَ مرَّتين وأنا ابنُ تسعينَ سنة، فاتَّقِ الله في المشايخ، فربَّما استُجيبَت فيكَ دعوة. فقال له ابنُ خُزَيْمَة: مَهْ! لا تؤذِ الشَّيْخ. قال: إنَّما أردتُ أن تعلم أنَّ أبا العبَّاس يعرفُ حديثَه[1].

* * *

كان بين مطرّف بن عبد الله بن الشخير وبين رجل من قومه شيء، فكذب على مُطرف، فقال له مُطرّف: إنْ كنت كاذبًا فعجل الله حتفك، قال: فمات الرجل مكانه. فاستعدى أهله زيادًا على مُطَرف، فقال لهم زياد: هل ضربه؟ هل مسَّه بيده؟ فقالوا: لا، فقال: دعوة رجل صالح وافقت دعوته قدرًا. فلم يجعل لهم شيئًا.

وأرسله رجل يخطب له، فذكره للقوم فأبَوه، فذكر نفسه فزوَّجوه، فقَال له الرَجل في ذلك: بعثتك تخطب لي خطبت لنفسك، قال: قد بدأتُ بك، قال: كذبتَ، قال: اللهم إن كان كذب عليّ فأرني به.

قال: فمات مكانه، فاستعدوا عليه، فقال لهم الأمير: ادعوا أنتم أيضًا عليه كما كان دعا عليكم[2].

* * *

لما تألَّب بنو حَسُّون على القاضي الوحيدي، صادر عنه العالم الأصولي أبو عبد الله ابن الفخار، وطلع في حقه إلى حضرة الإمامة مراكش، وقام في مجلس أمير المسلمين ابن تاشفين، وهو قد غص بأربابه، وقال: إنّه لمقام كريم، نبدأ فيه بحمد الله على الدنُو منه، ونصلي على خيرة أنبيائه محمد الهادي إلى الصراط المستقيم، وعلى آله وصحابته نجوم الليل البَهيم، أما بعد فإنّا

---

(١) سير أعلام النبلاء ١٤/ ١٥٩؛ تذكرة الحفاظ ٢/ ٧٠٥.

(٢) تاريخ دمشق ٥٨/ ٣٢٣؛ المستغيثون بالله ٦٢ و ٦٣؛ رسائل ابن أبي الدنيا ٤/ ٦٩ و ٧٠.

نحمد الله الذي اصطفاك للمسلمين أميرًا، وجعلك للدين الحنيفي نصيرًا وظهيرًا، ونفزع إليك ممّا دَهَمنا في حِماك، ونبثُّ إليك ما لحقنا من الضيم ونحن تحت ظل عُلاك، ويأبى الله أن يُدهم من احتمى بأمير المسلمين، ويصاب بضيم من ادَّرَعَ بحصنه الحصين، شكوى قمت بها بين يديك في حق أمرك الذي عضده مؤيده، لتسمع منها ما تختبره برأيك وتنقده، وإن قاضيك ابن الوحيدي الذي قدمته في مَالَقَة للأحكام، ورضيت بعَدْله فيمن بها من الخاصة والعوام، لم يزل يدلُّ على حسن اختيارك بحسن سيرته، ويُرضي الله تعالى ويرضي الناس بظاهره وسريرته، ما علمنا عليه من سوء، ولا درَينا له موقَف خزِي، ولم يزل جاريًا على ما يرضي الله تعالى ويرضيك ويرضينا إلى أن تعرضت بنو حَسُّون إلى الطعن في أحكامه، والهد من أعلامه، ولم يعلموا أن اهتضام المقدَّم، راجعٌ على المقدِّم، بل جَمَحوا في لجاجهم فعموا وصمُّوا، وفعلوا وأمضوا ما به هَمّوا.

وإلى السُّحب يرفع الكف من قد ... جـف عنـه مسيـل عيـن ونهـر

فملأ سمعه بلاغة أعقبت نصره ونصر صاحبه[1].

* * *

حكى الخطيب بدر الدين قاضي القضاة جلال الدين: أن إنسانًا ـ ولم يعين اسمه ـ أن جمال الدين ابن جملة قطعه من وظائفه وكان يتقوت منها، وأن المقطوع بقي مدة شهر رمضان يصلي المغرب ويقعد هو وأولاده وأهله قبل الفطور يدعون عليه، فما خرج الشهر حتى عزل وجرى عليه ما جرى[2].

* * *

قيل لإبراهيم بن نصر الكرماني: إن القرمطي دخل مكة وقتل فيها وفعل

---

(١) نفح الطيب ٣/ ٣٩٢.

(٢) تاريخ حوادث الزمان ٢/ ٦٨١؛ جمال الدين ابن جملة، انظر ترجمته في البداية والنهاية ١٤/ ١٦٦ و ١٧٣ و ١٨٢.

وصنع، وقد كثر الدعاء عليه، فلم منع الإجابة؟ فقال: لأن فيهم عشر خصال، فكيف يُستجاب لهم؟

فقلت: وما هن؟ قال: أوله أقروا بالله وتركوا أمره، والثاني: قالوا: نحب الرسول ولم يتّبعوا سنّته، والثالث: قرأوا القرآن ولم يعملوا به، والرابع: أحَبُّوا الجنة وتركوا طريقها، والخامس: قالوا: نكره النار، وزاحموا طريقها، والسادس: قالوا: إن إبليس عدونا، فوافقوه، والسابع: دفنوا أمواتهم فلم يعتبروا، والثامن: اشتغلوا بعيوب إخوانهم ونسوا عيوبهم، والتاسع: جمعوا المال ونسوا الحساب، والعاشر: نقضوا القبور وبنوا القصور[١].

* * *

كان ابنُ مجاهد أبو بكر محمد بن موسى إذا ختم أحدٌ عنده القرآن عمِل دعوة، فختم أحدُ أولاد النجّارين، فعمل دعوة فحضر أبو بكر وأصحابه، وحضر الصوفية والقوالون، فلما قارب ثلث الليل، استدعى أبو بكر بن مجاهد إزاره فطرحه على كتفه، وقال: أمضي في حاجة وأعود، فلا يتبعني أحد، قال: فعجبنا من خروجه في ذلك الوقت، وظَنننّا أنه أنكر سوء أدب، ومكثنا منكرين، فلمّا كان بعد ساعتين، وافى وعاد الانبساط، فسألناه عن نهضته فقال: أصدُقكم، نظرت فإذا أنا في طيبة ولذّة، وذكرتُ أن بيني وبين فلان الضرير مقتٌ وشر. ففكرت أنني في هذه اللذة، وأن ذاك واقف بين يدي الله عز وجل يتهجد، ولم أحبّ أن أكون بهذه الصفة وهو على تلك الحال من ثقل القلب، فخِفت من الله تعالى فقصدته ودخلت داره. فقبلت رأسه، وأصلحت ما بيني وبينه، وأمِنْت استحكامه، وعدتُ إلى ما نحن عليه وأنا طيِّب القلب[٢].

* * *

---

(١) تاريخ دمشق ٧/ ٢٣٩؛ التشوف إلى رجال التصوف ٨٠؛ تنبيه الغافلين ٤٠٣.

(٢) تاريخ الطبري ١١/ ٣٠٠.

قال أبو عبد الله الشامي عن الحكيم أبي الصّلت الدّاني:

«كنت أختلف إليه إذ ذاك (أي في سجنه) فدخلت إليه يومًا، فصادفته مطرقًا، فلم يرفع رأسه إليَّ على العادة، فسألته، فلم يرد الجواب، ثم قال بعد ساعة: اكتب، وأنشدني:

مارست دهري وجربت الأنام فلم ... أحمدهمُ قط في جد ولا لعبِ
وكم تمنيت أن ألقى به أحدًا ... يسلي من الهم أو يعدي على النوب
فما وجدت سوى قوم إذا صدقوا ... كانت مواعيدهم كالأل في الكذب
وكان لي سبب قد كنت أحسبني ... أحظى به وإذا دائي من السبب
فما مقلم أظفاري سوى قلمي ... ولا كتائب أعدائي سوى كتبي

فكتبت، وسألته عن ذلك، فقال: إن فلانًا تلميذي قد طعن فيَّ عند الأمير الأفضل.

ثم رفع رأسه إلى السماء واغرورقت عيناه دمعًا، ودعا عليه، فلم يحل الحول حتى استجيب له»[١].

* * *

«كان رجل من أصحاب رسول الله ﷺ من الأنصار يكنى: أبا معلق، وكان تاجرًا يتجر بمال له ولغيره، يضرب به في الآفاق، وكان ناسكًا ورعًا، فخرج مرة فلقيه لص مقنع في السلاح، فقال له: ضع ما معك فإني قاتلك. قال: ما تريد إلى دمي؟ شأنك بالمال، قال: أما المال فلي، ولست أريد إلاَّ دمك. قال: أما إذا أبيت، فذرني أصلي أربع ركعات، قال: صلي ما بدا لك.

فتوضأ ثم صلَّى أربع ركعات، فكان من دعائه آخر سجدة أن قال: يا ودود، يا ذا العرش المجيد، يا فعال لما يريد، أسألك بعزك الذي لا يرام،

(١) ديوان الحكيم ٢٠.

وملكك الذي لا يضام، وبنورك الذي ملأ أركان عرشك، أن تكفيني شر هذا اللص، يا مغيث أغثني، يا مغيث أغثني، ثلاث مرات. قال: دعا بها ثلاث مرات.

فإذا هو بفارس قد أقبل بيده حربة واضعها بين أذني فرسه، فلما بصر به اللص أقبل نحوه، فطعنه فقتله، ثم أقبل إليه، فقال: قم.

قال: من أنت بأبـي أنت وأمي؟ فقد أغاثني الله بك اليوم، قال: أنا ملك من أهل السماء الرابعة، دعوت بدعائك الأول، فسمعت لأبواب السماء قعقعة، ثم دعوت بدعائك الثاني، فسمعت لأهل السماء ضجة، ثم دعوت بدعائك الثالث، فقيل لي: دعاء مكروب، فسألت الله تعالى أن يوليني قتله.

قال أنس: فاعلم أنه من توضأ، وصلَّى أربع ركعات، ودعا بهذا الدعاء، استجيب له مكروبًا كان، أو غير مكروب»[1].

* * *

قال الليث بن سعد:

بلغني أن زيد بن حارثة اكترى من رجل بغلاً إلى الطائف، اشترط عليه الكري أن ينزله حيث شاء. قال: فمال بنا إلى خربة فقال له: انزل. فنزل. فإذا في الخربة قتلى كثيرة، فلمّا أراد أن يقتله قال له: دعني أصلي ركعتين. قال: صل، فقد صلّى قبلك هؤلاء فلم تنفعهم صلاتهم شيئًا. قال: فلمَّا صلَّيت أتاني ليقتلني. قال: فقلت: يا أرحم الراحمين.

قال: فسمع صوتًا: لا تقتله.

قال: فهاب ذلك فخرج يطلب فلم يرَ شيئًا فرجع إليَّ فناديت: يا أرحم الراحمين.

---

(١) موسوعة رسائل ابن أبـي الدنيا ٤؛ كتاب مجابـي الدعوة ٢٨؛ كتاب الأولياء ٢٤؛ المستغيثن بالله ٨؛ جنة الرضا ٢/١٠٧.

فعل ذلك ثلاثًا، فإذا أنا بفارس على فرس في يده حربة حديد في رأسه شعلة من نار فطعنه بها فأنفذه من ظهره فوقع ميّتًا. ثم قال لي:

لمَّا دعوت المرَّة الأولى: «يا أرحم الراحمين» كنتُ في السماء السابعة فلمَّا دعوت في المرّة الثانية: «يا أرحم الراحمين»، كنتُ في السماء الدنيا فلما دعوت في المرة الثالثة: «يا أرحم الراحمين»، أتيتُك[1].

***

قال صاحب التشوف: حدّثني أبو علي سالم بن سلامة السوسي أن أبا الفضل يوسف بن محمد الحموي لما قدم سجلماسة نزل مسجد ابن عبد الله ليدرس أصول الدين وأصول الفقه فمر عليه عبد الله بن بسام وكان من رؤساء البلد فقال: ما العلم الذي يقرئه هذا الإنسان؟ فقيل له: أصول الدين وأصول الفقه، وكانوا قد اقتصروا على علم الرأي. فقال: أرى هذا أراد أن يدخل علينا علومًا لا نعرفها. فأمر بإخراجه من المسجد. فقام أبو الفضل من مكانه ثم قال له: أمت العلم، أماتك الله ههنا.

وكانت عادة أهل البلدان أن يعقدوا أنكحتهم بالسحر في المسجد. فكلم قوم عبد الله بن بسام أن يحضر لهم لعقد النكاح صبيحة اليوم الثاني، فأسحر وقعد بالمكان الذي دعا عليه فيه أبو الفضل فمرت به من صنهاجة قبيلة من ملوانة فقتلوه بالرماح.

فتوجه أبو الفضل إلى فاس فنزل في عقبة ابن دبوس القاضي، فجرى له مع أهل فاس مثل ما جرَى له مع أهل سجلماسة ولقي من ابن دبوس مثل ما لقي من ابن بسام. فدعا على القاضي المذكور فأصابته أكلة في قرن رأسه فانتهت إلى حلقه فمات.

---

(١) المستغيثون بالله ١٩/ ١٠.

ويقال: أن أول ما أنكره على أهل سجلماسة أنه جاء إلى المسجد فأراد أن يصلي في موضع منه فقيل له: هذا موضع أبـي فلان، فجاء إلى موضع آخر فقيل له كذلك. فقال: ما ظننت أن مثل هذا يكون في بيوت الله تعالى.

وحدثني ابن أبـي القاسم عن أبـي علي سالم قال: لما دخل أبو الفضل سجلماسة أمر أن ينزل في دار قريبة من الحمام بعيدة من المسجد. فأنكروا عليه ذلك وسألوه فقال: خطاي إلى الحمام، في حق بدني، فأريد أن تكون قليلة، وخطاي إلى المسجد فيها الأجر، فأريد أن تكون كثيرة.

وحدثني محمد بن علي بن عبد الله الأنصاري عن عبد الله بن عثمان عن ابن حرزهم أن أبا الفضل لما أغار عليه ابن دبوس وعزم على الخروج من فاس قطع الليلة التي عزم على الخروج في صبيحتها بسجدة واحدة دعا في آخرها فقال: اللهم عليك بابن دبوس. فأصبح القاضي ميتًا.

سمعت أبا موسَى عيسى بن عبد العزيز الجزولي يحدث بهذا الحديث فقال: لما خرج أبو الفضل من فاس شيعه تلامذته وفيهم ولد القاضي، فأمره بالرجوع وقال له: ارجع لتحضر جنازة أبيك، فرجع فوجد القاضي ميتًا[1].

* * *

قال عبد الله بن الحسين بن زيد بن علي بن الحسين بن علي: سمعت أبـي يقول: اللهم إن هشامًا رضي بصلب زيد فاسلبه ملكه، وإن يوسف بن عمر أحرق زيد فسلط عليه من لا يرحمه، اللهم فأحرق هشامًا في حياته إن شئت وإلاَّ فأحرقه بعد موته.

قال: فرأيت والله هشامًا محرَّقًا لما أخذ بنو العباس دمشق، ورأيت يوسف بن عمر بدمشق مقطعًا على كل باب من أبواب دمشق منه عضوًا.

---

(١) التشوف إلى رجال التصوف ٩٨.

فقلت: يا أبتاه، وافقت دعوتك ليلة القدر، فقال: يا بني بل صِمت ثلاثة أيام من شهر رجب، وثلاثة أيام من شعبان، وثلاثة أيام من رمضان، كنت أصوم الأربعاء والخميس والجمعة، ثم أدعو عليهما من صلاة العصر يوم الجمعة حتى أصلي المغرب(١).

* * *

عن محمَّد بن راشد، قال: جاء رجل إلى عَبْد الله بن جعفر عليه السلام، فقال: يا ابن رسول الله هذا حَكِيْم الكلبي ينشد الناس بالكوفة هجاءكم قال: هل علقت منه شيء؟ قال: نعم، فأنشده:

صَلَبْنا لكم زيدًا على جذع نخلة ... ولم يُر مهديًا على الجذع يُصْلَب

وقِستُم بعثمان عليًا سفاهةً ... وعثمانُ خيرٌ من عليٍّ وأَطْيَبُ

فرفع عبد الله يديه إلى السماء وهما ينتفضان رعدة، فقال: اللهم إنْ كان كاذبًا فسلّط عليه كلبًا، قال: فخرج حَكِيم من الكوفة فأدلج فافترسه الأسد فأكله، وأتى البشيرُ عَبْد الله وهو في مسجد رسول الله ﷺ فخرّ لله تعالى ساجدًا وقال: الحمد لله الذي صَدَقَنَا وعده(٢).

* * *

ذكروا أن عُمَر بنَ الخَطَّابِ رضي الله عنه كان جالسًا في مَجْلِس مُحْتَفِلٍ، وقد اجتمع عنده مالٌ من مالِ اللّـهِ عزَّ وجلَّ كثيرٌ، وقد جمع النّاسَ لِيَقْسِمَه فيهم، إذا هُو بِرَجُلٍ أعمَى أعرجَ، يقوده قائدٌ له، فجعل يَجْبِذُ قائده ويعنُفُ عليه ويُعنِّيه، فعجب عمر من زمانته وشدَّته على قائده، فقال لبعض جلسائه: من هذا؟ فقالوا: آبنُ صَبْغاءَ البَهْزِيُّ، أما تَعرفه يا أمير المؤمنين؟ قال: لستُ

---

(١) نسمة السحر ٢/ ١٨٦.

(٢) تاريخ دمشق ١٥/ ١٣٤.

اعرِفُه، فما شأنُه؟ قالوا: إنَّ ابنَ بُرَيْقٍ بَهلَهُ. فقال: ابنُ بُرَيقٍ لَقبٌ؟ قالوا: أجَلْ، هُو عِياضُ بنُ خُوَيْلدٍ الهُذَلِيُّ.

قال عمر رضي الله عنه لبعض جلسائه: ادْعُ لي عِياضًا. وعياضٌ يومَئِذٍ بالمدينة. فلمَّا أتاهُ قال له: حَدِّثْني حَدِيثك وحديثَ ابن صَبْغاء. قال: ذلك شيء كان في الجاهليَّة، فلا تسألني عنه اليومَ. قال: ذاك أحْرَى أنْ تُحدِّثنا عنه في الإسلام. قال: كان بنو صَبْغاء رَهْطًا جَرِمَةً، وكنتا جارًا لهُمْ، وكانوا يظلمونني ويُؤذونني، فأمْهَلْتُهم حَتَّى دخل الشَّهرُ الحَرَامُ، وهو ذُو القَعْدَة، وكان الناسُ لا يَدْعُو بعضُهم على بعضٍ إلاَّ فيه، فقمتُ قائمًا فبَهَلْتُهم فقلت:

يَـا رَبِّ أدْعُــوكَ دُعَــاء جَـاهِـدًا　　أقْتُــلْ بَنِــي صَبْغَــاء إلاَّ واحِــدًا

ثُـمَّ اضْـرِبِ الـرِّجْـل فَـدَعْـهُ قَـاعِـدًا　　أعْمَـى إذَا قِيـدَ يُعَنِّـي القَـائِـدَا

فاضْطُلِمُوا، وبَقِيَ هذا يَفعلُ ما تَرى. قال عمر: هذا واللَّهِ العَجَبُ.

فقال رجلٌ آخرُ: ألاَ أُحَدِّثُك بأعجَبَ من هذا يا أمير المؤمنين أو بمثله؟ قال: وما هو؟ قال: حَيٌّ من هُذيلٍ بَادُوا، وبَقِيَ منهم رجلٌ فحازَ مَوَارِيثَهم، ثم سَار بها حتى جَاوَرَ بها بني مُؤَمِّلٍ، حَيًّا مِنْ هُذَيلٍ آخرَ، في عَدَدٍ وثَرْوة، فجعلوا يَظلمونه ويَبْغُون عليه في ماله، وجعل يناشدُهم الله عزَّ وجلَّ ولا يَرْعَوُون، ومنهم رَجلٌ يُقالُ له رِيَاحٌ، لمَّا رَأى ما يَصْنَعُ قَوْمُه بِجارِهم قال: يا قَوْمِ، إن هذا لا يحلُّ لكمَ في دينكم، ولا يَجْمُلُ بكم في أعْراضكم، فانْزِعوا عن ظُلم جارِكم وابنِ عمِّكم. فَأَبَوْا عليه، فأمْهَلهم حتى دخل الشهرُ الحَرَام، ونزل الناسُ عُكاظَ، فقام قائمًا فبَهَلَهُم فقال:

يَـا رَبِّ أشْقَـانِـي بَنُـو مُـؤَمَّـلِ　　فَـارْمِ عَلَـى قَفَّـانِهِـمْ بمَنْكَـلِ

بِصَخْـرَةٍ أوْ عَـرْضِ جَيْشٍ جَحْفَـلِ　　إلاَّ رِيَـاحًـا إنَّـهُ لَـمْ يَفْعَـلِ

فضَربَ الدهرُ من ضَرْبه، ثم أقبَلُوا حتى نَزلوا شِعبًا من شِعابِ نَجْدٍ،

فضَربوا به الأخْبِيَةَ، فبينما هم مُطمَئِنُّون، إذْ قَضَّ الله عزَّ وجلّ عليهم صَخْرةً من سَواء الجَبَل في الليل، فجعلت تَقُضُّ الحِجَارة، وجعلت الحجارة يَقُضُّ بعضُها بعضًا، حتى مرَّتْ بأبياتهم فأرْمَدَتهم إلاّ خِباء رِياحٍ لم يَدْنُ منه حَجرٌ.

قال عمرُ رضي الله عنه: هذَا واللّـهِ العَجَبُ!

فقال رجل من القوم: ألا أحَدِّثك يا أمير المؤمنين بأعجبَ من هذا أو بمثله؟ قال: ما هو؟ قال: قيسُ بنُ العَجْوةِ الهُذليُّ، ظَلمه أبو تُقَاصِفَ الخناعيُّ، فقال: يا أبا تُقاصِفَ، أنْصِفْني مِن نَفْسِك وأعْطِني الحقّ. فقال: واللّـهِ لا أنْصِفك من نفسي ولا أعطيك الحقّ!

فأمهَله قيسُ بنُ العَجْوة حتى دخل الشهرُ الحرام، ونزل الناسُ عُكاظَ، فقام قائمًا فبَهله فقال:

يَـا رَبَّ كـلِّ آمِـنٍ وَخَـائِـفِ ... وَسَـامِعًـا تَهْتَـافَ كُـلِّ هـاتِـفِ

إنَّ الخُنَـاعِـيَّ أبَـا تُقَـاصِـفِ ... لَـمْ يُعْطِنِـي الحَـقَّ وَلَـمْ يُنَـاصِـفِ

فَـاقْتُلْـهُ بَيْـنَ أهْلِـهِ الألاطِـفِ ... فِـي بَطْـنِ كَـرٍّ فـي صَعِيـدٍ رَاجِـفِ

بَيْـنَ قَنَـانِ العَـاذِ وَالنَّـوَاصِـفِ

فضرب الدهرُ من ضَرْبه، فأقبلَ أبو تُقاصِفَ، ومعه بنونَ له أربعةٌ وإخوةٌ تسعةٌ، يَحْفرون كرًّا في المكان الذي سَمَّى قيسُ بنُ العَجْوةِ، فكان قبرًا لهم، و «الكرُّ»، القَليبُ في الوادي، فإن لم يكن في وادٍ فليس بكَرّ.

فقام رجل آخرُ فقال: ألا أحدِّثك بأعجب من هذا أو بمثله يا أميرَ المُؤمنين؟ قال: وما هو؟ قال: رجلٌ من جُهَينة جَاوَرَ بني ضَمْرَةَ، وكان للضَّمْرِيِّينَ ابنُ أختٍ خبيثٌ خاربٌ، يقال له «ريشَةُ»، لا يزالُ يَعْدو على الجُهَنِيِّ فيأخذ له الشاةَ أو البعيرَ، فاسْتَنْهَى الجهنيُّ منه أخْوَاله، فقالوا: اَقْتُله فقد خَلَعْنَاه، واللّـهِ لا تُتبَعُ بشيء مِن دَمِه! فمَكُثَ غير كثيرٍ، ثم عَدَا عليه ذاتَ يومٍ

فأخذ بَكْرَةً له خيارًا، فأوْلَجها شُعْبَةً من الوادي فَنَحرها، فَفقدَها الجُهنيُّ، فانطلَق يَقُصُّ أثرها حتى وجدَها بأعْلَى تِلك الشُّعْبَةِ مَنْحورةً، فرجع مَغِيظًا، فرفع يدَيْه إلى اللَّـهِ تباركَ وتعالى يقول:

أَصَـادِقٌ رِيشَـــةُ يَـــالَ ضَمْـــرَهْ ... أنْ لَيْـــسَ لِلَّـــهِ عَلَيْـــهِ قُـــدْرَهْ
أَمَـــا تَـــزَالُ شَـــارِفٌ أوْ بَكْـــرَهْ ... يَطْعَـــنَ مِنْهَـــا فِـــي سَـــوَاءِ الثُّغْـــرَهْ
يَـــا رَبِّ إنْ كَـــانَ مُعِـــدًّا فَجْـــرَهْ ... فَـــاجْعَـــلْ أَمَـــامَ العَيْـــنِ مِنْـــهُ جَـــدْرَهْ
تَـــأْكُلُـــهُ حِيـــنَ يُـــوَافِـــي الجَمْـــرَهْ

قال: فرمى اللَّـهُ عزَّ وجلّ أمام عينيه مثل النَّبِقة. قال: وخَرَجْنا حُجَّاجًا، فقَفَلنا وقد مات من تلك الجَدْرةِ، وكانت الآكِلَة.

فقال عمر رضي الله عنه: وهل تدرون كيف كان يُعَجَّلُ لهم النَّصْرُ وإجابةُ الدَّعوةُ إذا دَعَوا؟ قالوا: أنت أعلمُ يا أمير المؤمنين. قال: فإني قد علمت أنَّ ذلك إنَّما كان يكون أنَّ القوم لم يكونوا يَرْجُون جَنَّةً ولا يخافون نارًا، ولا يَعرفون بَعْثًا ولا قِيامةً، فَكان الله عز وجلّ يُعَجِّل لهم النَّصْرَ في دُنياهم، ويَستجيب للمظلوم على الظَّالم، ويدفعُ بذلك بعضَهم عن بعضٍ، فلما جاء اللَّـهُ عزَّ وجلّ بالإسلام، وجاء بالبيِّنات، أخرَهم إلى يوم الفَصْل، فقال جلَّ وعلا: ﴿إِنَّ يَوْمَ ٱلْفَصْلِ مِيقَـٰتُهُمْ أَجْمَعِينَ ۝٤٠﴾ [الدخان: ٤٠]، قالوا: صدقت يا أمير المؤمنين[(١)].

* * *

* يروى أن بني العجلان وفدوا على عمر رضي الله عنه فاستعدَوه على النجاشي فقال: ما الذي قال فيكم؟ فأنشدوا:

---

(١) شرح أشعار الهذليين ٢/٩٠٣؛ مجموعة رسائل ابن أبي الدنيا ٤/٢٦؛ فصل المقال ص ٤٦٤؛ البرّ والصلة ص ١٦٣؛ البيان والتبيين ٣/٢٧٦؛ لطائف المعارف ص ٢٣٣؛ تاريخ دمشق ٤٥/ ٨١؛ محاضرات الأدباء ١/ ٢١٧؛ نهاية الأثر ٦/ ٤٠.

إذا الله عــادى أهــلَ لــؤم ودقّــة   فعادى بني العجلان رهطَ ابن مقبلِ

فقال: إن كان مظلومًا استجيب له، وإن كان ظالمًا لم يستجب له.

فأنشدوا:

قبيلــــة لا يَغْـــدِرون بـــذمـــة   ولا يظلمـــون النـــاس حبـــةَ خَـــرْدلِ

فقال: هذه صفة قومٍ صالحين ليتني كنتُ منهم.

فأنشدوا:

ولا يـــــردون المـــــاءَ إلاّ عشيـــة   إذا صـدرَ الـورّادُ عــن كــل منهــلِ

فقال: ذاك أخفّ للزحام.

فأنشدوا:

ومــا سمّــيَ العجــلان إلاّ لقــولِهـم: خذ القعبَ واحلب أيها العبد واعْجَلِ

فقال: سيدُ القوم خادِمهم.

فأنشدوا:

تعافُ الكِلابُ الضارياتُ لحومَهم   وتــأكــلُ مــن كعــب وعمــرو ونهشــلِ

فقال: وصَفَكُم بأنكم أحرزتم موتاكم.

فقالوا: ليس لك معرفةٌ بالهجو يا أمير المؤمنين. فابعث إلى حسّان. فبعث إليه. فلما أنشدوه الأبيات قال: ما هجاهم يا أميرَ المؤمنين، ولكن سَلَح عليهم[1].

* * *

---

(١) حماسة الظرفاء ٢/ ١٣٠؛ تاريخ دمشق ٤٩/ ٤٧٥؛ المجالسة ٣/ ٣٦٠؛ وحماسة الشجري ١/ ٤٥٣؛ وفيهما تخريج أكثر.

قال الأصمعي: قال أبو العالية: نزل الكروَّسُ الهُجَيْمِيُّ بشيخ من بني الهُجَيْم يقال له عَوْفٌ، فأكرمه وأحسن قِراه، فغدا يهجوه فقال:

لَـوْ كَـانَ عَـوْفٌ مُجْـرِبًـا لَعَـذَرْتُـهُ ... وَلَكِـنَّ عَـوْفًـا ذُو حَليبٍ وَرَائِـبِ

لَـدَى رَوْضَـةٍ قَـرْحَـاءَ بَـرْقَـاءَ جَـادَهَـا ... مِنَ الدَّلْوِ وَالْوَسْمِيِّ طَلٌّ وَهَاضِبُ

كَـأَنَّ الـذُّبَـابَ الأَزْرَقَ الحَمْـشَ وَسْطَهَـا

إِذَا مَـا تَغَنَّـى بِـالْعَشِيَّـاتِ شَـارِبُ

عُقَـارًا غَـذَاهَـا الْبَحْـرُ مِـنْ خَمْـرِ عَـانَـةٍ ... لَهَا سَوْرَةٌ فِي رَأسِهِ ذَاتُ صَالِبِ

إِذَا الضَّيْـفُ أَلْقَـى نَعْلَـهُ عَـنْ شِمَـالِـهِ ... طُرُوقًا وَصَلَّى كَفَّ أَشْعَثَ سَاغِبِ

رَأَى آنفًـا دُغْمًـا قِبَـاحًـا كَـأَنَّهَـا ... مَقَـادِيـمُ أَكْيَـارِ ضِخَـامِ الأَرَانِـبِ

تَحَـوَّزُ مِنِّـي أُمُّهُـمْ أَنْ أُضِيفَهَـا ... كَمَا انْحَازَتِ الأَفْعَى مَخَافَةَ ضَارِبِ

أُنَـاسٌ يَبِيـتُ الضَّيْـفُ قُـدَّامَ أَهْلِهِـمْ ... مُكِبًّـا تَخَطَّـاهُ عِظَـامُ الْمَحَـالِـبِ

وَلاَ يَسْتَـوِي الآبَـاءُ: لِلضَّيْـفِ آنِـسٌ ... كَـرِيـمٌ وَزَاوٍ بَيْـنَ عَيْنَيْـهِ قَـاطِـبُ

لَهُـمْ وَجْبَـةٌ عِنْـدَ الـدَّخِيـلِ إِذَا رَمَـى ... بِهِ اللَّيْلُ فِي غَبْرَاءَ طُلْسِ الْكَوَاكِبِ

قال: فبلغ الشعرُ عوفًا، وكان مُفْحَمًا، فقال: اللّهُمَّ إني لا أقول الشعر، وقد هجاني ظالمًا، فانصُرني.

فلم ينم حتى قال الشعر، فقال:

عَلَـى كُـلِّ مَـنْ حَـلَّ اللِّـوَى لِكَـرَوَّسٍ ... مِـنَ النَّـاسِ حَـقٌّ فِـي النِّـزَالَـةِ وَاجِـبُ

إِذَا مَـا غَـدَا مِـنْ أَهْلِـهِ نَحْـوَ ضَيْفِـهِ ... إِلَـى الْجِيـرَةِ الأَدْنَيْـنِ لاَ بُـدَّ آيِـبُ

جَـرِيءٌ عَلَـى قَـرْعِ الأَسَـاوِدِ وَطْـؤُهُ ... سَمِيعٌ بِزِرِّ الْكَلْبِ وَالْكَلْبُ نَاصِبُ

إِذَا أُوقِـدَتْ نَـارٌ لَـوَى جِلْـدَ أَنْفِـهِ ... إِلَى النَّارِ يَسْتَنْشِي ذَرَا كُلِّ حَاطِبِ

فَقُلْنَـا: أَمِـنْ قَبْـرٍ خَـرَجْـتَ سَكَنْتَـهُ ... لَكَ الوَيْلُ أَمْ أَدْمَنْتَ جُحْرَ الثَّعَالِبِ

فَقَـالَ: أَصَـابَتْنِـي مِـنَ الْعَـامِ لَـزْبَـةٌ ... وَهُنْتُ فَلَمْ أُنْكِرْ عَلَى أُمِّ صَاحِبِ

يَـرُدُّ عَلَـى كَفَّيْـهِ أَخْـلاَقَ شَمْلَـةٍ ... لَـهُ جَـانِـبٌ مِنْهَـا وَلِلـرِّيـحِ جَـانِـبُ

يَحُكُّ كُدُوحَ الْقَمْلِ تَحْتَ لَبَانِهِ ... وَدَفَّيْهِ مِنْهَا دَامِيَاتٌ وَجَالِبُ
فَأَبْرَزَ طَاهِينَا لَهُ هَجَرِيَّةً ... وَفِي كَيْلِهَا بِالْقَنْقَلِ الْمُتَرَاغِبِ
وَجِئْنَا بِشِيزَى مِنْ حَمِيزٍ نَبِيلَةٍ ... تُدَاوِي دَخِيلَ الْجُوعِ مِنْ كُلِّ سَاغِبِ
فَلَمَّا وَضَعْنَاهُ أَمَامَ لَبَانِهِ ... تَبَسَّمَ عَنْ مَكْرُوهَةِ الرِّيقِ عَاصِبِ
كَأَنَّ ضَغِيبَ الْمَحْضِ فِي حَاوِيَائِه ... مَعَ التَّمْرِ أَحْيَانًا ضَغِيبُ الأَرَانِبِ(١)

* * *

قال أبو عَبد الله الحافظ، سَمعت الصَفَّار مُحمَّد بن عَبد الله الأصْبَهَاني يدعو في مَسجده، وَهوَ رافع باطن كفيه إلى السماء، وَهوَ يَقول: يَا رَب إنَّك تعلم أن أبَا العَبَّاس المصْري ظلمني، وَخَانني وَحَبَس عني أكثر من خمسمائة جزء من أصُولي، اللَّـهُمَّ فلا تنفعه بتلك وَبسَائر مَا جَمعَه من الحَديث، وَلا تبارِكْ له فيه.

وكان أبو عَبد الله مُجابُ الدعوة، وكان السبَب في مَوجَدته عَلى أبي العَباس المصْري وَرَّاقه أنه قال له: اذهب إلى أبي العباس الأصمّ، وَقلْ له: قد حَضرت مَعَك وَمَع أبيْك قراءة كتاب الجامع للثوري ــ مجلس أسَيد بن عاصم ــ وقد ذهب كتابي، فإن كان لي في كتابك سَمَاعٌ بخطّي فأخرجه إليّ حَتَّى أنسخه، فذهبَ فقال أبُو العَباس: السمع وَالطَّاعة، وأخرَج الكتابَ في أرْبَعة أجزاء بخطّ يَعقوب، وَسَماع أبي عَبد الله فيه بخطه، فدَفعه إلى أبي العَباس فأخذه ووَضَعه في بيته، ثم جَاء إلى أبي عَبد الله فقال: إن الأصمّ رَجُلٌ طمَّاع، قد أخرَج سَماعك بخطك في كتابه، وَلم يَدفعه إليّ، قال: لِمَ؟ قال: يَقُول إني لا أدفع هذا السماع إليه حَتَّى يَحمل إليّ خَمسة دنانير.

وَكَانَ أبو عَبد الله قد تراجَع أمْره ونقصت تجارته، فبلغني أنه باع شيئًا من

---

(١) الفصوص ٥/ ٢٢٣.

مَنزله فدَفع إلى أبـي العَبَاس خمسة دنانير، فأخذها وحمل الكتاب إليه، ثم أنهما جميعًا دعيا على أبـي العباس، فاستجيبت دعوتهما فيه.

ثم بَعد ذلك كان أبو عَبد الله يجَامل أبَا العبَاس ويجهدَ في استرجاع كتبه منه فلم يقدر عليه، وكاد أبُو العَباسُ يفوِّتنا حَديث أبـي عَبد الله الصَّفار فذهَبت أنا إلى أبـي مُحمَّد عَبد الله بن حَامد الفقيه، فقلت له: إن هَذا الرَجل قد فوتنا هَذا الشيخ، وَهو يجَامله بسبب كتبه عنده، وَنحن نعلم أنه لا يفرج قط عن جزء من أصوله، وإن قُتل، فإن الشيخ أبا بكر بن إسحَاق حَبَسَه ولَم يقدر عَلى استرجاع الكتب. فلو نصبتَ أبَا بكر السَاوي الوَرَّاق مكانه ليسمع الناسُ مَا بقي عنده من الكتب.

وكان أبُو عَبد الله الصَّفار يَحمل أبا محمد بن حَامد محمل الوَلد، وكان أبُو محمَّد يخاطبه بالعَم، فقصدَه ونَصَحَه فقبل نصيحته، ونَصبت أبا بكر السَاوي مكانه، وَعَقَد أبو بكر في الأسبوع بضعة عشر مَجْلسًا بالغدَوات وَبَعد الظهر وَالعشاء، وانتفعَ الناسُ بمَا بقي عندَ أبـي عبد الله، وكَان لا يقعد وَلا يَقوم إلَّا وَيبكي ويَدعُو عَلى أبـي العَباس، فإن عيُون كتبه كانت عنده، وَلم يقرأ قط حَديثًا وَاحدًا من كتب الناس.

وَإنما قصَصت هَذه القصة ليعتبر المُستفيد به ولا يتهاون بالشيوخ، فإن مَحل أبـي العَباس المَصري من هَذه الصنعة كان أجَلّ مَحلٍّ، وذَهب علمه وسَاءتْ عاقبته بدعاء ذلك الشيخ الصَّالح عَليه(١).

* * *

ذكر أبو الفرج الكاتب الأصبهاني: أن أخت عمرة حميدة بنت النعمان بن بشير، كانت زوج رَوْح بن زنباع الجذامي وزير عبد الملك بن مروان وكان

---

(١) تاريخ دمشق ٥/ ٤٣٧؛ طبقات الفقهاء الشافعية ١/ ١٨١.

أسودًا ضخمًا، وقالت له يومًا: كيف تَسود وفيك خصلتان مذمومتان، أنت من جُذام، وأنت غيور، فقال: يا هذه أما إني من جُذَام فأنا من أشرافها وحسب الرجل أن يكون في بيت شرف قومه، وأما الغيرة فمن المروءة أن يغار الإنسان على المرأة الورهاء الحمقى مثلك خشية أن تأتي بولد من غيره فترميه به.

وقيل: عيَّرته بثلاث خصال منها السواد، فأجابها عنه بأن المسك أسود.

ولها فيه:

بكى الخَزُّ من رَوْح وأنكر جلده وعَجَّتْ عَجيجًا من جُذَامَ المَطارِف
وقال العَبَا قد كُنت قدمًا لباسَهم وأكسيةٌ كُرْدِيَّةٌ وقَطائفُ

وكان ربما ضجر منها فيدعو عليها بقوله: بلاك الله برجل يملأ خدّك لطمًا وحجرك قيئًا، ثم طلقها، فتزوّجها الفَيْض بن محمد بن أبي عقيل الثقفي، وكان شابًا يصيب من الشراب فأحبّته، وكان ربما سكر فتقيأ في حجرها ولطمها، فقالت فيه:

سُمِّيت فَيضًا وما شيءٌ تَفيضُ بهِ إلاَّ بِسَلْحِكَ بين البابِ والدارِ
فتلك دعوةُ رَوْح الخيرِ أعلَمُها سقَى ثراهُ الإلهُ الأَوْطَفَ السَّارِي(١)

* * *

حَدَّث الحسن بن علي رضي الله عنهما:

بينما أنا أطوف مع أبي حول البيت في ليلة ظلماء، وقد رقدت العيون، وهدأت الأصوات، إذ سمع أبي هاتفًا يهتف بصوت حزين شجي وهو يقول:

يا من يجيب دعا المضطر في الظلم يا كاشف الضر والبلوى مع الألم
قد نام وفدك حول البيت وانتبهوا دعوا وعينك يا قيوم لم تنم

(١) نسمة السحر ١/ ٣٩٤؛ الأغاني ٩/ ٢٣٢ و ١٦/ ٥٤.

هب لي بجودك فضل العفو عن جرمي

يا من أشار إليه الخلق في الحرم

إن كان عفوك لم يدركه ذو شرف فمن يجود على العاصين بالكرم

قال: فقال أبي: يا بني أما تسمع صوت النادب لذنبه المستقيل لربه؟! الحقه، فلعل أن يأتني به. فخرجت أسعى حول البيت أطلبه فلم أجده حتى انتهيت إلى المقام، فإذا هو قائم يصلي، فقلت: أجب ابن عم رسول الله ﷺ. فأوجز في صلاته، واتبعني، فأتيت أبي فقلت: هذا الرجل يا أبه، قال له أبي: ممن الرجل؟ قال: من العرب. قال: وما اسمك؟ قال: منازل بن لاحق. قال: وما شأنك وما قصتك؟ قال: وما شأن من أسلمته ذنوبه وأوثقته عيوبه، فهو مرتطم في بحر الخطايا. فقال له أبي على ذلك: فاشرح لي خبرك. فقال له: كنت شابًا على اللهو والطرب لا أفتق عنه، وكان لي والد يعظني كثيرًا ويقول: يا بني احذر هفوات الشباب وعثراته، فإن لله سطوات ونقمات ما هي من الظالمين ببعيد، وكان إذا ألح علي بالموعظة فأوجعته ضربًا حلف بالله مجتهدًا ليأتين بيت الله الحرام فيتعلق بأستار الكعبة، ويدعو علي، فخرج حتى انتهى إلى البيت فتعلق بأستار الكعبة وأنشأ يقول:

يا من إليه أتى الحجاج قد قطعوا عرض المهامه من قرب ومن بعد

إني أتيتك يا من لا يخيب من يدعوه مبتهلاً بالواحد الصمد

هذا منازل لا يرتد عن عققي فخذ بحقي يا رحمان من ولدي

وشل منه بحول منك جانبه يا من تقدس لم يولد ولم يلد

قال: فوالله ما استتم كلامه حتى نزل بي ما ترى، ثم كشف عن شقه الأيمن فإذا هو يابس، قال: فأتيت ورجعت ولم أزل أترضاه وأخضع له، وأسأله العفو عني إلى أن أجابني أن يدعو لي في المكان الذي دعى عليَّ فحملته على ناقة عشراء وخرجت أقفو أثره، حتى إذا صرنا بوادي الأراك طار طائر من

شجرة فنفرت الناقة فرمت به بين أحجار فرضخت رأسه فمات فدفنته هناك، وأقبلت آيسًا، وأعظم ما بـي ما ألقاه من التعيير أني لست أعرف إلّا بالمأخوذ بعقوق والده.

فقال له أبـي: أبشر فقد أتاك الغوث. فصلّى ركعتين ثم أمره فكشف عن شقه بيده ودعا له مرات يرددهن فعاد صحيحًا كما كان، وقال له أبـي: لولا إنه قد كان سبقت إليك من أبيك في الدعاء لك بحيث دعا عليك لما دعوت لك، قال الحسن: وكان أبـي يقول لنا: احذروا دعوة الوالدين فإن في دعائهما النماء والانجبار، والاستيصال والبوار(1).

* * *

ذكر القاسم بن أحمد في كتاب العبَّاد من تأليفه قال: أخبرني أبو عبد الله بن الطويل، قال: كان لشيبان الزاهد رحمه الله جار يعرف بابن الصيقل، وكانت له دار تلاصق دار إبراهيم بن عيسى بن حيويه الفقيه، فسأله بيعها فأبـى عليه وقال له: إنَّ مالك غير طيِّب، وهذه دويرة حلال ورثتها عن أبـي وجديّ.

فألحّ عليه في بيعها فأبـى. فقال له: والله لئن لم تأخذ الثمن فيها، لأضيقنّ عليك فيها حتى تفرّ منها.

قال له: أرجو أن الله يرفع عني ضرّك بدعاء الإخوان.

قال: نعم إذا أردت أن تدعو الله، فاجتمع بشيبان وحسَّان، وادعوا الله في

(1) نزهة المجالس ١/ ٢٠٢، رسائل ابن أبـي الدنيا ٤/ ٦٠، عيون الأخبار ٣/ ٨٦؛ الرقة والبكاء ٢٧٤، وقال المحقق: عبد الله بن سعيد الرقي قال الذهبـي: كذبه الدارقطني، وقال: كان يضع الحديث. ويزيد بن سنان هو ابن يزيد التميمي أبو فروة الرهاوي قال في التقريب: ضعيف، وأبوه مجهول.

تلك الصومعة، فإنها أقرب إلى الله تعالى.

فقال: كذلك نفعل إن شاء الله تعالى.

فنهض الرجل من وقته إلى شيبان وحسَّان، رحمهما الله فأعلمهما بمقالة ابن حيُّويه، فقالا: نعم، كذلك نفعل إن شاء الله تعالى.

فلمَّا أتى الليل، باتوا في الصومعة وصلُّوا ودعوا، فلمَّا كان في السحر، سمعوا صراخًا وبكاءً، فإذا بابن حيُّويه قد مات في ذلك السحر، فأجاب الله دعاءهما فيه، وكفى الله الرجل والمسلمين ضرّه، وانتشر هذا الخبر بمدينة قرطبة حديثًا يذكر إلى وقتنا هذا(١).

* * *

عن ابن عباس، قال:

دعا رجل على ابن عمّ له، استرق ذودًا له، فخرج يطلبه حتى أصابه في الحرم، فقال: ذودي!

فقال اللصّ: كذبت، ليس الذود لك.

قال: فاحلف.

قال: إذًا أحلف.

فحلف عند المقام: «بالله الخارق رب هذا البيت، ما الذود لك».

فقيل له: لا سبيل لك عليه.

فقام ربّ الذود، بين الركن والمقام، باسطًا يديه يدعو على صاحبه، فما برح مقامه يدعو عليه، حتى ولِه فذهب عقله، وجعل يصيح بمكة: «ما لي وللذود، ما لي ولفلان ربّ الذود»، فبلغ ذلك عبد المطَّلب، فجمع ذوده

---

(١) المستغيثون بالله ص ٥٤.

فدفعها إلى المظلوم، وخرج بها، وبقي الآخر مولهًا حتى وقع من جبل فتردّى، فأكلته السِّباع[1].

* * *

كان ابن وتاب يختلف الناس إليه لدراسة العلم، وكان جليلاً فاضلاً مُجاب الدعوة، وكان رجل سلطاني يضرّ الناس ويكثرون الشكاية عنده، فيدعو في كل مجلس عليه، فبلغ ذلك السلطاني فأتى إليه بحشمه فقال له:

بلغني أنَّك تدعو عليّ وما عليّ من دعائك، فإنَّه لا يضرني ولا يهمُّني، فادعُ بما شئت.

فنظر إليه فقال: يكفيك الله.

فما كان إلاَّ أيام يسيرة إذ أتى طالب من طلبته وهو في مجلسه فقال له: ما عندك خبر؟

فقال: وما هو؟

فقال: فلان السلطاني مذبوح مطروح في مربد بني فلان.

فقال لأصحابه: قوموا بنا إليه حتى نقف عليه.

قال: فنهض، فلمَّا وصل إليه نظره، وأطرق ساعة، وقال شعرًا يعنيه في الحال:

أتَهْزَأُ بالدُّعَاءِ وَتَزْدَرِيهِ ... تَأَمَّلْ فِيكَ مَا صَنَعَ الدُّعَاءُ
سِهَامُ اللَّيْلِ لا تُخْطِي وَلكِنْ ... لَهَا أمَدٌ ولِلأَمَدِ انْقِضاءُ[2]

* * *

---

(١) المستغيثون بالله ص ٥٧.

(٢) المستغيثون بالله ص ٥٦.

عن زاذان أبـي عمر، أن رجلاً حدث عليًا بحديث فقال: ما أراك إلاَّ كذبتني، قال: لم أفعل، قال: أدعو الله عليك إن كنت كذبت. قال: ادع. فدعا فما برح الرجل حتى عمي[1].

* * *

«كان أبو مسلم الخولاني إذا دخل منزله سلم، فإذا بلغ وسط الدار كبر، وكبرت امرأته، قال: فيدخل فينزع رداءه وحذاءه، فتأتيه بطعامه فيأكل.

فجاء ذات ليلة فكبر فلم تجبه، ثم أتى باب البيت فكبر وسلم فلم تجبه. وإذا البيت ليس فيه سراج، وإذا هي جالسة بيدها عود في الأرض تقلب به.

فقال لها: ما لك؟ فقالت: الناس بخير، وأنت أبو مسلم، لو أنك أتيت معاوية فيأمر لنا بخادم، ويعطيك شيئًا نعيش به؟

فقال: «اللَّـٰهُمَّ من أفسد عَلَي أهلي فأعم بصره».

قال: وكانت معها امرأة فقالت لها: أنت امرأة مسلم، فلو كلمت زوجك يكلم معاوية ليخدمكم ويعطيكم.

قال: فبينا هذه المرأة في منزلها، والسراج يزهر، إذ أنكرت بصرها، فقالت: سراجكم طفىء؟ قالوا: لا. قالت: إنا لله، ذهب بصري، فأقبلت كما هي إلى أبـي مسلم، فلم تزل تناشده الله عز وجل وتطلب إليه.

قال: فدعا الله عز وجل، فرد عليها بصرها، ورجعت امرأته إلى حالها الذي كانت عليه»[2].

* * *

(١) موسوعة رسائل ابن أبـي الدنيا ٤/ ٣١.

(٢) مجموعة رسائل ابن أبـي الدنيا ٤/ ٦٧.

عن شداد الأعمى، عن بعض أشياخه من بني راسب، قال:

«كنت أطوف بالبيت، فإذا رجل أعمى يطوف بالبيت وهو يقول: اللَّهُمَّ اغفر لي وما أراك تفعل، قال: فقلت: ألا تتقي الله؟

قال: إن لي شأنًا، آليت أنا وصاحب لي لئن قتل عثمان لنلطمن حر وجهه، فدخلنا عليه، فإذا رأسه في حجر امرأته ابنة الفرافصة، فقال لها صاحبي: اكشفي عن وجهه. فقالت: لم؟ قلت: ألطم حر وجهه.

قالت: أما ترضى ما قال رسول الله ﷺ، قال فيه كذا وكذا، فاستحى صاحبي فرجع. فقلت: اكشفي عن وجهه. قال: فذهبت تعدو علي، فلطمت وجهه.

فقالت: ما لك، يبس الله يدك، وأعمى بصرك ولا غفر لك ذنبك.

قال: فوالله ما خرجت من الباب حتى يبست يدي، وعمي بصري، وما أرى الله يغفر ذنبي»[١].

* * *

عن حميد بن هلال قال: «لما حصر عثمان أتته أم المؤمنين. فجاء رجل فاطلع في خدرها، فجعل ينعتها للناس. فقالت:

«ما له قطع الله يده، وأبدى عورته».

قال: فدخل عليه داخل فضربه بالسيف فألقى يمينه بيمينه فقطعها، فانطلق هاربًا آخذًا إزاره بفيه أو بشماله، باديًا عورته[٢].

* * *

---

(١) موسوعة رسائل ابن أبـي الدنيا ٤/ ٣٢.

(٢) مجموعة رسائل ابن أبـي الدنيا ٤/ ٣٤.

عن طلق بن حبيب قال: «لما قتل عثمان وفدنا وفودًا من البصرة نسأل: فيم قتل؟ فقدمنا المدينة فتفرقنا. فمنا من أتى عليًا، ومنا من أتى الحسن بن علي، ومنا من أتى أمهات المؤمنين.

فأتيت عائشة، فقلت: يا أم المؤمنين، ما تقولين في عثمان؟ قالت: قتل والله مظلومًا، لعن الله قتلته، أقاد به ابن أبي بكر، وأهرق به دماء بني بديل، وأبدى الله عورة أعين، ورمى الله الأشتر بسهم من سهامه»، فما منهم أحد إلَّا أصابته دعوتها»[1].

* * *

«كان رجل من بني أبان بن دارم، يقال له زرعة، شهد قتل الحسين رضي الله عنه، فرمى الحسين بسهم، فأصاب حنكه، فجعل يتلقى الدم يقول: هكذا إلى السماء فيرمي به، وذلك أن الحسين دعا بماء ليشرب، فلما رماه حال بينه وبين الماء.

فقال: «اللَّـٰهُمَّ ظمئه، اللَّـٰهمَّ ظمئه».

قال: فحدثني من شهده وهو يموت، وهو يصيح من الحر في بطنه، والبرد في ظهره، وبين يديه المراوح والثلج، وخلفه الكانون، وهو يقول: اسقوني أهلكني العطش، فيؤتى بعس عظيم فيه السويق أو الماء واللبن، لو شربه خمسة لكفاهم. قال: فيشربه، ثم يعود، فيقول: اسقوني أهلكني العطش، قال: فانقدَّ بطنه كانقداد البعير»[2].

* * *

---

(١) مجموعة رسائل ابن أبي الدنيا ٤/ ٤٣.

(٢) مجموعة رسائل ابن أبي الدنيا ٤/ ١.

حدّث أبو إسحاق، قال: سمعت مسلمًا:

«أن رجلاً أتى حبيبًا أبا محمد، فقال: إن لي عليك ثلاثمائة درهم، قال: من أين صارت لك علي؟ قال: لي عليك ثلاثمائة درهم.

قال حبيب: اذهب إلي غدًا، فلما كان من الليل، توضأ وصلّى، وقال: «اللّٰهُمَّ إن كان صادقًا فأد إليه، وإن كان كاذبًا فابتله في يده».

قال: فجيء بالرجل من غد قد حمل، وقد ضرب شقه الفالج فقال: ما لك؟ قال: أنا الذي جئتك أمس، لم يكن لي عليك شيء، وإنما قلت تستحي من الناس فتعطيني، فقال له: تعود؟ قال: لا.

قال: «اللّٰهُمَّ إن كان صادقًا فألبسه العافية».

قال: فقام الرجل على الأرض كأن لم يكن به شيء»[١].

❊ ❊ ❊

حدثنا إسرائيل بن يونس، وكان جارًا لحبيب أبـي محمد، قال: «كان لنا جار يعبث بحبيب كثيرًا، فدعا حبيب عليه، فبرص»، قال: إسماعيل: «فأنا والله رأيته أبرص»[٢].

❊ ❊ ❊

عن علي بن زيد بن جُدعان قال:

«كنت جالسًا إلى سعيد بن المسيب، فقال: يا أبا الحسن، مر قائدك فيذهب بك، فينظر إلى وجه هذا الرجل وإلى جسده.

فانطلق، فإذا وجهه وجه زنجي، وجسده أبيض. فقال سعيد: إني أتيت

---

(١) مجموعة رسائل ابن أبـي الدنيا ٤/ ٨٧.

(٢) مجموعة رسائل ابن أبـي الدنيا ٤/ ٨٤.

على هذا وهو يسب طلحة والزبير وعليًا عليهم السلام، فنهيته، فأبى، فقلت: إن كنت كاذبًا فسوَّد الله وجهك، فخرجت من وجهه قرحة فاسود وجهه»(١).

❊ ❊ ❊

«كان رجل من الخوارج يغشى مجلس الحسن البصري فيؤذيهم، فقيل للحسن: يا أبا سعيد، ألا تكلم الأمير حتى يصرفه عنا؟ قال: فسكت عنهم.

قال: فأقبل ذات يوم والحسن جالس مع أصحابه، فلما رآه قال: «اللَّـٰهُمَّ قد علمت أذاه لنا، فاكفناه بما شئت».

قال: فخر الرجل والله من قامته، فما حل إلى أهله إلاَّ ميتًا على سرير. فكان الحسن إذا ذكره، بكى، وقال للناس: ما كان أغره بالله»(٢).

❊ ❊ ❊

روى ابن الجوزي عن بعض خدم المعتضد قال: كان المعتضد يومًا نائمًا وقت القائلة ونحن حول سريره، فاستيقظ مذعورًا ثم صرخ بنا فجئنا إليه فقال: ويحكم اذهبوا إلى دجلة فأول سفينة تجدوها فارغة منحدرة فأتوني بملاّحها واحتفظوا بالسفينة، فذهبنا سراعًا فوجدنا ملاحًا في سميرية فارغة منحدرًا فأتينا به الخليفة فلما رأى الملاّح الخليفة كاد أن يتلف، فصاح به الخليفة صيحة عظيمة فكادت روح الملاح تخرج، فقال له الخليفة: ويحك يا ملعون، أصدقني عن قصتك مع المرأة التي قتلتها اليوم وإلاَّ ضربت عنقك.

قال: فتلعثم ثم قال: نعم يا أمير المؤمنين، كنت اليوم سحرًا في مشرعتي الفلانية، فنزلت امرأة لم أر مثلها وعليها ثياب فاخرة وحلي كثير وجوهر، فطمعت فيها واحتلت عليها فشددت فاها وغرقتها وأخذت جميع ما

---

(١) مجموعة رسائل ابن أبـي الدنيا ٤/ ٥٨.

(٢) مجموعة رسائل ابن أبـي الدنيا ٤/ ٧٠؛ المستغيثون بالله ٦٤.

كان عليها من الحلي والقماش، وخشيت أن أرجع به إلى منزلي فيشتهر خبرها، فأردت الذهاب به إلى واسط فلقيني هؤلاء الخدم فأخذوني، فقال: وأين حليها؟ فقال: في صدر السفينة تحت البواري.

فأمر الخليفة عند ذلك بإحضار الحلي فجيء به فإذا هُو حلي كثير يساوي أموالاً كثيرة، فأمر الخليفة بتغريق الملاح في المكان الذي غرَّق فيه المرأة، وأمر أن ينادى على أهل المرأة ليحضروا حتى يتسلموا مال المرأة. فنادى بذلك ثلاثة أيام، في أسواق بغداد وأزقتها فحضروا بعد ثلاثة أيام فدفع إليهم ما كان من الحلي وغيره مما كان للمرأة، ولم يذهب منه شيء.

فقال له خدمه: يا أمير المؤمنين من أين علمت هذا؟ قال: رأيت في نومي تلك الساعة شيخًا أبيض الرأس واللحية والثياب وهو ينادي: يا أحمد يا أحمد، خذ أول ملاح ينحدر الساعة فاقبض عليه وقرره عن خبر المرأة التي قتلها اليوم وسلبها، فأقم عليه الحد. وكان ما شاهدتم[1].

* * *

محمد بن مسروق الكندي: من أهل الكوفة ولم يكن بالمحمود في ولايته وكان فيه عنف وتجبر. ومر عليه رجل من عباد مصر فتكلم بالرفق بالناس، فرد عليه بإنكار، فقال الرجل: اللَّـهُمَّ أخرجه من بين أظهرنا، فما مشى الرجل خطوات حتى جاء عن القاضي كتاب من بغداد فأمره بالحضور وعزل[2].

* * *

لما احتضر يحيـى بن معمر بإشبيلية وأيقن بالموت قال لمولى له قد كان صحبه من أهل الخير: «حرجت عليك بالله إلاَّ إذا أنا متُّ أن تذهب إلى قرطبة

---

(١) البداية والنهاية ١١/ ٨٨.

(٢) نزهة النظّار ١١٨.

ثم تقف بفلان بن فلان ــ يعني الذي كان طالبه ــ وتخبره أن يحيى بن معمر توفي، وحرج علي أن أقف بك أخبرك بما أمرني أن أنهيه إليك»، فقال الفقيه: «وما ذلك؟»، قال: «يقول لك يحيى بن معمر: ﴿وَسَيَعْلَمُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ أَىَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ ﴿٢٢٧﴾﴾ [الشعراء: ٢٢٧]، فبكى حتى اخضل لحيته بالبكاء ثم قال: ﴿إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ ﴿١٥٦﴾﴾ [البقرة: ١٥٦]، ما أظن الرجل إلاّ خدعنا فيه ووشى بيننا وبينه»، ثم ترحم عليه واستغفر له[١].

* * *

يحيى بن يحيى الليثي: أثنى عليه وليد بن إبراهيم قال: شهدت يحيى بن يحيى عند الباب الجوفي من الجامع بقرطبة وهو يدعو رافعًا يديه على رجل كان يرفع عليه في آخر أيامه إلى الخليفة عبد الرحمن رحمه الله ويكثر في خبره، قال: فأجيبت دعوة يحيى في جانب الرجل ففلج في إثر دعائه في ذلك اليوم[٢].

* * *

من كتاب العروس: حدّثنا محمد، قال: سمعت شعيب بن واقد يقول: سمعت يزيد بن زريع يحدث: أن رجلاً استودع امرأة مالاً فجحدت، فصام ثلاثة أيام: الأربعاء والخميس والجمعة حتى إذا سلّم الإمام قال:

«اللّٰهُمَّ إنِّي أسألك باسمك لا إلـٰه إلاّ هو، بسم الله الرحمن الرحيم، الحي القيوم، لا تأخذه سِنة ولا نوم، وأسألك باسمك الذي لا إلـٰه إلاّ هو، ملء السموات والأرض، الذي عنت له الوجوه، وخشعت له الأصوات، ووجلت له القلوب من خشيتك إن كانت فلانة كاذبة فأعم بصرها».

---

(١) أخبار الفقهاء والمحدثين ٢٨١.

(٢) أخبار الفقهاء والمحدثين ٢٧٩.

قال: فعميت، فبلغها فردت عليه ماله وقالت: تدعو الله أن يرد عليَّ بصري، فدعا فردّ الله عليها بصرها[1].

* * *

عن أبي جعفر أحمد بن يوسف بن إبراهيم البغدادي المعروف بابن الداية قال: حدَّثني الحسن بن محمد الإقريطشي، لقيته بعد أن علت سِنُّهُ، وبلغ المائة سنة، وهو صحيح التمييز، سليم الحواس، قال:

ألحّ غزاتنا بإقريطش على الروم، ونالوهم بمكروه عظيم، فوجد ملك الروم من هذا، ونذر أن يحارب إقريطش ولو أنفق ذخائر مملكته في حربها، وعمد إلى راهب من أبناء الملوك مجبوب، يتعالم الروم زهادته، فأنزله من متعبده وضمّ إليه أكثر جيوشه، فوافى إقريطش في جمع لم يحط بها مثله قط، ففزعنا إلى غلق أبواب الحصن، وشرع القوم في بناء مسكن لهم، وخرجوا من المراكب، وغلبنا على ميرة البلد، وما يكون في جواره، واشتد بنا الحصار، ونزع السعر، وغلى المأكول، وعم الجهد. ثم زادت المكاره، حتى أكل الناس ما مات من البهائم جوعًا واضطرارًا، وأجمعوا على أن يفتحوا الباب للروم، فقال لهم شيخ من المسلمين:

إني أراكم قد حرمتم التوفيق في قوتكم وضعفكم، فالصواب أن تقبلوا مني ما أشير به عليكم.

قالوا: قل.

قال: توبوا إلى الله عزّ وجل من قبيح ما حملكم عليه تظاهر النّعم وطول السلامة، والزموا ما يكون رباطًا لها وقائدًا إلى حسن المزيد منها، وأخلصوا له

(١) المستغيثون بالله ٩٩.

إخلاص مَن لا يجد فرجة إلاَّ عنده، وافصلوا صبيانكم من رجالكم، ورجالكم من نسائكم.

فلمَّا ميَّزهم هذا التمييز صاح بهم: عجُّوا بنا إلى الله.

فعجوا عجَّة واحدة، وبكى الشيخُ واشتد بكاء المسلمين وصراخهم، ثم قال: عجّوا أخرى ولا تشغلوا قلوبكم بغير الله.

فعجُّوا عجَّة أعظم من الأولى وكثر بكاؤهم. ثم عجّ الثالثة وعج الناس معه. قال: ثم قال: تشرفوا من الحصن فإنِّي أرجو الله أن يكون قد فرّج عنّا.

قال ابن الداية: فحلف لي الحسن بن محمد فقال: والله لقد أشرفت مع جماعة، فرأينا الروم قد قوَّضوا، وركبوا مراكبهم، ولجَّجوا في البحر، وفتحنا الحصن، فوجدنا قومًا من بقاياهم، فسألناهم عن خبرهم فقالوا: كان الراهب المجبوب عميد الجيش بأفضل سلامة اليوم، حتى سمع ضجتكم بالمدينة، فوضع يديه على قلبه وصاح: «قلبي، قلبي». ثم طفي فانصرف مَنْ كان معه من الجيوش إلى بلاد الروم.

قال الحسن: وجدنا في الأبنية من محلَّتهم من القمح والشعير ما وسع أهل المدينة وعاد إليها معه خصبها، وكفى الله جماعتهم بأس الروم من غير قتال، والحمد لله[1].

❋ ❋ ❋

عن يونس بن عبد الله القاضي قال: حدَّثني رجل كان قد حجَّ وجاور بمكة سنين، ودخل الشام وأقام ببيت المقدس زمانًا، فأخبرني، قال:

صحبني بمكة رجل مجاور بها من أهل حلب، فقال لي: كنت بمدينة

---

(١) المستغيثون بالله ٧٨.

عكّا، من ثغر الشام، في بعض السنين فنازلها الروم وأحاطوا بها، في جمع لهم عظيم، حتى أيقن المسلمون بمدينة عكّا بغلبة الروم عليهم، ولا يشكون في القتل والأسر، فكان الناس يموجون في المدينة يمشي بعضهم إلى بعض، يبكون ويصرخون، ويتودع بعضهم من بعض، فإني لماش في بعض أزقتها في ذلك اليوم، وأنا حزين باكٍ، إذ مررت بطاق خارج من دار، ويسمون الجناح المعلق من الغرفة الطاق، فسمعت فيه صبية تنادي صبية أخرى، جارة لها في طاق يقابل الطاق الذي هي فيه، فقالت لها:

يا أخيّة هل هيأتم أسبابكم وتأهبتم لما قد نزل بنا؟

فقالت لها: يا أُختي وما الذي نزل بنا؟

قال: الذي نحن فيه من إحاطة الروم بمدينتنا، وتغلبهم على أرباضها ــ وكانوا قد دخلوها فقتلوا وأسروا ــ.

فقالت لها: يا أُختي، فأين الله؟

قال الرجل: فوالله لقد سُرِّي عنّي ما كنت فيه من المخافة والجزع لمّا سمعت قولها: «فأين الله؟»، ورجوت النصر، فلمّا أصبحنا من الغد، وأشرفنا على سور المدينة على محلّة الروم، رأيناها خالية وإذا الأرض منهم بلاقع، وإذا هم قد رفعوا محلَّتهم في تلك الليلة، ودخلوا مراكبهم وولوا في البحر، كأنهم قد هزموا، والحمد لله رب العالمين، وسلَّم الله المدينة ومَنْ فيها من المسلمين والمسلمات، فله الحمد كثيرًا كما هو أهله[1].

❑❑❑

(١) المستغيثون بالله ٧٨.

مما قيل من الشعر
في دعوة المظلوم

القيرواني: أنشد أبو العباس المبرِّد لرجل يصف دعوة دعا بها اللّٰهَ عزَّ وجلّ، وقد رأيتها في شعر محمد بن حازم الباهلي:

وَسَارِيـةٍ لَـمْ تَسْـرِ فـي الأرْضِ تَبْتَغـي ... مَحَلاً وَلَمْ يَقْطَعْ بِها البيدَ قَاطِـعُ

سَـرَتْ حَيْـثُ لَـمْ تجِـدِ الـرِكَـابَ وَلَـمْ تُنَـخْ ... لِـورْدٍ وَلَـمْ يَقْصُـرْ لَـه القَيْـدَ مـانِـعُ

تَمَـرُّ وَرَاءَ الليـلِ، والليـلُ ضَـاربٌ ... بِجُثْمـانِـهِ فيـهِ سَمِيـرٌ وهـاجِـعُ

إذَا وَرَدَتْ لَـمْ يَـرْدُدِ اللّـٰـهُ وِفْـدَهـا ... عَلَـى أهْلِهـا واللّـٰـهُ رَاءٍ وسَـامِـعُ

تَفَتَّـحُ أبْـوابُ السَّمَـواتِ دُونَهـا ... إذَا قَـرَعَ الأبْـوابَ مِنْهُـنَّ قَـارِعُ

وَإنِّـي لأَرْجُـو الله حَتَّـى كَـأنَّنـي ... أرى بِجَميلِ الظَنِّ مَا الله صَانِعُ[1]

* * *

(1) الأبيات في زهر الآداب ٢/ ٨٤٢. ونسبها لأعرابي في العقد الفريد ٣/ ٢٢٧؛ وبهجة المجالس ٣/ ٢٧٤؛ والغيث المسجم ٢/ ٢٦٥؛ وشرح مقامات الحريري ٢/ ٥٥. ودون نسبة في رحلة ابن معصوم ص ٢٨٥؛ وديوان المعاني ص ٦٨٣؛ وقطر الغيث المسجم ص ٢٧٣؛ وربيع الأبرار ٢/ ٢١٣؛ والجليس الصالح ٣/ ٩٤؛ والبصائر والذخائر ٤/ ١٦٤. وقال التوحيدي: كان بعض أصحابنا يطيل التعجّب من هذا الشعر ويحكم بإحسان قائله. وانظر مزيد من التخريج في ديوان الباهلي ص ٦٩.

الشافعي:

أَتَهْزَأُ بِالدُّعَاءِ وَتَزْدَرِيهِ ... وَمَا تَدْرِي بِمَا صَنَعَ الدُّعَاءُ

سِهَامُ اللَّيْلِ لا تُخْطِي وَلَكِنْ ... لَهَا أَمَدٌ وَلِلأَمَدِ انْقِضَاءُ

فَيُمْسِكُهَا إذا مَا شَاءَ رَبِّي ... وَيُرْسِلُهَا إذا نَفَذَ القَضَاءُ

سيبقي الله قومًا بعد كفر ... وإن ظلموا فليس لهم بقاء[1]

* * *

لاَ تَظْلِمَنَّ إذَا مَا كُنْتَ مُقْتَدِرًا ... فَالظُّلْمُ آخِرُهُ يَأْتِيكَ بِالنَّدَمِ

وَاحْذَرْ أُخَيَّ مِنَ المَظْلُوم دَعْوَتَهُ ... لاَ تَأْخُذَنْكَ سِهَامُ اللَّيْلِ في الظُّلَمِ

نَامَتْ عُيُونُكَ وَالمَظْلُومُ مُنْتَبِهٌ ... يَدْعُو عَلَيْكَ وَعَيْنُ اللَّهِ لَمْ تَنَمِ[2]

* * *

محمد بن نباتة المصري:

وَرُبَّ ظَلُومٍ قَدْ كُفِيتُ بِحَرْبِهِ ... فَأَوْقَعَهُ ٱلْمَقْدُورُ أَيَّ وُقُوعِ

---

(١) الدرّة الخريدة ٢/ ٣١٩؛ ديوان الشافعي ص ٤١ دون البيت الرابع؛ وورد البيت الأول والثاني ودون نسبة في عقد الجمان ٢/ ٣٧٠؛ ربيع الأبرار ٢/ ٢٤٩؛ المستطرف ص ١٢٨، رحلة ابن معصوم ص ٢٨٦؛ الكشكول ١/ ٢٠٨؛ محاضرة الأبراء ١/ ٢٠٣.

(٢) حماسة الظرفان ١/ ٢٨١؛ وورد البيت الثاني في محاضرات الأدباء ١/ ٢١٦ وهو منسوب إلى حفص بن عتاب. لقي الرشيد فأقبل عليه يسأله فقال في أثناء حديثه هذه الأبيات.

وفي المستطرف ص ١٢٨: أنه رؤي أن بعض الملوك رقم على بساطه.

وورد الأول والثالث فقط ودون نسبة في المخلاة ص ١٧٢؛ الدرّة الخريدة ٢/ ٣٠٣؛ زهر الربيع ص ٥٨٠؛ سراج الملوك ص ٤٤٤؛ نفحة اليمن ص ٢٢٨؛ ألف ليلة وليلة ١/ ٣١٠، ٢/ ٣٨٥؛ بهجة المجالس ١/ ٣٦٧؛ الجليس الصالح ص ٨٣؛ التبصرة ١/ ٨٥؛ المنهج المسلوك ص ٣٦٦؛ الكبائر ص ١٧٩.

فَمَا كَانَ لِي الإِسْلاَمُ إِلاَّ تَعَبُّدًا	وَأَدْعِيَـةً لا تُتَّقَـى بِـدُرُوعِ
وَحَسْبُكَ أَنْ يَنْجُو الظَّلُومُ وَخَلْفَهُ	سِهَامُ دُعَاءٍ مِنْ قِسِيِّ رُكُوعِ
مُرَيَّشَةَ بِالْهُدْبِ مِنْ كُلِّ سَاهِرٍ	مُنَهَّلَةٌ أَطْرَافُهَا بِدُمُوعِ[1]

* * *

أحمد بن واضح:

يا قابضَ الضيعةِ من نِسوةٍ	ضعفًا وأيتام لسلطانه
يجأرنَ بالليلِ إلى خالقٍ	إغاثة الملهوف مِنْ شانِه
لا يأخذ الضيعةَ ذو قُدْرةٍ	يريد أن تبقى لِصِبيانِه[2]

* * *

[شاعر]:

كنت الصحيح وكن منك في سقم	فإن سقمت فإنا السالمون غدًا
دعت عليك أكف طالما ظُلِمت	ولن تُرد يد مظلومة أبدًا[3]

* * *

قال أبو بكر ختن المبرِّد: لقيني الأسباطيُّ على الجسر وقد أخذ إسماعيل بن بلبل دورَ أهل الخلد فقال لي:

بغى وللبغي سهامٌ تنتظرْ	أنفذُ في الأكباد من وَخْزِ الإبَرْ
سهامُ أيدي القانتينَ في السَّحَرْ

---

(1) الغيث المسجم ٢/٢٦٦؛ ديوان ابن نباتة ص ٣١٤؛ نفح الريحانة ١/١٩١؛ قطر الغيث المسجم ص ٢٧٣؛ ديوان الشافعي ص ٩٩؛ ثمرات الأوراق ص ٣٩٢ (الأخير فقط).

(2) محاضرات الأدباء ١/٢١٧.

(3) ربيع الأبرار ٢/٨٢٣؛ ثمار القلوب ص ٦٧٤ (فإنا الظالمون)؛ المستطرف ص ٨٢٧.

قال فما مَضَتْ الأيام حتى كان من أمر إسماعيل ما كان[1].

* * *

أبو الفضل علي بن محمد بن أبي اللَّطف المقدسي:

ليتَ شعري مَنْ على الشام دعا ... بدُعاءٍ خالصٍ قد سَمِعَا
فكسَاهَا ظُلمةً مع وحشةٍ ... فهي تَبْكِينا ونَبْكيها معا
قد دَعا من مَسَّه الضُّرُّ من الـ ... ـظُّلم والجَوْر اللَّذَيْنِ اجتمعا
فعلا الحُجْبِ الدُّعَا فانبعثت ... غارةُ اللّٰهِ بما قَدْ وَقَعَا
فَأَصَابَ الشَّامَ ما حلَّ بها ... سُنَّةُ الله الذي قد أبدعا[2]

* * *

محمد بن علي الحريري الحرفوشي:

تَرُومُ وُلاَةُ الجَوْرِ نَصْرًا على العِدَى ... وهَيْهاتَ يلْقَى النَّصْرَ غيرُ مُصيبِ
وكيف يرومُ النَّصْرَ مَن كان خَلْفَه ... سهامُ دُعاء عن قِسِيِّ قُلوبِ[3]

* * *

شاعر:

تَذَكَّرِي تَحَيُّرِي ... حِينَ يُقَالُ قَدْ حُضِرْ
فَلَقَّنُوه رَبَّهُ ... يَمْنَعِني أَنْ أَنْتَصِرْ[4]

* * *

(١) الجليس الصالح ٣/ ١٧٥؛ الهفوات النادرة ص ٣٦٠؛ وورد أنه وجد في مصلّاه رقعة مكتوب فيها هذه الأبيات في المستطرف ص ١٢٨؛ وربيع الأبرار ٢/ ٣٨٩؛ والأمالي الخميسية ١/ ٢١٠؛ وكتاب آل وهب ص ٣٦٠.

(٢) شذرات الذهب ١٠/ ٢٨٤.

(٣) نفح الريحانة ١/ ١٩١؛ خلاصة الأثر ٤/ ٥٤؛ آمل الآمل ١/ ١٦٥.

(٤) حماسة الظرفاء للزوزني ١/ ٣١٧؛ يعني البيت الثاني أن الملائكة حضرته لقبض روحه وتلقينه ذنبه، وهذا يمنعني أن أنتصر من ظالمي فعند الله سبحانه الحساب.

عبد اللطيف فتح الله «مفتي بيروت»:

وظـالـمٍ جـائـرٍ بـالجَـور يظلمنـا
مـن غيـرِ ذنـبٍ لنـا فـي البَـدو والحضَـرِ

نـدعـو عليـه وعيـنُ الخلـق نـائمـةٌ
ويُستجابُ الدعاء لا شك، في السَحَرِ[1]

* * *

قال الوزير محمد بن علي بن أبـي منصور لمَّا حُبِسَ:

أيـن اليميـن وأيـن مـا عـاهـدتنـي
ما كان أسرع في الهوى ما خنتني

وتـركتنـي حيـران حَيًّـا مُـذْنَفًـا
أرعـى النجومَ وأنـت تـرقـدُ هَنِـي

فـلأرفعـنَّ إلـى إلـٰهـي قصَّتـي
بلســان مظلــوم وأنــت ظلمتنـي

ولأدعُوَنَّ عليك في غسق الدُّجَى
فعســاك تبلـى بـالـذي أبليتنـي[2]

* * *

محمد بن محمود الأصفهاني قال يَصِفُ مدينة يَزْد بالاحتكار، يعني أَهْلَها ويَشْكُو:

حَصَـادُ جَـاوَرْس بِيَـزْدٍ فـي بَيَـادِرِه
وَسـوْرَة القَحْـطِ مَقْـرُونَـانِ فـي قَـرَنِ

أَكُلَّمـا حَصَـدُوا جَـاوَرْسَهُـمْ قَحطـوا
هَذا لَعَمْرُ أَبـي ضَرْبٌ مِنَ المِحَنِ

حَصَـادُ كـلِّ بـلاد النَّـاس مَـوَدَّتَهُـمْ
بالخصبِ، بل يَزْدُ مِنْ أُعجوبةِ الزَّمَنِ

النَّاسُ في البُؤس والغلاَّت محرزةٌ
فَـلاَ يَبيعُـونَ بـالغَـالـي مـن الثَّمَـنِ

هـذا قَنـاعَتُـه بـالشَّبـع مِـنْ جـزَرٍ
وَذَاكَ يعتـامُ حمـلانًـا ذوي سمَـنِ

والمَوْعِدُ الحَشْرُ والجَبَّارُ حاكِمُنَا
حُكْمًـا يميـز بيـن المـاء واللَّبَـنِ[3]

* * *

(١) ديوان فتح الله ١/ ٣٠٠.

(٢) تاريخ الإسلام ٣٨/ ٢٩٣.

(٣) خريدة أصفهان ١/ ١٦٣.

محمد من محمود الأصفهاني:

عَـوَّدْتَ نَفْسَـكَ ظُلْـمَ مَـنْ أَعْجَـزْتَـهُ ... فَتَعَـوَّدَتْ وَجَـرَتْ عَلَـى المِيعَـادِ

لا تَحْسَبَنَّـكَ يَـا ظَلُـومُ كُفِيتَـهُ ... إنَّ العَلِيـمَ بِـهِ لَبِـالمِـرْصَـادِ[1]

* * *

شاعر:

فلا تعجلن بالجور ما دمت قادرًا ... فـآخـره إثـم وخـوف عـذاب

تنـام ومـا المظلـوم عنـك بنـائـم ... ودعـوتـه لا تنثنـي بحجـاب[2]

* * *

قال ابن الوردي من قصيدة طويلة:

إيـاكَ مـن عسـفِ الأنـامِ وظلمِهِـمْ ... واحذرْ من الدعواتِ في الأسحارِ[3]

* * *

شاعر:

يـدعُـو عليـك وأنـت فـي ... غمـضٍ وربُّ العـرش نـاظـر

لـو بِـتّ فـي حضْـنٍ سمـا ... فـي الجـوّ لا يعلُـوهُ طـائـر

مـن حـولـه الأبْطَـال فـي ... أيـديهـم البيـضُ البـواتـر

وعليـك أدرعـةُ الحـديـد ... وحـولـك الأُسْـد الكـواسـر

ودعـا عليـك مظلـومٌ لـم ... يلـق غيـر الله نـاصـر

لأصـابَ سَهْـم دُعَـائِـه منـ ... ـك الفُـؤادُ وأنـت صـاغـر[4]

* * *

---

(١) خريدة أصفهان ١/ ١٦٣.

(٢) التبر المسبوك ص ٢٢٤.

(٣) ديوان ابن الوردي ص ٣١٤.

(٤) التذكرة في الوعظ ص ١٧٠.

شاعر :

لَئِنْ أَبْطَأَتْ صَرْعَةُ الظَّالِمِين — عَلَى مَا تَرَى مِنْ جِنَايَاتِهَا
فَلَيْس بِمُغْفِلِهَا رَبُّهَا — وَلَكِنْ إِلَى حِين مِيقَاتِهَا
وَفِيمَنْ مَضَى لَكَ مُسْتَعْبَرٌ — مِنَ الْمُهْلَكِينَ بِغَرَّاتِهَا
فَتِلْكَ بُيُوتُهُمْ خَالِيَات — خَلَاءٌ، خَلَا صَوْتِ بُومَاتِهَا[1]

* * *

شاعر :

تَوَقَّ دعا المظلوم إن دعاءه — ليرفع فوق السحب ثم يجاب
توق دعا من ليس بين دعائه — وبين إله العالمين حجاب
ولا تحسبن الله مطَّرِحًا له — ولا أنه يخفى عليه خطاب
فقد صح أن قال الإله وعزتي — لأنصرن المظلوم وهو مثاب
فمن لم يصدق ذا الحديث فإنه — جهول وإلَّا عقله فمصاب[2]

* * *

كتب عدي بن زيد العبادي من محبسه إلى النعمان :

ألا مَنْ مُبلِغُ النعمان عنّي — وقد تُهدَى النَّصيحةُ في المغيبِ
أحظي كان سِلْسلةَ وقَيْدًا — وغُلًّا والبيانُ لَدى الطبيب
أتاك بأنَّني قد طالَ حبسي — ولم تَسأم بمسجونٍ حَرِيبِ
وَبَيْتِي مُقْفِرٌ إلَّا نساءً — أرامل قد هَلَكْنَ من النَّحيبِ
يُحاذِرْنَ الوُشاةَ على عديّ — وما اقترفُوا عليه من الذُّنُوب
فإن أخطأتُ أو أوهمْتُ أمرًا — فقد يهِم المصافي بالحبيبِ

---

(١) حماسة الظرفاء ١/ ٢٨١ .

(٢) تنبيه الغافلين ص ١٨٤ .

وإن أظْلَمْ فقد عاقَبتُموني ... وإن أُظْلَمْ فذلِكَ من نصيبي
وإن أهلِكْ تجِدْ فقدي وتُخذَلْ ... إذا التقتِ العَوالي في الحروبِ
فهل لكَ أن تَدارِكَ ما لدينا ... ولا تُغْلَبْ على الرأي المصيب
فإني قد وَكَلْتُ اليومَ أمري ... إلى ربٍّ قريبٍ مستجيب[1]

* * *

قال الأميرُ حسنُ بن محمَّدٍ الأعوجُ يَذُمُّ أهلَ زمانِه:

لا أُريدُ الأوطانَ، والذُّلُّ فيها ... واضعٌ طَوْقَه بأعلى الرقاب
ولو أنّي قَضَيْتُ فيها سُرورًا ... في شَبابي لم أكْتَئِبْ لمُصابي
فالفِرارَ الفرار من دارِ هُونٍ ... تَرَكْتني أشكو زمانَ الشَّباب
وإذا الضَّيْمَ ما أقامَ فٱجْنِبْ ... بحياةٍ تمُرُّ مَرَّ السَّحابِ
فالفتى الشَّهْمُ من إذا شامَ ضَيْمًا ... لا يبالي بِفُرقةِ الأحبابِ
كيفَ مُكْثي ما بينَ أظْهُرِ قَوْمٍ ... عهدُهُم في ثَباتِهِ كَسَراب؟
جارُهم إنْ غدا عزيزًا عليهِمْ ... كان كالشاةِ في مَقيلِ الذئابِ
هم إذا صادروا أسودُ شَراء ... وإذا حاربوا فدُونَ الكِلاب
كم أُناس من دارِهِمْ أخْرَجُوهم ... ليسومونهم بسوءِ العَذَابِ
إنَّ فِرْعون ثمَّ نُمْرودَ كانا ... دونَهم في ٱختراع شُؤم العِقاب
ومساويهِمُ التي مِثْلُ هذا ... (عدد الرمل والحَصى والتُّرابِ)
ربِّ يا مَنْ أبادَ عادًا وأودى ... بِثَمودِ ذَوِي النُّفوس الصِّعابِ
لا تَذَرْ مِنْهُمُ على الأرض شخصًا ... إنهم جاحدون ما في الكتاب
وٱنْتَقِمْ مُسْرِعًا وعَجِّل عَلَيْهم ... ليسَ فينا صَبْرٌ لِيَومِ الحِساب[2]

* * *

---

(١) نسمة السحر ٢/ ٥٠١.

(٢) معالم الأدب العربي ٢/ ٢٩٠.

أبو العلاء المعرِّي:

إنْ يَصْحَبِ الروحَ عقلي بعد مَظْعَنِها
للموتِ عنّي، فأجْدِرْ أنْ ترى عجبا

وإنْ مَضَتْ في الهواءِ الرَّحْبِ هالِكةً
هَلاكَ جِسمي في تُربي، فوا شَجَبا

الدِّينُ إنْصافُكَ الأقوام كلَّهمُ ... وأيُّ دينٍ لآبي الحقّ إنْ وَجَبا

والمرْءُ يُعْييهِ قَوْدُ النَّفْسِ مُصْحَبَةً ... للخَيْرِ، وَهْوَ يقودُ العَسْكَرَ اللَّجِبا

وصَوْمُهُ الشَّهْرَ ما لم يجن مَعْصيةً ... يُغْنيهِ عن صَوْمِهِ شعبان أو رَجَبا

وما اتَّبَعْتُ نجيبًا في شَمَائلهِ ... وفي الحِمام تَبِعْتُ السادَةَ النُّجُبا

فَاحْذَر دُعَاءَ ظليمٍ في نَعامَتِهِ ... فَرُبَّ دعوة داعٍ تَخْرِقُ الحُجُبا[1]

* * *

محمود الوراق:

اصبرْ على الظلم ولا تنتصرْ ... فالظلمُ مردودٌ على الظَّالم

وكِلْ إلى الله ظلومًا فما ... ربي عن الظالم بالنائم[2]

* * *

شاعر:

تنام عيناك والمظلوم منتبه ... يدعو عليك وعين الله لم تنم

لا شك دعوة مظلوم يحل بها ... دار الهوان ودار الذل والنقم[3]

* * *

---

(١) اللزوميات ١/ ١٠٧.

(٢) الآداب الشرعية ١/ ٢٠٣.

(٣) الزاهر ص ١٧٣.

شاعر:

نَـمْ قَـريـر العيـن ممَّـن ... بـاتَ فـي ضُـرِّكَ سـاهـر
وكِـلِ البـاغـي لبَـاري ... وكَفَـى بـالله نـاصـر[1]

* * *

غياث الدين أبو منصور محمد بن زكار بن محمود الحربي المقرىء:

لقد عيلَ صبري دون ظلمكَ لَيتَني ... أراكَ تُقـاسـي مـا جَنَتـه يـداكـا
أمـا أحَـدٌ يُنْبيـكَ أنـك مُعتـدٍ ... وَأنَّ إلـٰـه العـالميـن يَـرَاكـا[2]

* * *

السراج الوراق:

تَـوَق ممَّـنْ سُـؤتَـهُ دعـوة ... تطلـعُ حيـثُ السَّهـم لـم يطلُـع
مـا كبـد القـوسِ إذا أرسلـتْ ... فيهـا الـذي فـي كبـدِ المـوجَـعِ[3]

* * *

شاعر:

ألا قـولـوا لشخـص قـد تعـدَّى ... علـى ضعفـي ولـم يحـذَرْ رقيبـهْ
خبـأت لـه سهـامًـا فـي الليـالـي ... وأرجـو أن تكـون لـه مصيبـهْ[4]

* * *

(١) أنس المسجون ص ١٥٥.

(٢) مجمع الآداب ٢/ ٤٥٤؛ خريدة أصفهان ١/ ١٦٢، لمحمد بن محمود الثقفي الأصبهاني.

(٣) الغيث المسجم ٢/ ٢٦٦.

(٤) المخلاة ص ٢٤٧.

أبو فراس الحمداني:

لَسْتُ بِالْمُسْتَضِيمِ مَنْ هُوَ دُونِي	اعْتِدَاءً، وَلَسْتُ بِالْمُسْتَضَامِ
أَبْذُلُ الْحَقَّ لِلْخُصُومِ، إذَا مَا	عَجَزَتْ عَنْهُ قُدْرَةُ الْحُكَّامِ
لا تَخَطَّى إلَى الْمَظَالِمِ كَفِّي	حَذَرًا مِنْ أَصَابِعِ الأَيْتَامِ[1]

* * *

أبو الحسن علي بن أحمد الزاوهِيُّ:

أدعو عليكَ ولا أرا	كَ تخافُ عاديةَ الدعاء
ولدعوةِ المظلومِ مضْطَربٌ فسيحُ في السماء[2]	

* * *

الوزير الكاتب الحسن بن جابر العفاري:

لا ييأس النصر مظلومًا إن ضعفت	قواه يومًا على الأقوى من الناس
وليرفعن إلى الباري شكيته	ولا يكن لانتصار الله بالناسي
وليجعلن بعد صبر يدّرعه له	رجاه للنصر قوّامًا على الياس
ولا تقل قدرتي في عودها خور	وإن خصمي شديد المكر والباس
فإن لله إنصافًا متى برزت	أعلامه لم يعدها زورًا الناس
فليلتزم عتبات الباب مصطرخًا	لا سيما إن دجى ديجور أغلاس[3]

* * *

---

(١) ديوان أبي فراس ص ٣١٩؛ الآمالي الخميسية ١/ ٢١٠؛ يتيمة الدهر ١/ ٨٥؛ ثمار القلوب ص ٣٣٨ (دون الأول)؛ ربيع الأبرار ٢/ ٢٢١ (الثاني فقط وصحّف لأبي نواس).

(٢) دمية القصر ٢/ ١٠٧٢.

(٣) الأدب اليمني ص ٣٨٥.

عبد الحسين الحويزي:

يا راكبًا للظلم نهجًا به ... مواقع الآفات والانتقام
إن كنت لا ترهب بطش الردى ... من دولة منها الرشاد استقام
فاحذر من المظلوم مهما دعا ... وصمه جوشن جنح الظلام
تنام عيناك بطيب الكرى ... وعين جبار السما لا تنام(1)

***

يوسف بن محمد بن مقلد التنوخي الجماهيري أبو الحجاج:

أنوم بعد ما هجع النيام ... وظلم بعد ما اتبع الظلام
فهذا الصبح في المعدودين نادَ ... ينادي ما بقي إلاَّ منام
فبادر يا فتى قبل المنايا فمالك ... بعد ذا عدد تقام
فعند الله موقفنا جميعًا ... وبين يديه تنفصل الخصام(2)

***

قال بعضهم:

احذر عداوة من ينام وطرفه ... باك يقلب وجهه نحو السما
يرمي سهامًا ما لها غرض سوى الـ ... ـأحشاء منك فربما ولعلَّما(3)

***

أبو الحسين ابن أبي البغل الكاتب:

وإنِّي لأرجو الله يكشف محنتي ... ويسمع للمظلوم دعوةَ مضطَّر
فيرأبُ ما أثأى، ويعطف ما التوى ... ويعدل ما استوحى ويجبر من كسري

---

(1) ديوان الحويزي ص ٢٠٨.

(2) العقد المذهب ص ١٢٤.

(3) الكنز المدفون ص ٢٤٦.

لقـد عجمتنـي الحـادثـات مثقَّفًـا | إذا ضـاقـه هـمٌّ ثنـاء إلـى الصبـر
ومـا حـزنـي أن كـرّ دهـري بصـرفـه | علـيّ ولكـن أن يفـوت لـه وتـري
فـإن فـاتنـي وتـري فـأيسـرُ فـائـت | إذا أنا عوَّضتُ الثوابَ من الوفر
ولطـف كفـايـات الإلـٰـه مبشِّـري | بنيـل الـذي أملـت لا بيـدٍ صفـر
فـإن يهـل البحـرَ امـرًأ فهـو آمـلٌ | بلـوغ الغنـى فيمـا يهـول مـن البحـر
وربّ مضيـقٍ فـي الفضـاء ووارطٍ | رأى مخرجًا بين المثقَّفَة السمرِ[1]

* * *

قال علي بن الحسين الإسكافي: جلس المعتصم للمظالم بعد قبضه على الفضل بن مروان ووزيره أحمد بن عمار يقرأ بين يديه القصص، فمرت قصة فيها:

لا تعجبـنَّ فمـا بـالـدهـر مـن عجـب | ولا مــن الله مــن حصــن ولا هــرب
يا فضل لا تجزعن ممَّا منيت به | من خاصم الدهر جاثاه على الرُكب
كم من كريم نشأ في بيت مكرمة | أتـاك مُخْتنقًـا بـالهـمّ والكـرب
أوليتَـــهُ منـــك إذلالاً ومَنْقصـــة | فخاب منك ومِن ذي العرش لم يخب
وكـم وثبـت علـى قـوم ذوي شـرف | فمـا تحـرجـت مـن وزر ولا كـذب
خَنت الإمـام وهـذا الخلـقَ قـاطبـة | وجرت حتى أتى المقدار بالعجب
جمعـت شيئًـا وقـد أديتـه جمْـلاً | لأنـت أخسـر مـن حمَّـالـة الحطـب

فقال المعتصم: عليّ بصاحب الرقعة، فدعي فلم يجب، فقال: والله لو أجاب لأنصفته ولو أتت مظلمته على ما بقي من ماله[2].

* * *

(١) الفرج بعد الشدة ص ٥/٦٦.
(٢) عيون التواريخ (الثقافة) ص ٢٣٦.

شاعر:

سهام الليل منجحة المساعي | إذا رميت بأوتار الخشوع
تصاب بها المقابل حيث كانت | فتنفذ في الجواشن والدروع[1]

* * *

شاعر:

واجف الجَفَا وتوقَّ الظُّلْمَ أجمَعُه | فليس يَسْعَدُ إلاَّ مَنْ توقَّاهُ
ولا تَذَرْ دَعوةَ المظْلوم سائبةً | لا سيما إن يكن من لا له جاهُ
إذا تقدَّمت إنسانًا بمظلمة | ولم يجد ناصرًا فالناصِرُ اللَّهُ[2]

* * *

قال محمد بن سويد وزير المأمون:

فلا تأمننَّ الدَّهر حرًا ظَلَمته | فما ليل حرٍّ إن ظلمت بنائم[3]

* * *

بشر بن أبي خازم الأسدي:

أَلَمْ تَرَ أَنَّ طُولَ الدَّهْرِ يُسْلِي | ويُنْسِي مِثْلَما نُسِيَتْ جُذَامُ
وَكَانوا قَوْمَنا، فَبَغَوْا عَلَيْنَا | فَسُقْنَاهُمْ إِلَى ٱلْبَلَدِ الشَّآمُ
وكُنَا دُونَهُمْ حِصْنًا حصينًا | لَنَا الرَّأْسُ المَقَدَّمُ والسَّنَامُ
وَقَالُوا: لَنْ تُقِيموا إنْ ظَعَنَّا | فَكَانَ لنا وَقَد ظَعَنُوا مُقَامُ
أَثافِ مِنْ خُزَيْمَةَ راسِيَاتٌ | لها حِلُّ المَنَاقِبِ والحَرامُ
وإنَّ مُقَامَنا نَدْعُو عَلَيْكُمْ | بأَبْطَحِ ذِي المَجَازِ لَهُ أثَامُ[4]

---

(١) الكشكول ١/ ٦٢.

(٢) درَّة الحجال ٢/ ١٦٩.

(٣) المستطرف ص ١٢٨؛ عيون التواريخ (الثقافة) ص ١٥٣؛ معجم الشعراء ص ٣٦٣؛ لباب الآداب ص ٣٢ (دون نسبة).

(٤) ديوان بشر بن أبي خازم الأسدي ص ٢١١.

قال الشريف الرضي يرثي الحسين رضي الله عنه:

وَرَاءَكَ عَنْ شَاكٍ قَلِيلِ العَوَائِدِ تُقَلِّبُهُ بالرَّمْلِ أيْدِي الأبَاعِدِ
يُرَاعِي نجُومَ اللَّيْلِ وَالهَمّ، كُلَّمَا مَضَى صَادِرٌ عَنِّي بآخَرَ وَارِدِ
تَوَزَّعَ بَيْنَ النَّجمِ وَالدَّمعِ طَرْفُهُ بمَطْرُوفَةٍ إنْسَانُهَا غَيْرُ رَاقِدِ
وَمَا يَطبِّيهَا الغُمْضُ إلاّ لأنَّهُ طَرِيقٌ إلى طَيْفِ الخيَالِ المُعَاوِدِ
ذَكَرْتُكُمْ ذِكْرَ الصِّبَا بعدَ عَهدهِ قَضَى وَطَرًا منِّي وَلَيسَ بِعَائِدِ
إذا جَانَبُوني جانبًا مِنْ وِصَالِهِمْ عَلِقْتُ بأطْرَافِ المُنَى وَالمَوَاعِدِ
فيَا نَظرَةً لا تَنظُرُ العَينُ أُخْتَهَا إلى الدَّارِ من رَملِ اللّوَى المُتَقاوِدِ
هيَ الدَّارُ لا شَوْقي القَديمُ بناقِصٍ إلَيْهَا، ولاَ دَمْعي عَلَيها بجَامِدِ
وَلي كَبِدٌ مَقْرُوحَةٌ لَوْ أضاعَهَا مِنَ السُّقمِ غَيري ما بَغَاها بناشِدِ
أمَا فَارَقَ الأحباب قَبلي مُفَارِقٌ وَلا شَيَّعَ الأظْعَانَ مِثلي بِوَاجِدِ
تَأوَّبَني داءٌ مِنَ الهَمّ لَمْ يَزَلْ بقَلْبي حَتّى عادني منهُ عَائِدي
تَذكَرْتُ يَوْمَ السِّبطِ من آل هاشمٍ وَمَا يَوْمُنا مِن آل حَرْبٍ بِوَاحِدِ
وَظَام يُرِيغُ المَاء قَدْ حِيلَ دُونَهُ سَقَوْهُ ذُبَابَاتِ الرِّقَاقِ البَوَارِدِ
أنَاخُوا لَهُ مُرَّ المَوَارِدِ بالقَنَا على ما أباحُوا مِنْ عِذابِ المَوَارِدِ
بنَى لهُمُ المَاضُونَ أساس هذه فعَلَّوا على أساس تِلك القَوَاعِدِ
رَمَوْنَا كمَا يُرْمَى الظماء على الرّوا يذُودُونَنا عَنْ إرْث جَدٍّ وَوَالِدِ
وَيا رُبَّ سَاعٍ في اللّيالي لِقَاعِدٍ عَلى ما رأى، بل كُلّ ساعٍ لقاعِدِ
أضاعُوا نُفُوسًا بالرِّمَاحِ ضَيَاعُهَا يَعِزُّ عَلى البَاغِينَ مِنَّا النَّوَاشِدِ
أألله! مَا تَنْفَكُّ في صَفَحَاتِها خُمُوشٌ لكَلْبٍ مِنْ أمَيّةَ عَاقِدِ
لَئِنْ رَقَدَ النُّصَّارُ عَمَّا أصَابَنَا فَمَا الله عَمَّا نِيلَ مِنَّا بِرَاقِدِ
لَقَدْ عَلَّقُوهَا بالنَّبي خُصُومَةً إلى الله تُغني عَنْ يَمِينٍ وَشَاهِدِ
وَيا رُبَّ أدْنَى مِنْ أُمَيّةَ لِحْمَةً رَمَوْنا على الشنآنِ رَمْيَ الجَلامِدِ
طَبَعْنَا لَهُمْ سَيْفًا، فَكُنَّا لحَدِّهِ ضَرَائبَ عَنْ أيْمانِهِمْ وَالسَّوَاعِدِ

ألاَ لَيسَ فِعلُ الأوَّلِينَ، وَإنْ عَلا ... عَلى قُبْحِ فِعْلِ الآخرِينَ، بِزَائِدِ

يُريدونَ أنْ نَرْضَى وَقد مَنعوا الرِّضَى ... لسَيرِ بَنِي أعمَامِنَا غيرَ قَاصِدِ

كَذَبتُكَ، إنْ نازعتَني الحقَّ ظالمًا ... إذا قُلْتُ يَوْمًا إنَّني غيرُ وَاجِدِ(1)

* * *

قال أبو تمام يمدح إسحاق بن إبراهيم بن مُصعب:

قُلْ لِلأمير الَّذي قَدْ نَالَ ما طلبا ... ورَدَّ مِنْ سَالِفِ المعْرُوفِ ما ذَهَبا

مَنْ نَالَ من سُؤدَدٍ زَاكٍ ومن حَسَبٍ ... ما حَسْبُ واصِفِه مِن وَصْفِهِ حَسَبَا

إذَا المَكَارِمُ عُقَّتْ واستُخِفَّ بها ... أضْحى النَّدى والسَّدَى أُمًّا له وأبًا

تَرْضَى السُّيوفُ بِهِ فِي الرَّوْعِ مُنتصرًا ... وَيَغْضَبُ الدِّيْنُ والدُّنْيا إذا غَضبا

في مُصْعَبِيِّين ما لاَقَوْا مُرِيدَ رَدًى ... لِلمُلْكِ إلاَّ أصَارُوا خَدَّه تَرِبَا

كأنَّهُمْ وقَلَنْسِي البيضِ فَوْقَهُمُ، ... يَوْمَ الهِيَاجِ، بُدورٌ قُلْنِسَتْ شُهُبَا

فِدَاءُ نَعْلِكَ مُعْطىً حَظَّ مَكْرُمَةٍ ... أصغى إلى المَطْلِ حتَّى باعَ ما وَهَبا

إنِّي وإنْ كَانَ قَوْمٌ مَا لَهُمْ سَبَبٌ ... إلاَّ قَضَاءٌ، كفَاهُمْ دُونِي السَّبَبَا

وكُنْتُ أعْلَمُ عِلْمًا لا كِفَاءَ لَه ... أن لَيْس كُلُّ قِطارٍ يُنْبِتُ العُشُبَا

ورُبَّما عَدَلَتْ كفُّ الكَريم عن الـ ... ـقَوْمِ الحُضُورِ ونالَتْ مَعْشرًا غَيَبَا

لَمُضْمِرٌ غُلَّةً تَخبو، فَيُضْرِمُهَا ... أنِّي سَبَقْتُ ويُعْطِي غَيْرِيَ القَصَبَا

ونادِبٌ رِفْعَةً قَدْ كنْتُ آمُلُها ... لَدَيْكَ لا فِضَّةً أبْكِي ولاَ ذَهَبا

أدْعُوكَ دَعْوَةَ مَظْلُومٍ وَسِيلَتُهُ ... إن لم تكُنْ بي رَحيمًا فارْحَم الأدَبا

احْفَظْ وَسَائِلَ شعْرٍ فيكَ ما ذَهبتْ ... خواطِفُ البَرْقِ إلاَّ دُونَ مَا ذَهَبا

يَغْدُونَ مُغْتَرِباتٍ في البلاد فما ... يَزَلْنَ يُؤنِسْنَ في الآفاقِ مُغْتَربا

ولا تُضِعْها، فَما في الأرْض أحْسَنُ مِنْ ... نَظْمِ القَوافي إذا ما صَادَفَتْ حَسَبا(2)

* * *

(١) ديوان الشريف الرضي ١/ ٣٦٤.

(٢) ديوان أبي تمام ١/ ٢٣٤.

قال أبو تمام من قصيدة في مدح إسحاق بن إبراهيم:

إنَّ الخَلِيفَـــةَ والخَلِيفَـــةَ قَبْلَـــه وَجَـدَاكَ تِـرْبَ نَصِيحَـةٍ وعـزِيـمِ

وَجَـدَاكَ مَحْمُـودًا فلَمَّـا يَـأْلُـوا لَـكَ فـي مُفَـاوضَـةٍ ولا تَقْـدِيـمِ

مـا زلْـتَ مِـنْ هـذا وذلـكَ لابسًـا حُلَـلاً مِـنَ التَّبْجِيـلِ والتَّعْظِيـمِ

نَفسـي فِـداؤكَ والجبَـالُ وأهلُهـا فـي طِـرْمِسَاء مِـنَ الحُرُوب بهيـمِ

بـالـدَّاذَوَيْـهِ وخَيْـزَجٍ وذَوَاتِهـا عَهْـدٌ لسَيْفِـكَ لَـمْ يَكُـنْ بـذَمِيـمِ

بـالمُصْعَبِيِّـن الَّـذِيـن كـأنَّهُـمْ آسَـادُ أغيـالٍ وجِـنُّ صَـرِيـمِ

مِثْـلُ البُـدُورِ تُضِـيءُ إلاَّ أنَّهـا قَـدْ قُلْنِسَـتْ مِـنْ بَيْضِهـا بِنُجُـومِ

وَلَّـى بِهَـا المخـذُولُ يَغْـذِلُ نَفسَـهُ مُتَمَطِّـرًا فـي جَيْشِـهِ المَهْـزُومِ

رَامُـوا اللَّتَيَّـا والَّتـي فـاعتَـاقَهُـمْ سَيْـفُ الإمَـام ودَعْـوَةُ المَظْلُـومِ(١)

* * *

قال صالح بن عبد القدوس في قصيدته البائية المعروفة بالزينبية:

صرمت حيالك بعد وصلك زينب والـدهـر فيـه تغيـر وتقلـب

نشـرت ذوائبهـا التـي تـزهـو بهـا سـودًا ورأسـك كـالثغـامـة أشيب

واستنفـرت لمـا رأتـك وطـالمـا كـانـت تحـن إلـى لقـاك وتـرغـب

وكـذاك وصـل الغـانيـات فـإنـه آل ببلقعـــة وبـــرق خُلَّـــب

فـدع الصبـا فلقـد عـداك زمـانـه وازهـد فعمـرك مـر منـه الأطيـب

ذهـب الشبـاب فمـا لـه مـن عـودة وأتـى المشيـب فـأيـن منـه الهـرب

دع عنك ما قد كان في زمن الصبا واذكـر ذنـوبـك وابكهـا يـا مـذنـب

واذكـر منـاقشـة الحسـاب فـإنـه لا بـد يحصـى مـا جنيـت ويكتـب

لـم ينسـه الملكـان حيـن نسيتـه بـل أثبتـاه وأنـت لاه تلعـب

(١) ديوان أبي تمام ٣/ ٢٦٥.

واحذر من المظلوم سهمًا صائبًا واعلم بأن دعاءه لا يحجب
فلقد نصحتك إن قبلت نصيحتي فالنصح أغلى ما يباع ويوهب[1]

* * *

ابن المقرب العيوني:

وَعَفَّ فلمْ يمْدُدْ إلى مُسْلم يَدًا بسُوءٍ ولا باتَتْ لهُ عَقْرَبٌ تسْري
ولا بَاتَ جُنْحَ اللَّيْلِ يشْكُوهُ شَابحٌ إلى اللّـهِ مَقْتُورٌ عليه ولا مُثْرِ[2]

* * *

الطغرائي:

على أثَلاتَ الواديينِ سَلامُ وبعضُ تحايا الزائرينَ غَرامُ
تذكرتُ أيامي بها وأحبَّتي إذ العيشُ غَضٌّ والزمانُ غلامُ
وإلمامتي بالحيِّ حيثُ تواجهتْ قصورٌ بأكنافِ «الحِمَى» وخيامُ
ألامُ على هِجرانهم وهمُ المُنَى وكيف يقيمَ الحرُّ وهو يُضَامُ
هُمْ شَرعوا أنَّ الجَفاءَ محلَّلٌ وهم حكموا أن الوفاءَ حرامُ
بقلبي رَوْحٌ منهمُ وضمانةٌ وعندي بُرءٌ منهم وسَقامُ
وأبلج أمَّا وجهه حين يُجتلىٰ فشمس وأمَّا كفُّه فغمامُ
جرى طائري منه سنيحًا وعلَّني بدَرِّ أيادٍ ما لهنَّ فِطامُ
وأنزلني منه بألطفِ منزلٍ كما مُزجتْ بابنِ الغمام مُدامُ
شردتُ عليه غيرَ جاحدِ نعمةٍ أكَلِّفُ خسفًا بعدَهُ وأُسَامُ
وقد يُسلبُ الرأيَ الفتى وهو حازمٌ وينبُو غِرارُ السيف وهو حُسامُ
فقد وجدَ الواشونَ سُوقًا ونفَّقُوا بضائعَ زُورِ ما لهنَّ دوَامُ

---

(١) ديوان صالح بن عبد القدوس ص ١٢٣.
(٢) ديوان ابن المقرب ص ٢٠٤.

وبعضُ كلامِ القائلينَ تَزَيُّدٌ وبعضُ قَبولِ السامعينَ أثامُ
فأصبحَ شملُ الأنسِ وهو مُبَدَّدٌ لديهِ وحبلُ القُربِ وهو رِمامُ
يُقَرِّبُ دوني من شَهِدتُ وغُيِّبُوا ويوصِلُ قبلي من سَهِرتُ وناموا
تَزاورَ حتى ما يُرجّىٰ التفاتُهُ وأعرضَ حتى ما يُرَدُّ سَلامُ
فلا عطفَ إلاَّ سخطةٌ وتنكرٌ ولا ردَّ إلاَّ ضَجرةٌ وسَآمُ
فإن يَكُ رأيٌ زَلَّ أو قَدَرٌ جَرىٰ بنازلةٍ فيها عليَّ مَلامُ
فواللّهِ ما قَارفتُ فيك خيانةً أُعابُ بها في مَحْفِلٍ وأذامُ
ولا قرَّ لي بعدَ التفرُّق مضجعٌ ولا طاب لي بعد الرحيل مقامُ
ولا لي إلاَّ في ولائِكَ مَسْرحٌ ولا لي إلاَّ في هواك مَسَامُ
وإن أكُ قد فارقتُ بابكَ طائعًا فللدهر في الشملِ الجميع عَرَامُ
فقبليَ ما خلَّى «عليًّا» شقيقُهُ وقرَّ به بعدَ «العراقِ» «شآمُ»
حياءً فإن الصفحَ خيرُ مغبَّةٍ ومعذرةً إن الكرامَ كرامُ
ألمنا وأعذرتُمْ فإن تبلغوا المَدى من العتبِ نُعْذَر دونكمْ وتلامُوا
وأحسنتمُ بَدءًا فَهَلاَ أعدْتُمُ ففي العَودِ للفعلِ الجميل تَمامُ
أُجلُّكَ أنْ ألقاك بالعُذر صادقًا وبعضُ اعتذار المذنبينَ خِصامُ
أتبعد حتى ليس في العَتْبِ مطمعٌ وتُعرِض حتى ما تكادُ تُرامُ
وتنسَى حقوقي عندَ أولِ زلَّةٍ وأنتَ لأهلِ المكرماتِ إمامُ
ألمْ ألقَ فيك الأسرَ وهو مبرَّحٌ وألتذُ طعم الموتِ وهو زُؤامُ
وأخطُ سوادَ الليل وهو جَحافلٌ وأرعَ نجومَ الأفقِ وهي سِهامُ
هو الذنبُ بين العفو والسيفِ فاحتكمْ
بما شئتَ لا يَعْلَقْ بفعلِكَ ذَامُ
ولا تُبْلِني بالبعد عنك فإنَّما حياتي إلاَّ في ذُراكَ حِمامُ
إذا ما جزيتَ السوءَ بالسوءِ لم يكنْ لفضلكَ بين الأكرمينَ مَقامُ

أعِدْ نظرًا في حالتي تلقَ باطنًا ... سليمًا وسرِّي ما عليه قَتَامُ

فمثلُكَ لم تغلِبْ عوائدُ سخطهِ ... رضاهُ ولم يبعُدْ لديه مَرامُ

ولا تنكرنْ فيما تسخَطتَ ساعةً ... فقد مرَّ عامٌ في رِضاكَ وعامُ

وإنْ عزَّ ما أرجوهُ منك فإنَّني ... لتُقنعني تسليمةٌ ولِمَامُ

فلا تُشعرنِّي عزة اليأس إنَّما ... أمامي وراءٌ والوراءُ أمامُ

أتَرضَى لفضلي أن يضيعَ ذِمامُه ... ومثلُكَ لم يُخْفَرْ لديهِ ذِمامُ

وتُحجِبُني حتى تهدَّ مناكبي ... ببابك ما بين الوفودِ زِحامُ

فإن نِمتَ عني واطَّرحْتَ وسائلي ... فللّهِ عينٌ ما تكادُ تنامُ[1]

* * *

ابن المقرب العيوني:

تَردُ الكلابُ الوَاسِعيَّةُ حَوْضَكُمْ ... وأُذادُ عنهُ كما يُذَادُ الأجْرَبُ

وَتُجلُني أُسْدُ الشَّرَى في أرْضِها ... وبأرْضِكُمْ يَسْطُو عَليَّ الثَّعلبُ

وَبقَوسِكُمْ في كلِّ يوْمٍ أرْتمي ... وبسَيْفِكُمْ في كلِّ يومٍ أضْرَبُ

وأقولُ ما قالَ ابْنُ مُرَّة مُعْلِنًا ... لَا أُمَّ لي إنْ دامَ ذاكَ ولا أبُ

لي في بلَادِ اللّهِ عمَّنْ لا يَرَى ... حَقِّي مَرَاحٌ كيْفَ شِئْتُ ومَذْهَبُ

فاحْفَظْ وِصَاتِي يا عليُّ ولا تُضِعْ ... ما قدْ وُلِيتَ فحولَ شاتِكَ أذْؤُبُ

وَعَلَيْكَ بالْعَدْلِ الَّذي أحْيَيْتَهُ ... فدُعَاءُ باكٍ في الدُّجَى لا يُحْجَبُ

وبَقِيتَ مَعْمُورَ الجناب مُؤَيَّدًا ... ما قامَ داعٍ بالصَّلاةِ يُثَوِّبُ[2]

❑ ❑ ❑

(١) ديوان الطغرائي ص ٣٢٩؛ خريدة أصفهان ١/٨٦.

(٢) ديوان ابن المقرب ص ٦٠.

من نوادر ما ورد
في دعوة المظلوم

علي الشرقي:

مـــدّ زعيـــمٌ لطبيـــب يــــدًا كـــانـــت علـــى رغمـــي ملثـــومـــهْ
قـــال لـــه ليـــس بهـــا مـــن أذىً فصـــاح لا... كفِّـــيَ مـــألـــومـــهْ
ومـــرَّ مـــن حـــولهمـــا شـــاعـــرٌ ردَّدت الـــدنيـــا تـــرانيمَـــهْ
فقـــال ظنـــي بمكـــان الأذى قـــد سقطـــتْ دمعـــة مظلـــومـــهْ[1]

* * *

قال عمر الخياط في مصلوب:

انظـــر إليـــهِ كـــأنـــهُ متظلِّـــمٌ فـــي جـذعـه لَحَـظَ السمـاء بطـرفـهِ
بَسَـطَ اليـديـنِ كـأنـهُ يـدعـو على مَن قد أشار على الأمير بحتفهِ[2]

* * *

ابن القيسراني يمدح نور الدين الشهيد:

كلَّفـــتَ همتـــكَ السُمُـــوَّ فحلَّقـــتْ فكـــأنَّمـــا هـــي دعـــوةٌ فـــي ظـــالـــمِ

---

(١) ديوان علي الشرقي ص ٣٦٥.

(٢) الغيث المسجم ١/ ٣٠٥، معاهد التنصيص ٢/ ٥١.

وطنت بأوطانِ النجومِ فكمْ لَهَا   مِنْ مارِدٍ قذفتْ إليه بِرَاجِمِ[1]

***

قال أسامة بن منقذ:

يا ظالمًا يعرضُ عني إذا   دعوتُ غضبانًا على ظالمِ
أظنُّه أنتَ وإلاَّ فلِم   تخشى دعائي دونَ ذَا العالمِ
يا ربِّ لا تسمعْ دعائي وإن   كان دعاء المُغْرَم الهائمِ[2]

***

قال ابن وكيع التنِّيسي:

إن كنتَ تعلمُ ما بي   وأنتَ بي لا تبالي
فصارَ قلبُكَ قلبي   وصرتَ في مثل حالي
بل عشتَ في طيب عَيْشٍ   تقيكَ نفسي ومالي
دعوتُ إذ ضاق صدري   عليك ثمَّ بَدَا لي[3]

***

ابن وكيع التنِّيسي:

فَهِمٌ غالطَ منِّي فهما   جاءني يسأل عمَّا عَلِمَا
مُقْسِمٌ ما بَلَغتهُ عِلَّتي   كاذبٌ واللَّهِ فيما زعمَا
كيف لم يَبْلُغْهُ عنِّي سَقَمي   وَهُوَ المُهدي إليَّ السَّقمَا

---

(١) الغيث المسجم ٢/ ٢٦٦؛ قطر الغيث المسجم ص ٢٧٣؛ خريدة الشام ١/ ١١٤.
(٢) الغيث المسجم ٢/ ١٦١؛ ديوان الصبابة ص ٢٦٦؛ ديوان أسامة بن منقذ ص ٩٥.
(٣) الغيث المسجم ٢/ ١٦١؛ ديوان ابن وكيع ص ١٣٣؛ ديوان الصبابة ص ٢٢٦؛ تزيين الأسواق ص ٤٤٩؛ المنصف ص ٢٤٨.

رُزِقَ المظلـــومُ منّـــا رحمـــةً ثَـمَّ لا أدعـو علـى مَـن ظَلَمَـا[1]

❋ ❋ ❋

موسى بن محمد السُّلَمي أبو عمران:

أتالـزمنـي ذنبًـا وأنـت جنيتَـه ولكننـي أخشـاك أن أتكلَّمـا

ولـولا اتقـائـي أن تميتـك دعـوتـي دعوتُ على ما كان أخفى وأظلما[2]

❋ ❋ ❋

منـذُ غـدا طـرفُـكَ لـي ظـالمًـا آليـتُ لا أدعـو علـى ظـالـمِ[3]

❋ ❋ ❋

سعيد بن حميد:

عـرفـت الـذي بـي فـلا تلحنـي وليـس أخـو الجهـل كـالعـالـم

فلـو كنـتُ أبصـرتُ مثـلاً لـه إذًا لمْـتُ نفسـي مـع الـلائـم

وكنـت أخـوِّفـه بـالـدعـاء وأخشـى عليـه مـن المـآثـم

فلمـا أقـام علـى ظلمـه تـركـت الـدعـاء على الظـالـم[4]

❋ ❋ ❋

أبو الفضل أحمد بن الخازن:

يـا ظـالمـي إن للظلـم مُقلَـةً لَيـسَ تُغْفـي

حمَّلتنـي ثِقْـلَ حُـبٍّ إليـك يشكـوهُ ضَعْفـي

رِفقًـا فـديتـكَ رِفقًـا فبعـضُ ذلـكَ يكفـي

---

(١) الغيث المسجم ٢/ ١٦١؛ ديوان ابن وكيع ص ١٣٨؛ ديوان الصبابة ص ٢٢٦؛ المنصف ص ٢٤٧.

(٢) معجم الشعراء ص ٢٩٠.

(٣) نفح الطيب ٤/ ١٩٤.

(٤) الرسالة البغدادية ص ٢٦١؛ الإمتاع والمؤانسة ٢/ ١٧٤؛ مروج الذهب ٤/ ١٤٥.

واحـــذر إذا الليـــلُ أرخـــى ذيـــولَـــهُ رفـــعَ كَفِّـــي[1]

* * *

علاء الدين الوَداعي:

رَمَتْنِـــي سُـــودُ عَيْنَيْـــهِ فَـــأصْمَتْنـــي ولَـــمْ تبطـــي
ومـــا فـــي ذاك مـــن بِـــدْعٍ سِهـــامُ الليـــلِ لا تُخطـــي[2]

* * *

جمال الدين ابن نباتة المصري:

وأغيـد كـل شـيء فيـه يعجبنـي كـأنمـا هـو مخلـوق علـى شـرطي
أجفانه السود ما تخطي إذا رشقت سهامها وسهام الليل لا تخطي[3]

* * *

الأمير محمد مجير الدين ابن تميم الإسعردي:

حـاذر أصـابـعَ مَـنْ ظلمـت فـإنـه يـدعـو بقلـبٍ فـي الـدجـى مكسـورِ
فـالـوردُ مـا ألقـاه فـي جمـر الغضـا إلاَّ الـدعـا بـأصـابـعِ المنثـورِ[4]

* * *

(١) الغيث المسجم ٢/ ١٦١؛ خريدة العراق ٢/ ٣٧٥؛ والبيت الثالث:

يـــا ليِّـــن العِطـــفِ رِفْقَـــا فبعـــضُ ذلـــك يكفـــي

وزيادة خامس:

إنْ لـــم تَـــرِقَّ لحـــالِ لا يُنْتَشَـــفُ بـــوصـــفِ

(٢) تزيين الأسواق ص ٤٦٧؛ الوافي ٢٢/ ٢٠٧؛ أنوار الربيع ص ٥/ ٤٢؛ خزانة الأدب ٢/ ١١٩؛ أعيان العصر ٣/ ٥٥٢؛ المسلك السهل ص ٣٤٤.

(٣) خزانة الأدب ٢/ ١٢٠؛ نزهة الأبصار ص ١٧٢؛ ديوان ابن نباتة ص ٢٨٦.

(٤) فوات الوفيات ٤/ ٦١؛ خزانة الأدب ٢/ ٨٠؛ عيون التواريخ ٢١/ ٣٦١؛ سكردان السلطان ص ٤٧٣؛ مطالع البدر ١/ ١١٠؛ الشذا المؤنس ص ٢٧؛ المخلاة ص ٥٠٩ (دون نسبة)؛ المواكب الإسلامية ٢/ ١٩٥؛ نزهة الأنام ص ١٤٠؛ المسلك السهل ص ٣٨١.

الأمير مجير الدين ابن تميم:

مـولايَ للمنشـور حَـقٌّ وهـو أنْ ... تَلقـاه إذ يلقـي بكـأس رحيقـهِ
أكْـرِمْـهُ أو فـاعلـم بـأن كفـوفَـهُ ... تَدعو على مَنْ لم يَقُمْ بحقوقه[1]

***

مِنْ غَرِيب الاستطرادِ ما وقعَ للشاعر المشهور أبي العباس أحمد العفجومي الشهير بالجَوَّاري، وعامة الغَرب يقولون: الجرَّاوي، يهجو قومَه بني عَفجوم، وهمْ بَرْبَر بِتَادِلاَ مُتوصلاً بذلك إلى هجوِ بني المَلجوم:

يـابْـنَ السَّبيـلِ إذا مَـرَرْتَ بِتَـادِلا ... لا تَنْـزِلَـنَّ عَلى بنـي عَفْجُـومِ
أرْضٌ أغـارَ بهـا العَـدُوُّ فَلَـنْ تَـرَى ... إلاَّ مُجَـاوبَـةَ الصَّـدَى للبُـومِ
قَـوْمٌ طَـوَوا طُنُـبَ السَّمَـاحَـةِ بَيْنَهُـمْ ... لكنَّهُـمْ نَشَـرُوا لِـواءَ اللُّـوُمِ
لا حَـظَّ فـي أمْـوَالِهِـمْ وَنَـوالِهِـمْ ... للسَّـائـلِ العَـافي ولا المَحْـرومِ
لا يَمْلِكُـونَ إذا اسْتُبِيـحَ حَـريمُهُـمْ ... إلاَّ الصُّـراخَ بِـدَعْـوَةِ المَظْلُـومِ
يـا ليتنـي مِـنْ غَيْـرِهِـمْ ولَـوْ أنَّنـي ... مِنْ أهْلِ فَاسٍ مِنْ بَني المَلْجُومِ[2]

***

مخلد بن بكار الموصلي:

أَقُـولُ لِنِضْـوٍ أَنْفَـدَ السَّيْـرُ نِيَّهَـا، ... فلـم يُبْـقِ منهـا غَيْـرَ عَظْـمٍ مُجَلَّـدِ
خُـذِي بـي رَمَـاكِ ٱللَّـهُ بـٱلشَّـوْقِ وَٱلْهَـوى ... وَهَـاجَـكِ تَحْنَـانُ ٱلْحَمَـامِ ٱلْمُغَـرِّدِ
فَمَرَّتْ سَرِيعًا خَوفَ دَعْوَةِ عَاشِقٍ ... تَشُقُّ بِـيَ الظَّلْمَـاءَ فـي كُـلِّ فَدْفَـدِ

(1) المواكب الإسلامية ٢/ ١٩٤؛ نزهة الأنام ص ١٣٨.

(2) المسلك السهل ص ٣٥١؛ نفح الطيب ٢/ ٥٠٢؛ ديوان الجراوي ص ١٤٧ وفيه مزيد من التخريج.

فلمَّا وَنَتْ في ٱلسَّيْرِ عَاوَدْتُ فكانت لها سَوْطًا إلى ضَحْوَةِ الْغَدِ[1]

* * *

شاعر في لحية طويلة عريضة:

يا لحْيَةَ الشَّيْخ الأزَبِّ تميم أهديت للأقوام عرف الثُّوم
لو أنها دون السماء غمامَةً ضاقَتْ مسالكُ دعوة المظلُوم
أو صبَّها في الماء ثم سَمَا بِها قامتْ مقام العارِضِ المرْكُومِ[2]

* * *

أبو الفتح محمود بن إسماعيل (ابن قادوس):

ورُبَّ أنفٍ لصديقٍ لنا تحديدُه لَيْسَ بمعلوم
ليسَ على العرشِ له حاجبٌ كأنه دعوةُ مظلوم[3]

* * *

قال أبو حامد المَرْوَرُوذِي: كان بالشام قاصٌّ يقصُّ ويقولُ: اللَّهُمَّ أهْلِكْ أبا حسَّان الدَّقَّاق فإنَّه تَرَبَّصَ بالمسلمين وفَعَلَ السُّوءى بهم. ومنزلُه أوَّل بابٍ في الدَّرْبِ على يَسارِكَ[4].

* * *

بات أبو العيناء مع ابن مكرم في بيت، فتأذى بغطيطه، فتحول إلى الصفَّة فلحق به، فصعد إلى الغرفة فسمعه، فقال: ما أشبه نخيرك إلاَّ بدعوة المظلوم،

---

(١) رفع الحجب المستورة ٣/ ٩٢٧ «دون نسبة»؛ أمالي القالي ١/ ٢٥٥؛ الشكوى والعتاب ص ١٢٨ «لأعرابي».

(٢) شرح مقامات الحريري ١/ ٨٨؛ نفحات الأزهار ص ٥٨؛ المغرب في حلي المغرب ١/ ٤٠٠؛ وورد البيت الثاني فقط منسوب لأبي علي إدريس بن اليمان العبدي برواية: «لم تخترقها دعوة المظلوم».

(٣) خريدة (مصر) ١/ ٢٣٤؛ الازدهار ص ٥٥؛ معاهد التنصيص ٣/ ٢٣ (دون نسبة).

(٤) البصائر والذخائر ٣/ ٦٢.

والريح العقيم، ليس دونهما حجاب[1].

* * *

حكى التنوخيُّ قال: كان بالبصرة إنسانٌ يُعرف بأبـي محمد التومني، كثير الأدب والمعرفة، حسن النشوار والمحاضرة، وعادته جاريةٌ بالتصدِّي لخطاب العُمَّال عن أهل البصرة والقيام بِحُجَجِهِم في كل مُعضلة، فلمَّا ورد الصيمريُّ البصرةَ طالب الناس مطالبةً اعترضه التومنيُّ فيها على عادته وقال له في عُرض قوله: بلدُنا أيها الأستاذ كثيرُ الصلحاء ضعيفُ الأهل، وما أحمَدَ أحدٌ قطُّ حَيْفَه عليهم وإساءَتَه إليهم، وربَّما وَكَلُوكَ إلى الله تعالى ورَمَوْكَ بسهام الليل (يعني الدُّعاء).

فقال له الصيمريُّ: سهامُ اللَّيل في لِحْيَتِكَ يا شيخ (يعني الضراط)! فاستحيا الرجلُ وانصرف[2].

* * *

في سنة ست وخمسين ومائة ظفر الهيثم بن معاوية نائب المنصور على البصرة بعمرو بن شداد، الذي كان عاملاً لإبراهيم بن محمد على فارس، فقيل: أمر فقُطِعت يداه ورجلاه وضربت عنقه ثم صلب. وفيها عزل المنصور الهيثم بن معاوية هذا الذي فعل هذه الفعلة عن البصرة وولى عليها قاضيها سوار بن عبد الله، فجمع له بين القضاء والصلاة، وجعل على شرطتها وأحداثها سعيد بن دعلج.

ورجع الهيثم بن معاوية قاتل عمرو بن شداد إلى بغداد، فمات فيها فجأة في هذه السنة، وهو على بطن جارية له، وصلَّى عليه المنصور ودفن في مقابر بني هاشم، ويقال إنه أصابته دعوة عمرو بن شداد الذي قتله تلك القتلة[3].

❑ ❑ ❑

(١) ربيع الأبرار ص ٢٢١؛ ثمار القلوب ص ٦٧٤؛ أبو الضياء ص ١٧٠؛ نثر الدر ٣/ ٢١٥؛ معجم الأدباء ١٨/ ٢٩٢؛ نكت الهميان ص ٢٦٩.

(٢) الهفوات النادرة ص ٢٩٦؛ نشوار المحاضرة ١/ ١٧١.

(٣) البداية والنهاية ١٠/ ١١٤.

خاتـمة

﴿فَقُطِعَ دَابِرُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ ۚ وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٤٥﴾﴾ .

[الأنعام: ٤٥]

فهرس المصادر والمراجع

١ ــ أعيان العصر وأعوان النصر: خليل بن أيبك الصفدي، تحقيق علي أبو زيد وآخرون، دار الفكر، ط ١، ١٩٩٨م.

٢ ــ أسرار الحكماء: ياقوت بن عبد الله المستعصمي، تحقيق إبراهيم صالح وسميح صالح، دار البشائر، ط ١، ١٩٩٤م.

٣ ــ آل وهب من الأسر الأدبية في العصر العباسي: يونس أحمد السامرائي، مطبعة المعارف، ط ١، ١٩٧٩م.

٤ ــ أمل الآمل: محمد بن الحسن الحرّ العاملي، مؤسسة الوفاء، ط ٢، ١٩٨٣م.

٥ ــ أدب المجالسة وحمد اللسان: ابن عبد البرّ يوسف بن عبد الله، تحقيق سمير حلبي، دار الصحابة ط ١، ١٩٨٩م.

٦ ــ الأجوبة المسكتة: ابن أبي عون إبراهيم بن محمد، تحقيق مي أحمد يوسف، عين للدراسات، ط ١، ١٩٩٦م.

٧ ــ أمالي ابن دريد: (انظر تعليق من أمالي ابن دريد).

٨ ــ ابتلاء الأخيار بالنساء الأشرار: إسماعيل بن نصر بن عبد المحسن، تحقيق رياض مصطفى، دار الجيل، ط ١، ١٩٩٢م.

٩ ــ أنس المسجون وراحة المحزون: صفي الدِّين عيسى بن البحتري الحلبي، تحقيق محمد أديب الجادر، دار صادر، ط ١، ١٩٩٧م.

١٠ ــ أعلام النبلاء بتاريخ حلب الشهباء: محمد راغب الطبَّاخ، تحقيق محمد كمال، دار القلم، ط ٢، ١٩٨٩م.

١١ ــ الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل: عبد الرحمن بن محمد الحنبلي، منشورات الشريف الرَّضي، ط ٢، ١٤١٠هـ.

١٢ ـ اقتضاء العلم العمل: أحمد بن علي الخطيب البغدادي، تحقيق محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي، ط ٥، ١٩٨٤م.
١٣ ـ إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري: أحمد بن محمد القسطلاني، دار الفكر، ١٩٨٩م.
١٤ ـ الأسرار المرفوعة في الأخبار الموضوعة: الملاَّ علي القاري، تحقيق محمد بسيوني زغلول، دار الكتب العلمية، ط ١، ١٩٨٥م.
١٥ ـ أسنى المطالب في أحاديث مختلفة المراتب: محمد درويش الحوت، دار الكتاب العربي، ط ٢، ١٩٨٣م.
١٦ ـ أنساب الأشراف: أحمد بن يحيى البلاذري، تحقيق سهيل زكَّار، دار الفكر، ط ١، ١٩٩٦م.
١٧ ـ أخبار القضاة: وكيع محمد بن خلف، عالم الكتب، (بدون تاريخ).
١٨ ـ الأمالي الخميسية: يحيى بن الحسين الشجري، عالم الكتب، ط ٣، ١٩٨٣م.
١٩ ـ أدب الدنيا والدِّين: علي بن محمد الماوردي، تحقيق ياسين محمد السَّواس، دار ابن كثير، ط ٢، ١٩٩٥م.
٢٠ ـ الاعتبار وأعقاب السرور والأحزان: ابن أبي الدنيا عبد الله بن محمد، تحقيق نجم عبد الرحمن خلف، دار البشير، ١٩٩٣م.
٢١ ـ الازدهار في ما عقده الشعراء من الأحاديث والآثار: جلال الدِّين عبد الرحمن السيوطي، تحقيق علي حسين البوَّاب، المكتب الإسلامي، ط ١، ١٩٩١م.
٢٢ ـ أنوار الربيع في أنواع البديع: علي صدر الدِّين ابن معصوم المدني، تحقيق شاكر هادي شكر، مطبعة النَّجف، ط ١، ١٩٦٨م.
٢٣ ـ ألف ليلة وليلة: محمد قطَّة العدوي، دار صادر مصوَّرة عن طبعة بولاق.
٢٤ ـ الآداب الشرعية: محمد بن مفلح المقدسي، تحقيق شعيب الأرناؤوط وعمر القيَّام، مؤسسة الرسالة ط ٢، ١٩٩٦م.
٢٥ ـ الأدب اليمني: عبد الله محمد الحبشي، الدار اليمنية، ط ١، ١٩٨٦م.
٢٦ ـ أخبار الفقهاء والمحدثين: محمد بن حارث الخشني القيرواني، تحقيق سالم مصطفى البدري، دار الكتب العلمية، ط ١، ١٩٩٩م.
٢٧ ـ إنباء الغمر بأبناء العمر: أحمد بن حجر العسقلاني، تحقيق محمد عبد المعيد خان، دار الكتب العلمية، ط ٢، ١٩٨٦م.

٢٨ ـ البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب: ابن عذارى المركشي، تحقيق ليفي بروفنسال وإحسان عبّاس، دار الثقافة، ط ٢، ١٩٨٠م.
٢٩ ـ بغية الطلب في تاريخ حلب: كمال الدِّين عمر ابن العديم، تحقيق سهيل زكّار، مطابع دار البعث، ١٩٨٨م.
٣٠ ـ بهجة المجالس وأنس المُجالس: ابن عبد البرّ يوسف بن عبد الله، تحقيق محمد مرسي الخولي، دار الكتب العلمية، ط ٢، (دون تاريخ).
٣١ ـ البصائر والذخائر: أبو حيَّان التوحيدي علي بن محمد، تحقيق وداد القاضي، دار صادر، ط ١، ١٩٨٨م.
٣٢ ـ البيان والتبيين: عمرو بن بحر الجاحظ، تحقيق عبد السلام هارون، دار محمد فاتح الدَّاية، ط ٤، (دون تاريخ).
٣٣ ـ البداية والنهاية: ابن كثير إسماعيل بن عمر، مكتبة المعارف، ط ٦، ١٩٨٥م.
٣٤ ـ بلاغات النِّساء: ابن طيفور أحمد بن أبي طاهر، دار الحداثة، ط ١، ١٩٨٧م.
٣٥ ـ بحر الدموع: ابن الجوزي عبد الرحمن بن علي، دار الصحابة، ط ١، ١٩٩٢م.
٣٦ ـ البرّ والصِّلة: ابن الجوزي عبد الرحمن بن علي، تحقيق عادل عبد الموجود وعلي معوَّض، دار الجيل ومكتبة السنَّة، ١٩٩٣م.
٣٧ ـ التمثيل والمحاضرة: الثعالبي عبد الملك بن محمد، تحقيق عبد الفتاح محمد الحلو، الدار العربية للكتاب، ط ٢، ١٩٨٣م.
٣٨ ـ تنبيه الغافلين: أبو اللَّيث نصر السمرقندي، تحقيق يوسف علي بديوي، دار ابن كثير، ط ٢، ١٩٩٥م.
٣٩ ـ تزيين الأسواق في أخبار العشَّاق: داود الأنطاكي، دار حمد ومحيو، ط ١، ١٩٧٢م.
٤٠ ـ تاريخ حوادث الزمان وأنبائه: محمد بن إبراهيم الجزري، تحقيق عمر عبد السلام تدمري، المكتبة العصرية، ط ١، ١٩٩٨م.
٤١ ـ تاج المفرق في تحلية علماء المشرق: خالد بن عيسى البلوي، تحقيق الحسن السائح، صندوق إحياء التراث الإسلامي، (دون تاريخ).
٤٢ ـ تعليق من أمالي ابن دريد: ابن دريد محمد بن الحسين، تحقيق مصطفى السنوسي، حكومة الكويت، ط ١، ١٩٨٤م.

٤٣ ـ تاريخ الطبري: محمد بن جرير الطبري، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار التراث، ط ٢، ١٩٦٧م.

٤٤ ـ التعريف بالقاضي عياض: محمد ابن القاضي عياض، تحقيق محمد بن شريفة، دار الثقافة المغرب، ط ٢، ١٩٨٢م.

٤٥ ـ تذكرة الحفاظ: محمد بن أحمد الذهبي، دار الكتب العلمية، (دون تاريخ).

٤٦ ـ التذكرة في أحوال الموتى وأمور الآخرة: محمد بن أبي بكر القرطبي، تحقيق محمود بن منصور البطويسي، دار البخاري، ط ١، ١٩٩٧م.

٤٧ ـ التذكرة في الوعظ: ابن الجوزي عبد الرحمن بن علي، تحقيق أحمد عبد الوهاب فتيح، دار المعرفة، ط ١، ١٩٨٦م.

٤٨ ـ التبصرة: ابن الجوزي عبد الرحمن بن علي، تحقيق مصطفى عبد الواحد، مطبعة البابي الحلبي، ط ١، ١٩٧٠م.

٤٩ ـ التشوّف إلى رجال التصوّف، يوسف بن يحيى التادلي، تحقيق أحمد التوفيق، جامعة محمد الخامس، ط ٢، ١٩٩٧م.

٥٠ ـ تبصرة الغافل وتذكرة العاقل: محمد الطيب المريني، تحقيق بسام محمد بارود، المجمع الثقافي ١٩٩٩م.

٥١ ـ تاريخ مدينة دمشق: ابن عساكر علي بن الحسن الشافعي، تحقيق محب الدِّين عمر بن غرامة العمروي، دار الفكر ١٩٩٥م.

٥٢ ـ تاريخ بغداد: أحمد بن علي الخطيب البغدادي، دار الكتب العلمية.

٥٣ ـ تذكرة الخواص: سبط ابن الجوزي، مؤسسة أهل البيت ١٩٨١م.

٥٤ ـ تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام: محمد بن أحمد الذهبي، تحقيق عمر عبد السلام تدمري، دار الكتاب العربي ط ١، ١٩٨٧م.

٥٥ ـ تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي: محمد عبد الرحمن المباركفوري، دار الكتب العلمية، ط ١، ١٩٩٠م.

٥٦ ـ تمييز الطيب من الخبيث: ابن الديبع عبد الرحمن بن علي، تحقيق خليل الميس، دار الكتب العلمية، ط ٣، ١٩٨٨م.

٥٧ ـ التبر المسبوك في نصيحة الملوك: أبو حامد محمد الغزالي، تحقيق محمد أحمد دمج، مؤسسة عزّ الدِّين ١٩٩٦م.

٥٨ ـ تاريخ الثقات: أحمد بن عبد الله العجلي، تحقيق عبد المعطي قلعجي، دار الكتب العلمية، ط ١، ١٩٨٤م.
٥٩ ـ تاريخ الخلفاء: جلال الدِّين بن عبد الرحمن السيوطي، تحقيق محمد محيـي الدِّين عبد الحميد، المكتبة العصرية ١٩٨٩م.
٦٠ ـ ترتيب المدارك وتقريب المسالك: القاضي عياض، تحقيق أحمد بكيه محمود، دار مكتبة الحياة ١٩٦٧م.
٦١ ـ التوابين: ابن قدامة المقدسي عبد الله بن أحمد، تحقيق عبد القادر الأرناؤوط، دار الكتب العلمية ١٩٨٣م.
٦٢ ـ التذكرة الحمدونية: محمد بن الحسن بن حمدون، تحقيق إحسان عباس، دار صادر، ط ١، ١٩٩٦م.
٦٣ ـ تحفة الإخباري بترجمة البخاري «بهامش التنقيح في حديث التسبيح»: ابن ناصر الدِّين الدمشقي، تحقيق محمد ناصر العجمي، دار البشائر الإسلامية، ط ١، ١٩٩٣م.
٦٤ ـ تحفة الأنام في فضائل الشام: أحمد بن محمد البصروي، تحقيق عبد العزيز فيَّاض، دار البشائر، ١٩٩٨م.
٦٥ ـ ثمار القلوب في المضاف والمنسوب: الثعالبي عبد الملك بن محمد بن إسماعيل، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، (دون تاريخ).
٦٦ ـ ثمرات الأوراق، ابن حجَّة الحموي علي بن محمد، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الجيل، ط ٢، ١٩٨٧م.
٦٧ ـ جنة الرِّضا في التسليم لما قدر الله وقضى: محمد بن عاصم الغرناطي، تحقيق صلاح جرَّار، دار البشير ١٩٨٩م.
٦٨ ـ جذوة الاقتباس في ذكر من حلَّ من الأعلام مدينة فاس: أحمد ابن القاضي المكناسي، دار المنصور ١٩٧٣م.
٦٩ ـ الجليس الصالح والأنيس النَّاصح: سبط ابن الجوزي، تحقيق فواز صالح فواز، دار رياض الريس، ١٩٨٩م.
٧٠ ـ جامع العلوم والحكم: ابن رجب عبد الرحمن البغدادي، تحقيق شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، ط ٦، ١٩٩٥م.

٧١ ـ الجوهر النَّفيس في سياسة الرئيس: ابن الحدَّاد محمد بن منصور بن حبيش، تحقيق رضوان السيِّد، دار الطَّليعة، ط ١، ١٩٨٣م.

٧٢ ـ الجدّ الحثيث في بيان ما ليس بحديث: أحمد بن عبد الكريم الغزي، تحقيق فواز أحمد زمرلي، دار ابن حزم، ط ١، ١٩٩٧م.

٧٣ ـ الجليس الصالح الكافي والأنيس النَّاصح الشافي: أبو الفرج المعافى ابن زكريا النهرواني، تحقيق محمد الخولي وإحسان عباس، عالم الكتب، ط ١، ١٩٨١م.

٧٤ ـ الجواهر اللؤلؤية في شرح الأربعين النوويَّة: محمد بن عبد الله الدِّمياطي، تحقيق يوسف علي بديوي، اليمامة للطبع، ط ١، ١٩٩٨م.

٧٥ ـ حماسة الظرفاء: محمد بن الحسن العبد الكافي الزوزني، تحقيق محمد بهي الدِّين محمد سالم، دار الكتاب العربي واللبناني، ط ١، ١٩٩٩م.

٧٦ ـ الحماسة الشجرية: ابن الشجري علي بن حمزة العلوي، تحقيق عبد المعين الموبلحي وأسماء الحمصي، وزارة الثقافة، دمشق ١٩٧٠م.

٧٧ ـ الحماسة الصغرى (انظر: الوحشيات).

٧٨ ـ الحكمة الخالدة: أحمد بن محمد مسكويه، تحقيق عبد الرحمن بدوي، دار الأندلس، ط ٣، ١٩٨٣م.

٧٩ ـ الحلَّة السيراء: ابن الأبَّار محمد بن عبد الله القضاعي، تحقيق حسين مؤنس، دار المعارف، ط ٢، ١٩٨٥م.

٨٠ ـ حلية الأولياء وطبقات الأصفياء أبو نعيم أحمد بن عبد الله الأصبهاني، دار الكتاب العربي، ط ٥، ١٩٨٧م.

٨١ ـ حدائق الإنعام في فضائل الشام: عبد الرحمن بن إبراهيم الدمشقي، تحقيق يوسف بديوي، دار المكتبي، ط ٢، ١٩٩٩م.

٨٢ ـ خلاصة الذهب المسبوك مختصر سير الملوك: عبد الرحمن سنبط الأربلي، تحقيق مكيّ السيد جاسم، مكتبة المثنى، (دون تاريخ).

٨٣ ـ خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر: محمد أمين بن فضل الله المحبِّي، دار صادر.

٨٤ ـ خريدة القصر وجريدة العصر (قسم العراق): عماد الدِّين الأصبهاني الكاتب، تحقيق محمد بهجة الأثري، المجمع العلمي العراقي ١٩٥٥م.

٨٥ ــ خريدة القصر وجريدة العصر (قسم مصر): عماد الدِّين الأصبهاني الكاتب، تحقيق أحمد أمين وشوقي ضيف وإحسان عباس.
٨٦ ــ خريدة القصر وجريدة العصر (قسم أصفهان): عماد الدِّين الأصبهاني الكاتب، تحقيق عدنان محمد آل طعمة، مرآة التُّراث ط ١، ١٩٩٩م.
٨٧ ــ خريدة القصر وجريدة العصر (قسم الشام): عماد الدِّين الأصبهاني الكاتب، تحقيق شكري فيصل، المطبعة الهاشمية ١٩٥٥م.
٨٨ ــ خزانة الأدب وغاية الأرب: ابن حجَّة الحموي علي بن محمد، تحقيق عصام شعيتو، دار مكتبة الهلال، ط ٢، ١٩٩١م.
٨٩ ــ ديوان الصبابة: ابن أبـي حجلة التلمساني، تحقيق محمد زغلول سلام، منشأة المعارف.
٩٠ ــ ديوان وكيع: الحسن بن علي الضّبـي، تحقيق هلال ناجي، دار الجيل، ط ١، ١٩٩١م.
٩١ ــ ديوان معاوية بن أبـي سفيان: فاروق سليم أحمد، دار صادر، ط ١، ١٩٩٦م.
٩٢ ــ ديوان المفتي عبد اللطيف فتح الله، تحقيق زهير فتح الله، دار فرانتس، ١٩٨٤م.
٩٣ ــ ديوان الشريف الرضي: محمد بن أبـي أحمد الحسين الموسوي، دار صادر.
٩٤ ــ ديوان ابن المقرب: علي بن المقرب العيوني، تحقيق عبد الفتاح محمد الحلو، مكتبة التعاون، ط ٢، ١٩٨٨م.
٩٥ ــ ديوان أبـي بكر الخوارزمي: محمد بن العباس الخوارزمي، تحقيق حامد صدقي، وزارة الثقافة والإرشاد الإسلامي، ط ١، ١٩٩٧م.
٩٦ ــ ديوان صالح بن عبد القدوس. (انظر: صالح بن عبد القدوس).
٩٧ ــ ديوان بشر بن أبـي خازم الأسدي، تحقيق عزَّة حسن، دار الشرق العربـي، ١٩٩٥م.
٩٨ ــ ديوان لزوم ما يلزم (اللزوميات): أبو العلاء المعرِّي أحمد بن عبد الله، تحقيق وحيد كبابة وحسن حمد، دار الكتاب العربـي، ط ١، ١٩٩٦م.
٩٩ ــ ديوان الحكيم: أبو الصَّلت أميَّة بن عبد العزيز الداني، تحقيق محمد المرزوقي، دار بو سلامة ١٩٧٩م.
١٠٠ ــ ديوان زهير بن أبـي سلمى (انظر: شرح شعر زهير بن أبـي سلمى).

١٠١ ــ ديوان ابن الوردي: عمر بن المظفر بن عمر الوردي، تحقيق أحمد فوزي الهيب، دار القلم، ط ١، ١٩٨٦م.
١٠٢ ــ ديوان الباهلي: محمد بن حازم الباهلي، تحقيق محمد خير البقاعي، دار قتيبة ١٩٨٢م.
١٠٣ ــ ديوان الإمام الشافعي: محمد بن إدريس الشافعي، تحقيق أميل بديع يعقوب، دار الكتاب العربي، ط ١، ١٩٩١م.
١٠٤ ــ ديوان المعاني: أبو هلال العسكري، دار الأضواء، ط ١، ١٩٨٩م.
١٠٥ ــ ديوان ابن نباتة المصري: جمال الدِّين بن نباتة المصري، دار إحياء التراث العربي.
١٠٦ ــ ديوان عبد الحميد الحويزي، تحقيق حميد مجيد هدو، دار مكتبة الحياة ١٩٦٧م.
١٠٧ ــ ديوان علي الشرقي، تحقيق إبراهيم الوائلي وموسى الكرباسي، وزارة الثقافة والإعلام، ط ٢، ١٩٨٦م.
١٠٨ ــ درر العقود الفريدة في تراجم الأبيات المفيدة: أحمد بن علي المقريزي، تحقيق عدنان درويش ومحمد المصري، وزارة الثقافة، دمشق ١٩٩٥م.
١٠٩ ــ درر الحكم: الثعالبي عبد الملك بن محمد بن إسماعيل، مكتبة ابن سينا.
١١٠ ــ الدرر المنتثرة في الأحاديث المشتهرة: جلال الدِّين عبد الرحمن السيوطي، تحقيق محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، ط ١، ١٩٨٨م.
١١١ ــ دمية القصر وعصرة أهل العصر: علي بن الحسن الباخرزي، تحقيق محمد التونجي، دار الجيل، ط ١، ١٩٩٣م.
١١٢ ــ الدرَّة الخريدة شرح الياقوتة الفريدة: محمد فتحا النَّظيفي، تحقيق عبد اللطيف عبد الرحمن، دار الكتب العلمية، ط ١، ١٩٩٨م.
١١٣ ــ درَّة الحجال في أسماء الرِّجال: أحمد بن محمد ابن القاضي، تحقيق محمد الأحمدي أبو النُّور، دار التراث ط ١، ١٩٧٥م.
١١٤ ــ الذيل على طبقات الحنابلة: ابن رجب عبد الرحمن بن شهاب الدِّين أحمد البغدادي، دار المعرفة.
١١٥ ــ ذمّ البغي: ابن أبي الدنيا عبد الله بن محمد، تحقيق نجم عبد الرحمن خلف، دار الرَّاية، ط ١، ١٩٨٨م.

١١٦ ـ الذهب المسبوك في وعظ الملوك: محمد بن أبـي نصر الحميدي، تحقيق ابن عقيل الظاهري وعبد الحليم عويس، عالم الكتب، ط ١، ١٩٨٢م.

١١٧ ـ الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة: علي بن بسَّام الشنتربيني، تحقيق إحسان عباس، دار الثقافة ١٩٧٩م.

١١٨ ـ رفع الحجب المستورة عن محاسن المقصورة: محمد الشريف الغرناطي، تحقيق محمد الحجوي، وزارة الثقافة المغرب، ١٩٩٧م.

١١٩ ـ رفع الريبة فيما يجوز وما لا يجوز من الغيبة: محمد بن علي الشوكاني، تحقيق عقيل بن محمد المقطري، دار النفائس وابن حزم، ط ١، ١٩٩٢م.

١٢٠ ـ الرسالة البغدادية: أبو حيان التوحيدي علي بن محمد، تحقيق عبُّود الشالجي، منشورات الجمل، ط ١، ١٩٩٧م.

١٢١ ـ الروض الفائق في المواعظ والرقائق: شعيب بن سعد الحريفيش، تحقيق خليل المنصور، دار الكتب العلمية، ط ١، ١٩٩٧م.

١٢٢ ـ رحلة ابن معصوم: علي صدر الدِّين ابن معصوم المدني، تحقيق شاكر هادي شكر، عالم الكتب، ط ١، ١٩٨٨م.

١٢٣ ـ الرسالة القشيرية: عبد الكريم بن هوازن النيسابوري، تحقيق معروف زريق وعلي عبد الحميد، دار الخير، ط ١، ١٩٨٨م.

١٢٤ ـ روضة الورد: سعدي الشيرازي، تحقيق محمد الفراتي، دار طلاس.

١٢٥ ـ رسوم دار الخلافة: هلال بن المحسِّن الصابـىء، ميخائيل عوَّاد، دار الرائد العربـي، ط ٢، ١٩٨٦م.

١٢٦ ـ الرِّقة والبكاء: ابن قدامة المقدسي عبد الله بن أحمد، تحقيق أحمد بن أبـي العينين، دار الصحابة، ط ١، ١٩٩٢م.

١٢٧ ـ روض الرياحين في حكايات الصالحين: عبد الله بن أسعد اليافعي، تحقيق عبد الرزاق عبد الرحمن السعدي، دار الأنبار، ط ١، ١٩٨٩م.

١٢٨ ـ رسائل الجاحظ: عمرو بن بحر الجاحظ، تحقيق عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي.

١٢٩ ـ ربيع الأبرار: محمود بن عمر الزمخشري، تحقيق سليم النعيمي.

١٣٠ ـ روضات الجنّات في أحوال العلماء والسّادات: محمد باقر الموسوي، الدار الإسلامية، ط ١، ١٩٩١م.
١٣١ ـ الزاهر في بيان ما يجتنب من الخبائث الصغائر والكبائر: علي بن محمد بن فرحون القرطبي، تحقيق محمد حسن، دار الكتب العلمية، ط ١، ١٩٩٧م.
١٣٢ ـ الزهد: وكيع بن الجرَّاح، تحقيق عبد الرحمن عبد الجبّار الفريوائي مكتبة الدَّار، ط ١، ١٩٨٤م.
١٣٣ ـ الزهد: هنَّاد بن السري الكوفي، تحقيق عبد الرحمن عبد الجبار الفريوائي، دار الخلفاء، ط ١، ١٩٨٥م.
١٣٤ ـ الزهد والرقائق: عبد الله بن المبارك، تحقيق حبيب الرحمن الأعظمي، دار الكتب العلمية.
١٣٥ ـ الزهد والرقائق: عبد الله بن المبارك، تحقيق أحمد فريد، مكتبة ابن تيمية، ط ١، ١٩٩٨م.
١٣٦ ـ الزهد: أبو داود سليمان بن الأشعث السجستاني، تحقيق ياسر إبراهيم وغنيم عباس، دار المشكاة، ط ١، ١٩٩٣م.
١٣٧ ـ الزهد: أحمد بن حنبل، دار الكتب العلمية، ط ١، ١٩٨٣م.
١٣٨ ـ زهر الرَّبيع: السيد نعمة الله الجزائري، دار الجنان، ط ١، ١٩٩٤م.
١٣٩ ـ سير أعلام النبلاء: الذهبي محمد بن أحمد، تحقيق شعيب الأرناؤوط وآخرون، مؤسسة الرسالة، ط ٤، ١٩٨٦م.
١٤٠ ـ سلسلة الأحاديث الصحيحة: محمد ناصر الدِّين الألباني، مكتبة المعارف، ط ١، ١٩٩٥م.
١٤١ ـ سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة: محمد ناصر الدِّين الألباني، مكتبة المعارف، ط ٢، ٢٠٠٠م.
١٤٢ ـ سكردان السلطان (بهامش المخلاة) ابن أبي حجلة أحمد التلمساني، دار المعرفة ١٩٧٩م.
١٤٣ ـ سراج الملوك: تحقيق جعفر البياتي، دار رياض الريِّس، ط ١، ١٩٩٠م.
١٤٤ ـ السنَّة: عمرو بن عاصم الضحَّاك الشيباني، تحقيق محمد ناصر الدِّين الألباني، المكتب الإسلامي، ط ٢، ١٩٨٥م.

١٤٥ ـ الشفاء في مواعظ الملوك: ابن الجوزي عبد الرحمن بن علي، تحقيق فؤاد عبد المنعم أحمد، دار الحرمين، ط ٢، ١٩٨٢م.
١٤٦ ـ شرح أشعار الهذليين: الحسن بن الحسين السّكري، تحقيق عبد الستار أحمد فراج، مكتبة دار المعرفة.
١٤٧ ـ الشهب اللأمعة في السياسة النافعة: أبو القاسم ابن رضوان المالقي، تحقيق علي سامي النشّار، دار الثقافة، ط ١، ١٩٨٤م.
١٤٨ ـ شرح شعر زهير بن أبي سلمى: تحقيق فخر الدّين قباوة، دار الآفاق الجديدة، ط ٢، ١٩٨٢م.
١٤٩ ـ شذرات الذهب في أخبار من ذهب: عبد الحي بن أحمد ابن العماد، تحقيق محمد الأرناؤوط، دار ابن كثير، ط ١، ١٩٨٦م.
١٥٠ ـ الشذا المؤنس في الورد والنرجس: علي الجندي، مطبعة الأنجلو.
١٥١ ـ شرح مقامات الحريري: أحمد بن عبد المؤمن الشريشي، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية ١٩٩٢م.
١٥٢ ـ الشكوى والعتاب: الثعالبي عبد الملك بن محمد إسماعيل، دار الصحابة، ط ١، ١٩٩٢م.
١٥٣ ـ صالح بن عبد القدوس ـ عصره، حياته، شعره: عبد الله الخطيب، دار منشورات البصري، ١٩٦٧م.
١٥٤ ـ صفة الصفوة: ابن الجوزي عبد الرحمن بن علي، تحقيق محمد فاخوري، دار المعرفة، ط ٣، ١٩٨٥م.
١٥٥ ـ صحيح البخاري: محمد بن إسماعيل البخاري، تحقيق مصطفى ديب البغا، دار ابن كثير واليمامة، ط ٥، ١٩٩٣م.
١٥٦ ـ صحيح مسلم: مسلم بن الحجاج القشيري، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، دار ابن حزم ط ١، ١٩٩٥م.
١٥٧ ـ صحيح سنن النسائي: أحمد بن شعيب النَّسائي، تحقيق محمد ناصر الدِّين الألباني، مكتب التربية العربي، ط ١، ١٩٨٨م.
١٥٨ ـ صحيح سنن الترمذي: محمد بن عيسى الترمذي، تحقيق محمد ناصر الدِّين الألباني، مكتب التربية العربي، ط ١، ١٩٨٨م.

١٥٩ ـ صحيح سنن ابن ماجه: محمد بن يزيد بن عبد الله ابن ماجه القزويني، تحقيق محمد ناصر الدِّين الألباني، مكتب التربية العربي، ط ٣، ١٩٨٨م.

١٦٠ ـ صحيح سنن أبي داود: أبو داود سليمان بن الأشعث السجستاني، تحقيق محمد ناصر الدِّين الألباني، مكتب التربية العربي، ط ١، ١٩٨٩م.

١٦١ ـ صحيح الأدب المفرد: محمد بن إسماعيل البخاري، تحقيق محمد ناصر الدِّين الألباني، مكتبة الدَّليل ط ٤، ١٩٩٧م.

١٦٢ ـ صحيح الجامع الصغير وزيادته، جلال الدِّين عبد الرحمن السيوطي، محمد ناصر الدِّين الألباني، المكتب الإسلامي، ط ٣، ١٩٨٢م.

١٦٣ ـ صحيح مسلم بشرح النووي: يحيى بن شرف النَّووي، دار الكتاب العربي، ١٩٨٧م.

١٦٤ ـ صحيح الوابل الصيِّب من الكلم الطَّيب: محمد ابن قيِّم الجوزية، تحقيق سليم الهلالي، دار ابن الجوزي، ط ٥، ١٩٩٨م.

١٦٥ ـ ضعيف الجامع الصَّغير وزيادته: جلال الدِّين عبد الرحمن السيوطي، تحقيق محمد ناصر الدِّين الألباني، المكتب الإسلامي ط ٢، ١٩٧٩م.

١٦٦ ـ ضعيف سنن الترمذي: محمد بن عيسى الترمذي، تحقيق محمد ناصر الدِّين الألباني، مكتبة المعارف، ط ١، ٢٠٠٠م.

١٦٧ ـ ضعيف سنن أبي داود: أبو داود سليمان بن الأشعث السجستاني، تحقيق محمد ناصر الدِّين الألباني، المكتب الإسلامي، ط ٧، ١٩٩١م.

١٦٨ ـ ضعيف سنن ابن ماجه: محمد بن يزيد بن عبد الله ابن ماجه القزويني، تحقيق محمد ناصر الدِّين الألباني، المكتب الإسلامي، ط ٧، ١٩٨٨م.

١٦٩ ـ طبقات الحنابلة: أبو الحسين محمد بن أبي يعلى، دار المعرفة.

١٧٠ ـ طبقات الفقهاء الشافعيَّة: ابن الصلاح عثمان بن عبد الرحمن الشهرزوري، تحقيق محيي الدِّين علي نجيب، دار البشائر الإسلامية، ط ١، ١٩٩٢هـ.

١٧١ ـ العبر في خبر من غبر: محمد بن أحمد الذهبي، تحقيق محمد بسيوني زغلول، دار الكتب العلمية.

١٧٢ ـ العنوان في الاحتراز من مكائد النسوان: علي بن محمد ابن البشنوني، تحقيق محمد التونجي، دار أمواج، ط ٢، ١٩٨٩م.

١٧٣ ــ العقد النفيس ونزهة الجليس: الثعالبي عبد الملك بن محمد بن إسماعيل، دار الصحابة، ط ١، ١٩٩٢م.

١٧٤ ــ عمدة القاري شرح صحيح البخاري: محمود بن أحمد العيني، دار الفكر.

١٧٥ ــ عون المعبود شرح سنن أبـي داود: محمد شمس الحق العظيم آبادي، دار الفكر، ط ٣، ١٩٧٩م.

١٧٦ ــ عيون التواريخ: محمد بن شاكر الكتبـي، تحقيق نبيلة عبد المنعم وفيصل السامر، وزارة الثقافة والإعلام، ١٩٨٤م.

١٧٧ ــ عيون التواريخ: محمد بن شاكر الكتبـي، تحقيق عفيف نايف حاطوم، دار الثقافة، ١٩٩٦م.

١٧٨ ــ العيال: ابن أبـي الدنيا عبد الله بن محمد، تحقيق نجم عبد الرحمن خلف، دار ابن القيِّم، ط ١، ١٩٩٠م.

١٧٩ ــ العقد الفريد: أحمد بن محمد بن عبد ربه الأندلسي، تحقيق أحمد أمين وأحمد الزين وإبراهيم الأبياري، لجنة التأليف والترجمة والنشر، ١٩٤٨م.

١٨٠ ــ عين الأدب والسياسة: علي بن عبد الرحمن بن هذيل، دار الكتب العلمية، ط ٢، ١٩٨٩م.

١٨١ ــ عيون الأخبار: عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري، مصورة دار الكتب، ١٩٢٥م.

١٨٢ ــ عقد الجمان في تاريخ أهل الزمان: بدر الدِّين محمود العيني، تحقيق محمد أحمد أمين، الهيئة المصرية ١٩٨٧م.

١٨٣ ــ العقد المذهب في طبقات حملة المذهب: عمر بن علي بن أحمد بن الملقِّن، تحقيق أيمن نصر الأزهري وسيد مهنى، دار الكتب العلمية، ط ١، ١٩٩٧م.

١٨٤ ــ الغيث المسجم في شرح لاميَّة العجم، خليل بن أيبك الصفدي، دار الكتب العلمية، ط ٢، ١٩٩٠م.

١٨٥ ــ فضيلة العادلين من الولاة: أبو نعيم أحمد بن عبد الله الأصبهاني، تحقيق مشهور بن حسن آل سلمان، دار الوطن، ط ١، ١٩٩٧م.

١٨٦ ــ الفصوص: صاعد بن الحسن البغدادي، تحقيق عبد الوهاب التازي سعود، وزارة الثقافة المغرب، ١٩٩٣م.

١٨٧ ــ الفوائد المجموعة في الأحاديث الموضوعة: محمد بن علي الشوكاني، تحقيق عبد الرحمن بن يحيى المعلمي، دار الكتب العلمية.

١٨٨ ــ فتح الباري بشرح صحيح البخاري: أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، تحقيق محبّ الدِّين الخطيب، دار الريَّان للتراث، ط ١، ١٩٨٦م.

١٨٩ ــ فيض القدير شرح الجامع الصَّغير: عبد الرؤوف المناوي، دار المعرفة، ط ٢، ١٩٧٢م.

١٩٠ ــ الفخري: محمد بن علي ابن طباطبا، دار صادر.

١٩١ ــ فوات الوفيات: محمد بن شاكر الكتبي، تحقيق إحسان عباس، دار صادر.

١٩٢ ــ الفرج بعد الشدَّة: أبو علي المحسّن بن علي التنوخي، تحقيق عبود الشالجي، دار صادر، ١٩٧٨م.

١٩٣ ــ فصل المقال في شرح كتاب الأمثال: أبو عبيد البكري، تحقيق إحسان عباس وعبد المجيد عابدين، دار الأمانة ومؤسسة الرسالة ١٩٧١م.

١٩٤ ــ قطر الغيث المسجم على لامية العجم (على هامش كتاب نفحات الأزهار)، عبد الرحمن الشافعي العلواني، عالم الكتب، ط ٣، ١٩٨٤م.

١٩٥ ــ الكشكول: بهاء الدِّين محمد العاملي، دار الكتاب اللبناني، ط ١، ١٩٨٣م.

١٩٦ ــ الكشكول: يوسف البحراني، منشورات الشريف الرضي، ط ١، ١٣٧٤هـ.

١٩٧ ــ الكشكول: السيد مهدي السويج، مؤسسة البلاغ، ط ١، ١٩٩١م.

١٩٨ ــ الكامل: المبرِّد محمد بن يزيد، تحقيق محمد أحمد الدَّالي، مؤسسة الرسالة، ط ١، ١٩٨٦م.

١٩٩ ــ الكبائر: محمد بن أحمد الذهبي، تحقيق أسامة صلاح الدِّين، دار إحياء العلوم والحكم، ط ٤، ١٩٩٨م.

٢٠٠ ــ الكنز المدفون والفلك المشحون: جلال الدِّين عبد الرحمن السيوطي، مطبعة البابي الحلبي ١٩٣٩م.

٢٠١ ــ كشف الخفاء ومزيل الإلباس: إسماعيل بن محمد العجلوني، تحقيق أحمد القلاش، مؤسسة الرسالة، ط ٥، ١٩٨٨م.

٢٠٢ ــ لطائف المعارف فيما لمواسم العام من الوظائف: ابن رجب عبد الرحمن بن أحمد البغدادي، تحقيق ياسين محمد السواس، دار ابن كثير، ط ١، ١٩٩٢م.

٢٠٣ ـ اللطف في الوعظ: ابن الجوزي عبد الرحمن بن علي، دار الكتب العلمية، ط ١، ١٩٨٤م.

٢٠٤ ـ لباب الآداب: أسامة بن منقذ، تحقيق أحمد محمد شاكر، دار الكتب السلفيَّة ١٩٨٧م.

٢٠٥ ـ المقصد الأرشد في ذكر أصحاب الإمام أحمد: ابن مفلح برهان الدِّين إبراهيم بن محمد، تحقيق عبد الرحمن العثيمين، مكتبة الرشد ط ١، ١٩٩٠م.

٢٠٦ ـ المسلك السهل في شرح توشيح ابن سهل: محمد الإفراني، تحقيق محمد العمري، وزارة الثقافة المغرب ١٩٩٧م.

٢٠٧ ـ المواكب الإسلامية في الممالك والمحاسن الشامية: محمد بن عيسى الصالحي، تحقيق حكمت إسماعيل، وزارة الثقافة، دمشق ١٩٩٢م.

٢٠٨ ـ مختصر التاريخ: ظهير الدِّين علي بن محمد ابن الكازوني، تحقيق مصطفى جواد، دار اقرأ، ط ١، ١٩٩١م.

٢٠٩ ـ المختار من نوادر الأخبار: محمد بن أحمد المقري، تحقيق أنور أبو سويلم، مؤسسة الرسالة، ط ١، ١٩٨٦م.

٢١٠ ـ معجم الشيوخ: محمد بن أحمد بن جميع الصيداوي، تحقيق عمر عبد السلام تدمري، مؤسسة الرسالة ودار الإيمان، ط ٢، ١٩٨٧م.

٢١١ ـ معجم شيوخ الذهبي: محمد بن أحمد الذهبي، تحقيق روحيَّة عبد الرحمن السيوفي، دار الكتب العلمية، ط ١، ١٩٩٠م.

٢١٢ ـ المواعظ والمجالس: ابن الجوزي عبد الرحمن بن علي، تحقيق محمد إبراهيم سنبل، دار الصحابة، ط ١، ١٩٩٠م.

٢١٣ ـ المدهش: ابن الجوزي عبد الرحمن بن علي، تحقيق مروان قبَّاني، دار الكتب العلمية.

٢١٤ ـ مختصر منهاج القاصدين: أحمد بن محمد المقدسي، تحقيق زهير شاويش، المكتب الإسلامي، ط ٥، ١٤٠٣هـ.

٢١٥ ـ مناقب الإمام الأعظم سفيان الثوري: محمد بن أحمد الذهبي، دار الصحابة، ط ١، ١٩٩٣م.

٢١٦ ـ مساوىء الأخلاق ومذمومها: محمد بن جعفر الخرائطي، تحقيق مصطفى بن أبي النصر، مكتبة السواري، ط ١، ١٩٩٢م.
٢١٧ ـ المناقب والمثالب: ريحان بن عبد الواحد الخوارزمي، تحقيق إبراهيم صالح، دار البشائر، ط ١، ١٩٩٩م.
٢١٨ ـ المروءة: محمد بن خلف بن المرزبان، تحقيق محمد خير رمضان يوسف، دار ابن حزم، ط ١، ١٩٩٩م.
٢١٩ ـ مرآة الجنان وعبرة اليقظان: عبد الله بن أسعد اليافعي، مؤسسة الأعلمي، ط ٢، ١٩٧٠م.
٢٢٠ ـ مقاتل الطَّالبيين: أبو الفرج الأصفهاني علي بن الحسين، تحقيق أحمد صقر، مؤسسة الأعلمي، ط ٢، ١٩٨٧م.
٢٢١ ـ مروج الذهب: علي بن الحسين المسعودي، تحقيق محمد محيي الدِّين عبد الحميد، دار الفكر، ط ٥، ١٩٧٣م.
٢٢٢ ـ المحتضَرين: ابن أبي الدنيا عبد الله بن محمد، تحقيق محمد خير رمضان يوسف، دار ابن حزم، ط ١، ١٩٩٧م.
٢٢٣ ـ مكارم الأخلاق: ابن أبي الدنيا عبد الله بن محمد، تحقيق محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، ط ١، ١٩٨٩م.
٢٢٤ ـ محاضرة الأبرار ومسامرة الأخيار: محيي الدِّين بن عربي، دار صادر.
٢٢٥ ـ معجم الشعراء: محمد بن عمران المرزباني، تحقيق عبد الستار محمد فراج، مطبعة البابي الحلبي ١٩٦٠م.
٢٢٦ ـ المجتنى: ابن دريد محمد بن الحسن، دار الفكر، ط ١، ١٩٧٩م.
٢٢٧ ـ مختصر رونق المجالس: عثمان بن يحيى الميري، دار الإيمان، ط ١، ١٩٨٥م.
٢٢٨ ـ المقفَّى الكبير: تقي الدِّين المقريزي، تحقيق محمد اليعلاوي، دار الغرب الإسلامي، ط ٧، ١٩٩١م.
٢٢٩ ـ المنهل الصافي والمستوفي بعد الوافي: ابن تغري بردي يوسف أبو المحاسن، تحقيق محمد أحمد أمين ونبيل محمد، الهيئة المصرية ١٩٨٤م.
٢٣٠ ـ المنتقى من أخبار الأصمعي: محمد بن عبد الواحد المقدسي، تحقيق محمد مطيع الحافظ، دار طلاس، ط ١، ١٩٨٧م.

٢٣١ ـ المنهج المسلوك في سياسة الملوك: عبد الرحمن عبد الله الشيزري، تحقيق علي عبد الله موسى، مكتبة المنار، ط ١، ١٩٨٧م.

٢٣٢ ـ المستجاد من فعلات الأجواد: أبو علي المحسن بن علي التنوخي، تحقيق محمد كرد علي، دار صادر ١٩٩٢م.

٢٣٣ ـ مختصر العلو: محمد بن أحمد الذهبي، تحقيق محمد ناصر الدِّين الألباني، المكتب الإسلامي، ط ١، ١٩٨١م.

٢٣٤ ـ المجالسة وجواهر العلم: أحمد بن مروان الدينوري، تحقيق مشهور بن حسن آل سلمان، دار ابن حزم، ط ١٠، ١٩٩٨م.

٢٣٥ ـ معالم الأدب العربي: عمر فرّوخ، دار العلم للملايين، ط ١، ١٩٨٥م.

٢٣٦ ـ مرآة الزمان في تاريخ الأعيان: سبط ابن الجوزي يوسف، تحقيق جنان جليل، الدار الوطنية ١٩٩٠م.

٢٣٧ ـ المنهج الأحمد في تراجم أصحاب الإمام أحمد: مجير الدِّين عبد الرحمن بن محمد العليمي، تحقيق محمد الأرناؤوط وآخرون، دار صادر، ط ١، ١٩٩٧م.

٢٣٨ ـ المكافأة وحسن العقبىٰ: أحمد يوسف الكاتب، تحقيق محمود محمد شاكر، دار الكتب العلمية.

٢٣٩ ـ مجمع الآداب في معجم الألقاب: ابن الفوطي عبد الرزاق بن أحمد، تحقيق محمد الكاظم، وزارة الثقافة والإرشاد الإسلامي، ط ١، ١٤١٦هـ.

٢٤٠ ـ موسوعة رسائل ابن أبي الدنيا: ابن أبي الدنيا عبد الله بن محمد، تحقيق مصطفى عبد القادر عطا، مؤسسة الكتب الثقافية، ط ١، ١٩٩٣م.

٢٤١ ـ المغرب في حلي المغرب: ابن سعيد المغربي، تحقيق شوقي ضيف، دار المعارف، ط ٣.

٢٤٢ ـ محاضرات الأدباء ومحاورة الشعراء البلغاء: حسين بن محمد الراغب الأصبهاني، دار مكتبة الحياة.

٢٤٣ ـ معاهد التنصيص على شواهد التلخيص: عبد الرحيم بن أحمد العباسي، تحقيق محيي الدِّين عبد الحميد، مطبعة السعادة ١٩٤٧م.

٢٤٤ ـ المحاسن والأضداد: عمرو بن بحر الجاحظ، تحقيق فوزي عطوي، دار صعب ١٩٦٩م.

٢٤٥ ـ الموضوعات من الأحاديث المرفوعات: ابن الجوزي عبد الرحمن بن علي، تحقيق نور الدِّين بن شكري، مكتبة أضواء السلف، ط ١، ١٩٩٧م.

٢٤٦ ـ موسوعة الأحاديث والآثار الضعيفة والموضوعة: علي حسن الجلبي وآخرون، مكتبة المعارف، ط ١، ١٩٩٩م.

٢٤٧ ـ معجم الأدباء: ياقوت الرومي، تحقيق مرجليوث، دار الفكر، ط ٣، ١٩٨٠م.

٢٤٨ ـ موسوعة الكنايات العاميَّة البغدادية: عبّود الشالجي، دار الكتب، ط ١، ١٩٨٣م.

٢٤٩ ـ المستطرف في كل فن مستظرف: شهاب الدِّين محمد الأبشيهي، تحقيق عبد الله أنيس الطباع، دار القلم، ١٩٨١م.

٢٥٠ ـ المخلاة: بهاء الدِّين محمد العاملي، تحقيق محمد خليل باشا، عالم الكتب، ط ١، ١٩٨٨م.

٢٥١ ـ من مطالع البدور في منازل السرور: علاء الدِّين علي البهائي، مطبعة إدارة الوطن، ط ١، ١٢٩٩هـ.

٢٥٢ ـ المنتظم في تاريخ الأمم والملوك: ابن الجوزي عبد الرحمن بن علي، تحقيق محمود عبد القادر ومصطفى عبد القادر، دار الكتب العلمية، ط ١، ١٩٩٢م.

٢٥٣ ـ المصباح المضيء في خلافة المستضيء: ابن الجوزي عبد الرحمن بن علي، تحقيق ناجية عبد الله إبراهيم، وزارة الأوقاف، ط ١، ١٩٧٦م.

٢٥٤ ـ المقاصد الحسنة في بيان كثير من الأحاديث المشتهرة على الألسنة: محمد عبد الرحمن السخاوي، تحقيق محمد عثمان الخشن، دار الكتاب العربي، ط ١، ١٩٨٥م.

٢٥٥ ـ المستغيثين بالله تعالى عند المهمَّات والحاجات: خلف بن عبد الملك ابن بشكوال الأندلسي، تحقيق أحمد حسن بسج، دار الكتب العلمية، ط ١، ١٩٩٩م.

٢٥٦ ـ نوادر الرسائل: تحقيق إبراهيم صالح، مؤسسة الرسالة، ط ٢، ١٩٨٦م.

٢٥٧ ـ نيل الابتهاج بتطريز الديباج: أحمد بابا التنبكي، تحقيق عبد الحميد عبد الله الهرامة، كلية الدعوة الإسلامية، ط ١، ١٩٨٩م.

٢٥٨ ـ نزهة المجالس ومنتخب النفائس: عبد الرحمن الصَّفوري، مؤسسة دار العلوم.

٢٥٩ ـ نسمة السَّحر بذكر من تشيَّع وشعر: ضياء الدِّين يوسف الصنعاني، تحقيق كامل سلمان الجبُوري، دار المؤرخ العربي، ط ١، ١٩٩٩م.

٢٦٠ ـ نشوار المحاضرة وأخبار المذاكرة: علي المحسن بن علي التنوخي، تحقيق عبُود الشالجي، ١٩٧١م.

٢٦١ ـ نزهة الأبصار والأسماع في أخبار ذوات القناع: بدر الدِّين سالم بن محمد الصدِّيق، منشورات المنى، ط ١، ١٩٩٤م.

٢٦٢ ـ نصيحة الملوك: الماوردي علي بن محمد بن حبيب، تحقيق خضر محمد خضر، مكتبة الفلاح، ط ١، ١٩٨٣م.

٢٦٣ ـ نزهة الجليس ومنية الأديب النفيس: العباس علي الموسوي، تحقيق محمد مهدي الخرسان، المطبعة الحيدرية، ١٩٦٧م.

٢٦٤ ـ نفحة الريحانة ورشحة طلاء الحانة: محمد أمين بن فضل الله المحبِّي، تحقيق عبد الفتاح محمد الحلو، مطبعة البابي حلبي، ط ١، ١٩٦٧م.

٢٦٥ ـ نفح الطِّيب من غصن الأندلس الرَّطيب: أحمد بن محمد المقري التلمساني، تحقيق إحسان عباس، دار صادر، ١٩٦٨م.

٢٦٦ ـ نفحة اليمن فيما يزول بذكره الشجن: أحمد بن محمد الشرواني، دار آزال، ١٩٨٥م.

٢٦٧ ـ نهاية الأرب في فنون الأدب: شهاب الدِّين أحمد النويري، مصوَّرة دار الكتب.

٢٦٨ ـ نفحات الأزهار على نسمات الأسحار: عبد الغني النابلسي، عالم الكتب، ط ٣، ١٩٨٤م.

٢٦٩ ـ نكت الهميان في نكت العميان: خليل بن أيبك الصفدي، تحقيق أحمد زكي باشا، المطبعة الجمالية، ١٩١١م.

٢٧٠ ـ النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة: ابن تغري بردي يوسف أبو المحاسن، تحقيق جماعة من المحققين، الهيئة المصرية، ١٩٧٢م.

٢٧١ ـ نثر الدرّ: منصور بن الحسين الآبي، تحقيق جماعة من المحققين، الهيئة المصرية.

٢٧٢ ـ نزهة النُّظار في قضاة الأمصار: عمر بن علي ابن الملقن، تحقيق مديحة محمد، مكتبة الثقافة، ١٩٩٦م.

٢٧٣ ــ الهفوات النَّادرة، محمد بن هلال الصابىء، تحقيق صالح الأشقر، مجمع اللغة دمشق، ١٩٩٧م.

٢٧٤ ــ الوحشيات (الحماسة الصغرى): أبو تمَّام حبيب بن أوس الطَّائي، عبد العزيز الميمني، دار المعارف، ط ٣، ١٩٨٧م.

٢٧٥ ــ وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان: أحمد بن محمد بن خلكان، تحقيق إحسان عباس، دار صادر.

٢٧٦ ــ الوافي بالوفيَات: خليل بن أيبك الصفدي، تحقيق جماعة من المحققين، دار فرانز، ط ٢، ١٩٦٢م.

٢٧٧ ــ اليواقيت الجوزية في المواعظ النبوية: ابن الجوزي عبد الرحمن بن علي، تحقيق السيد بن عبد المقصود، مؤسسة الكتب الثقافية، ط ١، ١٩٨٨م.



فهرس الموضوعات

الموضوع	الصفحة

• • •

«لا تُحَقِّر دعوة المظلوم؛
فنِبَالُ أدعيته مُصيبة وإن تأخَّر الوقت . . .
قوسُه قلبه المجروح،
ووتره سواد الليل،
واستناده صاحب: «لأنْصُرَنَّكِ ولو بعدَ حِين»،
ولقد رأيتَ ولكن لستَ تعتبر».

(الكنز المدفون للسيوطي، ص٢٤٥)